سلسلة الفتوحات العزمية

(٢٤)

موحدون لا قبوريون

الجزء الأول

لجنة البحوث والدراسات
بالطريقة العزمية

جميع حقوق الطبع والنشر والتصوير
والاقتباس والترجمة والنقل محفوظة

الطبعة الأولى

شوال ١٤٢٧هـ - نوفمبر ٢٠٠٦م

عنوان الكتاب	موحدون لا قبوريون
المؤلف	لجنة البحوث والدراسات بالطريقة العزمية
الناشر	دار الكتاب الصوفى
عنوان الناشر	١١٤ ش مجلس الشعب- السيدة زينب
رقم التليفون	٠٢/٣٩٠١٠٣٠
رقم الإيداع	٢٠٠٦/١٨٦٠٤م
الترقيم الدولى	٩٧٧-٥٢٧٣-٧٣-٥

محتويات الكتاب

الموضوع **الصفحة**

الافتتاحـــــية: خطر الوهابية على الأمة الإسلامية ٤

الوهابية يهود الأمة ١٩

المخطط الوهابى الخبيث ٢٩

قضية القبور ٣٤

الفصـــل الأول: الوهابيون وبناء روضات الأولياء ٣٨

أولاً: رأى القرآن فى البنـــاء علـــى القبور ٤٥

ثانياً: الأمة الإسلامية والبناء علـــى القبور ٥٨

ثالثاً: حديث أبى الهياج ٧٠

أين دفن ﷺ وآله؟ ٨٤

اختلاق الأدلة الواهية تبريراً للجريمة ٨٧

الفصـــل الثانى: الوهابيون وبنـــاء المـــساجد علـــى المراقد ٩٤

مسجد يبنى على أبى بصير رضي الله عنه ١١٨

الافتتاحية

خطر الوهابية على الأمة الإسلامية

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأزكى التسليم على سيدنا ومولانا محمد المبعوث رحمة للعالمين، سيد الأولين والآخرين، وعلى آله الطيبين الطاهرين، وصحابته الهادين المهديين..

أما بعد:

إن أكبر أعداء الإسلام هم اليهود والمشركون، وقد بيَّن ذلك القرآن الكريم حيث قال تعالى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا اليَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ (المائدة: ٨٢)، وما أن أطل القرن الحادى عشر حتى كانت طلائع الجيوش الصليبية تدق الأبواب الداخلية فى دار الإسلام، بعد أن دب الضعف والتفكك فى جسم الدولة، وفرقتها حروب الإخوة. واستمرت الإمارات الصليبية فى القسم الغربى من بلاد الشام قرنين من الزمان، وأخيراً رحلت

جيوش الصليب إلى بلادها مهزومة عسكرياً، دون أن تشكل تلك الهزائم خاتمة المطاف.

لقد أدرك قادة الصليبية وزعماؤها أن هناك محرضاً لدى الإنسان المسلم يتحرك عندما تتعرض أرضه لغزو من جانب الكفار، فيدفع به إلى الجهاد حتى الشهادة، لا سيما إذا ما توفرت له القيادة ولو فى الجانب العسكرى فقط، وهذا المحرض هو بكل بساطة الدين الإسلامى نفسه.

ومن هنا وجه هؤلاء الأعداء جهدهم إلى ذلك المحرض بهدف القضاء عليه، ولما كانت التجربة أثبتت أن هذا القضاء لا يمكن أن يتم بالقوة العسكرية من الخارج، صبُّوا محاولاتهم على الداخل.

ولكن كيف ؟!!..

لقد ساروا فى تحقيق هدفهم بشكلين مختلفين:

الأول : بتظاهر مجموعة غير مسلمة باعتناق الإسلام، ويمدونهم بالمال، حتى يصلوا إلى أعلى المناصب، كما

D:\كتب\الوهابية\٢٤doc.

حصل فى مناطق تركيا الأوربية على أيدى يهود الدونمة الذين كان منهم مصطفى كمال أتاتورك.

الثانى : تبنى فرق ذات أصول إسلامية، واستخدامها من أجل ضرب الإسلام.

وقد ترافق كل ذلك مع عملية استعمار ثقافى تمثلت بنسف الفكر السياسى الإسلامى نفسه، بعد أن عجزت حركات التنصير والحكومات التى تقف وراءها عن نسف الدين الحنيف جملة وتفصيلا.

وهكذا أدخل فى روع الأجيال الإسلامية التى انفتحت على الغرب أن الإسلام دين عبادة فقط، وهو لا يستطيع أن يقدم الحل للمشاكل السياسية والاجتماعية القائمة فى هذا العصر، ومن هنا كانت ضرورة الالتزام بالعلمانية لفصل الدين الإسلامى عن الدولة.

وقد أدى كل ذلك إلى تسرب الثقافة ذات الأصول اليهودية والنصرانية إلى البيئة الإسلامية، ولما وصلتنا هذه الأفكار والعقائد الجديدة من الغرب، وجدناها تحمل

بذور الثورة على الفكر التقليدى، ويقصد بـه الإسـلام.. واعتبر الجهلاء أن هذه الأفكـار والعقائـد هـى الحـل لأزمتنا، فوصلنا إلى هذه الحالة مـن الخـواء الفكـرى، والخور على صعيد الاستعداد للذود عن الوطن، فكانـت بلادنا فريسة سهلة للأعداء.

تلك كانت الخطوط العريضة للمخطـط العـام الـذى استهدف بلاد الإسلام، ولكن هذا المخطط تميز بالمرونة، وبمسايرة الأوضاع المتباينـة والمتحركـة فـى البلـدان الإسلامية، كما يلى:

– فى البلاد القريبة من الخلافة جرى الاندساس فـى الإسلام.

– أما فى المناطق المفتوحة علـى الغـرب كالبلـدان الساحلية، أو التى تـسمح طبيعتهـا الجغرافيـة بحريـة الحركة، فإن الاستعمار الثقافى والاقتـصادى كـان هـو الأسرع إليها.

– وأما المناطق المغلقة، فإن المخطط قضى بالارتكاز

على الإسلام نفسه، حيث تمت دراسـته بغـرض إعـادة إنتاجه بطريقة تحقق أغراض الغـرب، لـذلك فقـد رأت وزارة المستعمرات البريطانية أن يقوم رجلهـا **(مـستر همفر)** بتنفيذ مخططها بخلق مذهب إسلامى، ودولة فـى منطقة من شرقى صحراء نجد، عن طريـق الاسـتعانة بالأسر اليهودية التى زرعت فى منطقة الجزيرة العربية.. ذاك المذهب كان مذهب محمد بن عبد الوهـاب، وتلـك الدولة كانت دولة آل سعود.

والسؤال الملح هو.. كيف تم ذلك؟!.

الجواب: يظهر من دراستنا لنشأة محمـد بـن عبـد الوهاب والوهابية، كما ذكرها كتاب **(تاريخ نجـد)** لابـن الألوسى، وكتاب **(تاريخ نجد)** لهارى سنت جون فيلبيـى المسمى عبد الله فيلبى، وكتاب **(الشيخ محمد ابـن عبـد الوهاب عقيدته ودعوته)** لأحمد أبو حجر آل أبو طامى، وكتاب **(الدرر السنية فى الرد على الوهابية)** لأحمد بـن زينى دحلان مفتى مكة.

فقد ولد ابن عبد الوهاب عام ١١١٥ هـ — ١٧٠٣ م، بمدينة تسمى العيينة من بلاد نجد، التى تبعد عن الرياض ٤٠ كيلومتراً من الناحية الشمالية الغربية، قرأ الفقه على مذهب أحمد بن حنبل، وكان أبوه قاضياً بها، وأميرها يوم ذلك عبد الله بن معمر، وقد سافر ابن عبد الوهاب إلى مكة، ثم سافر إلى المدينة وأظهر الإنكار على زيارة النبى ﷺ، والتوسل به وبالصالحين من أمته، ثم رحل إلى نجد، ثم أتى البصرة من بعد الشام، فلما ورد البصرة وأظهر آراءه لأهلها أنكروا عليه وردوه، وبعد مدة جاء إلى بلدة حريملة من نجد، وكان أبوه فى تلك البلدة ينكر عليه ويزجره وينهاه- وقد يكون ذلك كعادة اليهود فى تقسيم الأدوار- ومات أبوه سنة ١١٤٣ هـ - ١٧٣١م، فأظهر ابن عبد الوهاب عقائده والإنكار على المسلمين، فضج أهل حريملة منه وهمّوا بقتله.. فخرج ابن عبد الوهاب قاصداً العيينة- مسقط رأسه ودار نشأته- وأميرها يوم ذاك عثمان بن أحمد بن معمر، وقد تعاهد هو وأميرها أن

يشد أزر كل منهما الآخر، فترك ابن معمر لابن عبد الوهاب الحرية فى إظهار فكره، والعمل على نشره، لقاء أن يقوم ابن عبد الوهاب بشتى الوسائل لسيطرة ابن معمر على نجد بكاملها، وكانت يوم ذاك موزعة إلى سبع إمارات، منها إمارة العيينة، ولكى تقوم الروابط زوَّجَ ابن معمر أخته (جوهرة) من ابن عبد الوهاب، فقال له الأخير: (إنى آمل أن يهبك الله نجد وعربانها).

وهكذا يؤمن ابن عبد الوهاب بأن الله يهب الأحرار، وما يملكون لمن يناصره فى دعوته، ويجعلهم عبيداً له من دون الله، هذا وهو يدعو إلى التوحيد الخالص من براثن الشرك!!.

لقد سخَّر ابن عبد الوهاب الدين لرجل الدنيا، وتطوع لتعزيز حكم دون أن يكون على يقين من عدله، أو يأخذ منه موقفاً لتحسين الأوضاع الاقتصادية وراحة الناس، والعمل للصالح العام، بل على العكس، فقد وعده بملك نجد وعربانها، لا بالاقتراع وحرية تقرير المصير، بل

بالحروب والغزو وأشلاء الضحايا، ومع ذلك فهو صاحب دعوة التوحيد ورسالة الإنسانية!!.

ومهما يكن فإن التحالف بين الاثنين لم يطل عمره ولم يتم أمره، وما تمخض إلا عن زواج ابن عبد الوهاب بجوهرة، وهدم روضة زيد بن الخطاب ﷺ، وبلغ الخبر صاحب الأحساء والقطيف سليمان بن محمد بن عزيز، فأرسل كتاباً إلى عثمان يأمره بقتل حليفه ابن عبد الوهاب، فلما ورد الكتاب أرسل عثمان إلى ابن عبد الوهاب وأمره بالخروج من البلدة، وطلب منه أن يختار المكان الذى يريد الذهاب إليه.

وهنا كانت عيون وزارة المستعمرات البريطانية تراقب عن كثب رجلها ابن عبد الوهاب، فالمخطط جاهز، ولم يبق إلا التنفيذ، والصداقة حميمة بين مستر همفر وابن عبد الوهاب، لذلك قدم همفر لابن عبد الوهاب خطة من ستة بنود لينفذها.. وأرجو أن لا تنزعج أيها القارئ الكريم، لأنها الحقيقة المُرَّة:

البند الأول : تكفير المسلمين، وإباحة قتلهم، وسلب أموالهم، وهتك أعراضهم، وبيعهم فى سوق النخاسة، وحِلِّيَّة جعلهم عبيداً ونساءهم جوارى.

البند الثانى : هدم الكعبة باسم أنها آثار وثنية إن أمكن، ومنع الناس عن الحج، وإغراء القبائل بسلب الحجاج وقتلهم.

البند الثالث : السعى لخلع الخليفة، والإغراء لمحاربته وتجهيز جيوش لذلك، ومن اللازم أيضاً محاربة أشراف الحجاز من آل بيت النبى ﷺ وآله، بكل الوسائل الممكنة، والتقليل من نفوذهم.

البند الرابع : هدم القباب والأضرحة والأماكن المقدسة عند المسلمين فى مكة والمدينة، وسائر البلاد التى يمكن ذلك فيها باسم أنها وثنية وشرك، والاستهانة بشخصية النبى محمد – ﷺ – وخلفائه، ورجال الإسلام بما يتيسر.

البند الخامس : نشر الفوضى والإرهاب فى البلاد

حسب ما يمكنه ذلك.

البند السادس : نشر قرآن فيه التعديل الذى ثبت فى الأحاديث من زيادة ونقيصة.

أتدرون ماذا كان رد ابن عبد الوهاب على هذه الخطة؟

لقد وعد بتنفيذ كل الخطة السداسية، إلا أنه قال: إنه لا يتمكن فى الحال الحاضر إلا على الإجهار ببعضها، وهكذا كان، وقد استبعد ابن عبد الوهاب أن يقدر على هدم الكعبة عند الاستيلاء عليها، كما لم يبح عند الناس بأنها وثنية، وكذلك استبعد قدرته على صياغة قرآن جديد، وكان أشد خوفه من السلطة فى مكة، وفى الآستانة عاصمة الخلافة الإسلامية، وكان يقول: إذا أظهرنا هذين الأمرين لابد وأن يجهز إلينا جيوش لا قبل لنا بها، وقبلت منه وزارة المستعمرات العذر، لأن الأجواء لم تكن مهيأة.

وهكذا تحددت معالم المذهب الإسلامى الجديد، وفى نفس الوقت كانت الدولة قد تجهزت على يد أسرة آل

سعود التى يقول عنها الدكتور ناصر السعيد فى كتاب **(تاريخ آل سعود)** أنها أسرة يهودية.

وهنا كان لابد من الالتقاء بين المذهب والدولة، ليستولوا على قلوب الناس وأجسادهم، فإن التاريخ قد أثبت أن الحكومات الدينية أكثر دواماً، وأشد نفوذاً، وأرهب جانباً.

واتخذت الدرعية عاصمة للحكم والدين الجديد، وكانت وزارة المستعمرات البريطانية تزود الحكومة الجديدة سراً بالمال الكافى، كما اشترت الحكومة الجديدة فى الظاهر عدداً من العبيد من يهود الفلاشا بأثيوبيا، كانوا من خيرة ضباط الوزارة الذين دربوا على اللغة العربية والحروب الصحراوية.

لقد قامت هذه الدولة على أسس ثلاثة هى:

١) كراهية الآخر.. ٢) تكفيره..

٣) استحلال دمه وماله وعرضه..

- **أما كراهية الآخر:** ليس فقط من أهل الشرائع

الأخرى، ولكن المختلف بالتدين داخل المسلمين، أى: ممن سماهم ابن عبد الوهاب المشركين، داخل الجزيرة العربية وخارجها، من الصوفية والشيعة.. وطبق أتباعه هذه الكراهية بدقة إذ كانوا لا يسلمون على الآخرين، ولا يردون عليهم السلام.

– **وأما تكفير الآخر:** فقد حكم ابن عبد الوهاب بكفر الشيعة كلها، واعتبر بلادهم بلاد حرب، وقال كما جاء فى رسالته كشف الشبهات: (وإن كلهم يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، ويصلون الجمعة والجماعة، فلما أظهروا مخالفة الشريعة فى أشياء دون ما نحن فيه، أجمع العلماء على كفرهم وقتالهم، وأن بلادهم بلاد حرب، وغزاهم المسلمون حتى استنقذوا ما بأيديهم من بلاد المسلمين).

– **وأما استحلال دم الآخر وماله وعرضه:** فيرتبط بالتكفير فى فكر ابن عبد الوهاب، ويفسر غزوات النبى ﷺ بأنها كانت للإكراه فى الدين، وإجبار المشركين على

الدخول فى الإسلام، خلافاً لحقائق الإسلام.

كتب ابن عبد الوهاب إلى البلدان المجاورة المسلمة أن تقبل دعوته، وتدخل فى طاعته، وكان يأخذ ممن يطيعه عُشْر المواشى والنقود والعَرُوض، ومن أبى غزاه بأنصاره وقتل الأنفس، ونهب الأموال، وسبى الذرارى، فليس أمام أى مسلم إلا الوهابية أو القتل، فترمل نساؤه، وتيتم أولاده.

ومن المعلوم أن ابن عبد الوهاب لم يفتح بلداً غير مسلم من الشرق أو الغرب، وإنما كان يغزو ويحارب المسلمين الذين لم يدخلوا فى طاعته ودعوته.. تنفيذاً لخطة وزارة المستعمرات البريطانية.

جاء فى جريدة (الصفا) بتاريخ ٢١ أغسطس ١٩٢٤ م: (والوهابية يستبيحون دم المسلمين، فقد دخلوا إلى شرق الأردن فذبحوا النساء والأطفال حتى بلغ عدد القتلى ٢٧٥٠ من المسلمين) وكانوا يغنون عند قتل النساء والأطفال ويقولون:

هبت هبوت الجنة رايح وين يا باغيها

كيف هذا؟!

والرسول ﷺ يقول فيما رواه النسائى: (والذى نفسى بيده لقتل مؤمن أعظم عند الله من زوال الدنيا).

ولكن لا عجب فزعيم العصابة- مؤسس الوهابية- لا يرى مسلماً على وجه الأرض غير جماعته، وكل من خالفه يرسل إليه من يغتاله فى فراشه، لأنه يقول بتكفير المسلمين ويستحل دماءهم.

هذه الأفعال تجعل أى مسلم يتهمهم بتهم ثلاث:

أولاً الكفر : لقوله ﷺ: (سباب المسلم فسوق، وقتاله كفر) أخرجه البخارى ومسلم.

ثانياً الزنا : لأن من يستحل المرأة الحرة المسلمة ويأخذها سبية ويتمتع بها فهو زان.

ثالثاً السرقة : لأن من يستحل مال المسلمين فهو لص سارق.

فبالله عليكم، من يقتل المسلم ويزنى ويسرق يصح أن

يُلقَّب بإمام التوحيد؟!!.. لا والله، إنه من الأئمة الذين يدعون إلى النار، وبعد:

فعلينا أن نفهم ونميز بين أهل الدين حقاً، وبين الذين ينتحلونه لمآرب أخرى.. علينا ألا نتهم أحداً، ولا نثق بأحد إلا بعد أن نتعرف على سيرته من أوثق المصادر وأصحها، علينا أن نقف موقف الشك والريبة من كل فكر ورأى، ومن كل من يصفه الناس بالإمام المصلح، أو المفسد المضلل حتى يظهر الحق جلياً، ولن يظهر إلا بالبحث والتمحيص، ومن درس حياة محمد بن عبد الوهاب يرى أول ما يرى أنه يفرض آراءه بالقوة، ولكن على المسلمين خاصة دون غيرهم.. وكل الناس يعلمون أن آية عقيدة أو رأى، يحاول صاحبه أن يفرضه بالقوة فإنه يحكم على نفسه بنفسه بالفساد والبطلان.

مات ابن عبد الوهاب سنة ١٢٠٦ هـ — ١٧٩١م، وسار أبناؤه على سيرته يناصرون أبناء سعود ويناصرهم أبناء سعود، ويسندون إليهم نفس المناصب التى كان ابن

سعود يسندها لأبيهم وزيادة، بحكم تطور الزمن.

الوهابية يهود الأمة:

لعل البعض يستغرب كيف يوصفون باليهود؟..

ولكن إذا بينا أدلة الاتهام ينتهى العجب، فهم:

أولاً: هدموا البيت الذى ولد فيه رسول الله وحولوه إلى مكتبة، وهدموا بيت السيدة خديجة وأدخلوه فى دورات مياه المسجد الحرام، وهدموا دار الأرقم، وهدموا مقبرة المعلا بما فيها من قبة السيدة خديجة وبعض أجداد النبى ﷺ، وفى المدينة المنورة هدموا قباب الصحابة وأهل البيت فى البقيع وكثير من الصالحين قدر بأكثر من عشرة آلاف، وهدموا بيت السيدة فاطمة الزهراء، وسقيفة بنى ساعدة، والعريش التاريخى ببدر، وهدموا مسجد ثنيات الوداع، ومسجد المنارتين، ومسجد المائدة، ومسجد الحمزة، ومسجد الإجابة، ومسجد سلمان، ومسجد الشمس، ومسجد جواثا، ومسجد العباس بن على، وطمسوا معالم مسجد القبلتين، ويزيلون جبل الرماة بأُحد، وغيرها الكثير

من التراث الإسلامى العظيم.

فى حين أنهم يحتفظون بحصن كعب بن الأشرف اليهودى بالمدينة، ويحافظون عليه من كل سوء، بل ويحذرون من يحاول هدمه بالعقاب الصارم، حيث وضعت لوحة إلى جانبه كتب عليها: (تحذير منطقة آثار: يحظر التعدى عليها تحت طائلة العقوبات الواردة بنظام الآثار بالمرسوم الملكى رقم ٢٦ بتاريخ ١٣٩٢/٦/١٢ هـ).. وكأنهم ينتظرون عودة اليهود إلى المدينة، ليحتجوا بتراثهم فيها، فى حين لا يبقى للإسلام آثار ولا تراث فى هذه البلاد.

ثانياً : ذكر ناصر السعيد فى كتابه (تاريخ آل سعود) أنه قبل وعد بلفور كتب الملك عبد العزيز اعترافاً بجعل فلسطين وطناً لليهود يقول فيه: (أنا السلطان عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل السعود، أقر وأعترف ألف مرة للسير برسى كوكس مندوب بريطانيا العظمى، لا مانع عندى من إعطاء فلسطين للمساكين اليهود أو غيرهم، كما

ترى بريطانيا، التى لا أخرج عن رأيها حتى تصيح- تقوم- الساعة).

ثالثاً : قال محمد على سعيد فى كتابه (بريطانيا وابن سعود) : وعشية إصدار قرار تقسيم أرض فلسطين فى ١٩٤٧/١١/٢٩م وتأسيس دولة صهيونية على أرض فلسطين، أرسلت الوفود العربية برقية إلى ابن سعود يلحون عليه بإصدار تصريح يهدد فيه بقطع البترول إذا صوتت أمريكا على قرار التقسيم، فما كان منه إلا أن قال معاكساً: (إن المصالح الأمريكية فى السعودية محمية، وإن الأمريكيين هم أهل ذمة، وإن حمايتهم وحماية مصالحهم واجب منصوص عليه فى القرآن الكريم).. والمعنى الواضح أن حماية أهل فلسطين المسلمين ليس منصوصاً عليه فى القرآن الكريم لأنهم ليسوا من أهل الذمة!!.

رابعاً : ذكرت مجلة (منار الهدى) فى عددها الصادر فى ذى القعدة ١٤١٥ هـ فتوى لابن باز- مفتى

السعودية السابق- يدعى فيها جواز الصلح الدائم بلا قيد ولا شرط مع اليهود، مما جعل شيمون بيريز رئيس الوزراء الصهيونى الأسبق يعلن تأييده للفتوى، داعياً الناس إلى أن يحذو حذوه.

خامساً : أصدر ابن باز فتوى تجيز الاستعانة بالأمريكان وذيولهم لمحاربة المسلمين فى العراق فى حرب الخليج الثانية ١٩٩١م، بل ويعتبر ذلك واجباً.. وحتى الآن فإن هذه القوات مازالت موجودة تعيث فساداً بجوار المقدسات الإسلامية، فقد نشرت مجلة (الكفاح العربى) بتاريخ ١٩٩٦/٨/١٩م مقالاً قالت فيه: (دعارة وشذوذ ومخدرات فى القوات السعودية والأمريكية).. هذه القوات كانت تخرج من قواعدها لتضرب المسلمين فى العراق عام ١٩٩١ - ١٩٩٨ - ٢٠٠٣م، وتضرب المسلمين أيضاً فى أفغانستان عام ٢٠٠٢م، حتى احتلتها بحجة القضاء على عميلهم أسامة بن لادن الوهابى، الذى صنعوه لقتل المسلمين فى أفغانستان والسودان وغيرهما.

سادساً: كانت الطامة الكبرى فى الفتوى التى أصدرها ابن باز ونشرت فى صحيفة (المسلمون) السعودية يوم ١٩٩٧/٣/٧م، حيث ورد سؤال يقول: (البعض يضع ماله فى البنوك الربوية ويأخذ فائدة على هذا المال، فهل يجوز أخذ هذه الفائدة وصرفها للأعمال الخيرية، لأنه لو لم يأخذها فسوف تذهب لليهود والنصارى ويستفيدون منها فى محاربة الإسلام؟)..

فماذا كانت الإجابة ؟!!.

قال الشيخ الوهابى بالحرف الواحد: (ليس له أن يأخذ الربا مطلقاً، ولو قال إنه سيتصدق بها، ليس له أن يتعامل بالربا.. نفس مباشرة العمل بالربا منكر، وإذا ذهبت إلى اليهود والنصارى فالإثم على من فعله، وليس عليه هو).

ونلاحظ على هذه الفتوى: أنه لم يعترض على وضع الأموال فى بنوك اليهود والنصارى، وحرم على فقراء المسلمين الاستفادة من الفائدة، وأحلَّ لليهود والنصارى أخذ الفائدة، ووافق على محاربة اليهود والنصارى

للمسلمين، بفوائد أموال أغنياء المسلمين.

سابعاً : نشرت مجلة (الحرس الوطنى) السعودية عدد أكتوبر ١٩٩٣م ما يلى: (أفتى ناصر الألبانى – الوهابى – بوجوب هجرة أهل فلسطين المقيمين فى الأراضى المحتلة وترك ديارهم ووطنهم لليهود! وحجته فى ذلك أن أهل فلسطين يتعرضون للأذى فى دينهم وأعراضهم وأموالهم على يد إسرائيل، وأن الرسول هاجر من مكة وتركها للكفار).

ثامناً : فى شهر مايو ٢٠٠١م أفتى عبد العزيز آل الشيخ مفتى السعودية الحالى بأن العمليات الاستشهادية التى يقوم بها الفلسطينيون– السُّنَّة– نوعاً من قتل النفس، وليس الاستشهاد.

وهذه الفتوى وسابقتها لا تحتاجان إلى تعليق لوضوح العداء للإسلام والمسلمين فيهما خدمة لإخوانهم الصهاينة، وحرصاً على حياتهم وراحتهم.

تاسعاً : بعد الاحتلال الأمريكى للعراق العام ٢٠٠٣م

سارعت الوهابية بإصدار فتاوى تحرم الهجوم على غير المسلمين، ورفض الجهاد فى العراق، بل ومنعت الدعاء على النصارى واليهود على المنابر فى صلاة الجمعة، مع السخاء الشديد فى نشر فتاوى تكفير الشيعة حتى تحدث حرب أهلية فى العراق وينعم المحتل الأمريكى، كل هذه الفتاوى نشرت فى مجلة الوعى الإسلامى عدد محرم ١٤٢٤ هـ، وصحيفة الوطن السعودية فى مارس ٢٠٠٣م.

عاشراً: مما سبق تبين أن الوهابية يهود بأسماء إسلامية.. وهذه حقيقة يجب أن تكون واضحة أمام الأمة جمعاء، فلا يوجد أمراء ولا شيوخ تمتدحهم الصحافة الصهيونية أكثر من أمراء وشيوخ الوهابية، وتصفهم بالمعتدلين، لأنهم يفتون دائماً لمصلحة اليهود، فإذا قاوم السنى الفلسطينى اليهود ونال الشهادة فهو منتحر، طبقاً لفتوى عبد العزيز آل الشيخ –مفتى السعودية– السابقة.

وإذا قاوم الشيعى اللبنانى اليهود فهو كافر، طبقاً لما

قدمته قناة MBC– السعودية التمويل– فى برنامج تلفزيونى تحت عنوان (الإفتاء) وذلك ظهر يوم الخميس ٢٠٠٦/٧/٢٠م فى تمام الساعة الواحدة على الهواء مباشرة، واستضاف البرنامج الشيخ عبد المحسن بن ناصر العبيكان، والذى انبرى وشن هجوماً عنيفاً ضد أبطال حزب الله، وحملهم مسؤولية الاعتداء الصهيونى على لبنان.

إن أمة هؤلاء الجهلاء شيوخها ومثل هؤلاء الخونة حكامها لا يمكن أن تقوم لها قائمة بل ربما تقوم قيامتها، هل الجهاد والدفاع عن الأرض والأهل والنفس تهلكة– كما وصفها الشيخ الوهابى– ومتى يحل الجهاد إذا كان قتال أعداء الله الصهاينة ليس جهاداً وإنما هو تهلكة؟!!.

وفى يوم الخميس ٢٠٠٦/٧/٢٧م أفتى الشيخ عبد الله بن جبرين بعدم جواز نصرة حزب الله، أو حتى الدعاء له بالنصر، لأنهم شيعة، أى: كفار حسب الدين الوهابى.

وكالعادة ردد مرتزقتهم فى مصر– جماعة أنصار

السنة المحمدية- أقوالهم فى مجلة التوحيد العدد (٤١٥) السنة (٣٥) الصادر فى رجب ١٤٢٧هـ- أغسطس ٢٠٠٦م، حيث قال جمال المراكبى الرئيس العام للجماعة فى الافتتاحية: (هل صار حزب الله ممثل الروافض فى لبنان هو رمز المقاومة والدفاع عن الأمة، وهل صارت القاعدة- الوهابية- أمل الأمة فى التصدى لهذا الواقع المرير؟ هيهات هيهات، فهل يأتى الشر بالخير، وهل يجلب الخوارج والروافض خيراً لهذه الأمة وهم فى الأصل من أعظم نكبتها على مدى تاريخها كله؟).

وفى صفحة ٤٦ من نفس العدد أكمل معاوية هيكل حلقة الهجوم على الشيعة فى مقال (موقف الشيعة من القرآن).

هذه هى بعض الفتاوى التى صدرت عن الوهابية وذيولها وآل سعود لمصلحة الصهيونية والصليبية ضد الأمة الإسلامية.. فهل زالت الغشاوة عن أعين المخدوعين؟ أم يحتاجون إلى المزيد؟!!..

وإلى المزيد:

(١) ظهر أيمن الظواهرى الوهابى على شاشة قناة الجزيرة يوم الخميس ٢٠٠٦/٧/٢٧م ليخدم المصالح الأمريكية الصهيونية، معلناً تأييده لحزب الله- مع أن الحزب كافر فى دينه الوهابى- ولكن المقصود هو تشويه الجهاد الحقيقى لحزب الله وزعيمه سماحة السيد حسن نصر الله، ومنح إسرائيل وأمريكا الفرصة باعتبار الحرب ضد لبنان وحزب الله حرباً ضد الإرهاب، ولمَّا لم يصدق الناس ذلك، ظهر الظواهرى مرة أخرى على قناة الجزيرة يوم السبت ٢٠٠٦/٨/٥م فى شريط جديد يزعم أن أعضاء من الجماعة الإسلامية فى مصر انضموا لتنظيم القاعدة بقيادة الوهابى أسامة بن لادن، وذلك تمهيداً لإعلان الحرب على مصر بحجة محاربة تنظيم القاعدة فى مصر!!.

(٢) لتقسيم أدوار الوهابية فى مصر قام الإخوان المسلمون بتأييد حزب الله، بقصد إحراج الحكومة

المصرية وكسب نقطة تقربهم من الكرسى، والتمكن من جمع تبرعات لحزب الله وإيداعها فى حسابات الجماعة بالخارج، ولا مانع- عند انتصار حزب الله- أن يقال إن للجماعة فرع شيعى، وأن (حسن) نصر الله، سمَّاه والده على اسم (حسن) البنا!!.

إذن.. المؤامرة واضحة، وإذا صمتنا وتركنا المقاومة وحدها فستنهار المقاومة فى نهاية الأمر، وسيكون من الصعب تعويضها، وسيصبح الطريق ممهداً أمام سوريا، وإذا سقطت سوريا فالعدو سيتوجه إلى الأردن ومصر، ليحقق حلم (أرضك يا إسرائيل من النيل إلى الفرات)، وبعدها على الفور سيبدأ مخطط التقسيم الكبير، وما نشرته مجلة القوات المسلحة الأمريكية مؤخراً عن خطة لتقسيم الشرق الأوسط هو كلام جد لا هزل فيه.

المخطط الوهابى الخبيث:

لذلك فخطورة الوهابية تكمن فى ثلاثة أمور:

١) تمزيق الأمة الإسلامية..

٢) شغلها بقضايا فرعية..

٣) المساعدة على تنصير المسلمين.

أولاً .. تمزيق الأمة الإسلامية :

بالرغم من أن القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة يبينان بوضوح فضائل وخصائص الأمة الإسلامية المتعددة، والتى تقطع الطريق أمام كل من تسول له نفسه أن يفكر مجرد التفكير فى أن يتهم أحد أفرادها بالكفر أو الشرك، أو الزندقة أو المروق، ويدعى لنفسه أن الإسلام ينحصر فيما يراه ويفهمه هو.. إلا أن الوهابية جعلوا لفكرهم أصلاً معلناً وآخر خفياً.. **أما المعلن** فهو: إخلاص التوحيد لله، ومحاربة الشرك والأوثان، لكن ليس لهذا الأصل ما يصدقه من واقع الحركة الوهابية.. **وأما الخفى** فهو: تمزيق المسلمين، وإثارة الفتن والحروب فيما بينهم، خدمة للمستعمر الغربى.. وهذا هو المحور الذى دارت حوله جهود الوهابية منذ نشأتها وحتى اليوم.. فهو الأصل الحقيقى الذى سخر له الأصل المعلن من أجل إغواء

البسطاء وعوام الناس.

ثانياً .. شغل الأمة بقضايا فرعية :

إن الله تعالى جعل قواعد الإسلام خمسة، يعرفها كل أهل لا إله إلا الله، أما الوهابية فقد جعلوا قواعد أخرى للإسلام الجديد الذى اخترعوه.. كما يلى:

أ) بالنسبة للرجال : ثوب قصير لافت للنظر، طاقية مخرمة مزينة بالصلبان، نعل من جلد مستهلك له شراكان، سواك فى الفم، زجاجة عطر، ومرآة، ومشط، وعمامة جليلة، وعصا غليظة، وكتاب رافض للجمهور المسلم، بشرط الغلظة والفظاظة والعبوس والجهامة والغطرسة والكبر على خلق الله، واتهامهم بالكفر والشرك والبدعة، مع الزراية بأهل البيت وأولياء الله الصالحين.

ب) بالنسبة للنساء : نقاب أسود سميك شاذ، يغطى الوجه وإحدى العينين مع الكفين اللذين أحل الله كشفهما، وتحريم اتصال المرأة بالمجتمع، وألا تتكلم أو تبتسم إلا فى حجرة مغلقة، وألا يكون لها رأى، وألا تخرج من

بيتها إلا مرتان: لزوجها، ولقبرها.

ج) بالنسبة للرجال والنساء : اعتقاد أن كل من ليس منهم فهو كافر، ومن لم يكفر من كفروه فهو كافر، مهما أتى من الطاعات، وبلاد المسلمين ديار حرب، ولا يتعاملون بأوراق أو قوانين الحكومات فى البلاد الإسلامية، وكلهم حلال دمهم وعرضهم ومالهم، والولاء القلبى الحقيقى لبلد الوهابية وليس لأوطانهم.

ثالثاً .. المساعدة على تنصير المسلمين :

إن اتهام الوهابية للصوفية والشيعة بالكفر، واتهام زوَّار الأولياء والصالحين بالشرك، واتهامهم للمحتفلين بمولد النبى ﷺ وموالد الصالحين بالبدعة، فى الوقت الذى تتزايد فيه أعمال التبشير المسيحى للمسلمين يفتح الطريق على مصراعيه لتنصير المسلمين، كما قال السيد عز الدين ماضى أبو العزائم رضي الله عنه: (تكفير + تبشير = تنصير).

لذلك، ونظراً لخطورة الوهابية على الإسلام

والمسلمين فالواجب على كل مسلم أن يتصدى لهذا الفكر الشاذ، والذى نبأ به رسول الله ﷺ وحذرهم منه فى الحديث الذى رواه البخارى ومسلم وأحمد وابن ماجه والحاكم والخطيب البغدادى وأبو نعيم والمتقى الهندى.. فعن أبى سعيد الخدرى قال: بيّنا رسول الله ﷺ وآله يقسم قسماً- قال ابن عباس: كانت غنائم هوازن يوم حنين- إذ جاءه رجل من تميم مقلص الثياب ذو شيماء، بين عينيه أثر السجود فقال: اعدل يا رسول الله، فقال ﷺ: (ويلك ومن يعدل إذ لم أعدل؟ قد خبتُ وخسرتُ إن لم أكن أعدل)، ثم قال: (يوشك أن يأتى قوم مثل هذا يحسنون القيل ويسيئون الفعل، هم شرار الخَلْق والخليقة)، ثم وصف ﷺ صلتهم بالقرآن فقال: (يدعون إلى كتاب الله وليسوا منه فى شئ، يقرأون القرآن لا يجاوز تراقيهم، يحسبونه لهم وهو عليهم)، ثم كشف النقاب ﷺ عن عبادتهم المغشوشة فقال: (ليس قراءتكم إلى قراءتهم بشئ، ولا صلاتكم إلى صلاتهم بشئ، ولا صيامكم إلى صيامهم

بشئ)، ثم أزاح النبى ﷺ عن أهدافهم فقال: (يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية)، ثم أعطانا النبى ﷺ وصفاً مجسماً لسيماهم فقال: (محلقين رؤوسهم وشواربهم، أزرهم إلى أنصاف سوقهم)، ثم ذكر النبى ﷺ علامتهم المميزة فقال: (يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان)، ثم طالبنا ﷺ إذا لقيناهم أن نقاتلهم فقال: (فمن لقيهم فليقاتلهم، فمن قتلهم فله أفضل الأجر، ومن قتلوه فله الشهادة).

قضية القبور:

إن أكبر الذرائع التى كفَّر الوهابيون الأمة بسببها هى زعمهم أن المسلمين قد عادوا إلى الشرك والوثنية بعبادة القبور، وهم يجمعون على تسمية مخالفيهم بالقبوريين، وبعد دراسة مستفيضة لقضية عبادة القبور، وجدنا أن شبهاتهم تنحصر فى عشر شبهات، سوف نقوم بتفنيدها والرد عليها فى ثلاثة أجزاء متتالية تحت عنوان (موحدون لا قبوريون) كما يلى:

الجزء الأول:
١- بناء روضات الأولياء
٢- بناء المساجد على المراقد

الجزء الثانى:
٣- زيارة روضات الأنبياء والأولياء
٤- التوسل بالأنبياء والأولياء
٥- الحلف بحق الأنبياء والأولياء
٦- النذر للصالحين والصلاة بمساجدهم

الجزء الثالث:
٧- مشروعية الموالد
٨- طلب المدد من الصالحين
٩- التبرك والاستشفاء بالصالحين
١٠- اعتقاد القدرة الغيبية للصالحين

وختاماً

إن حقيقة الوهابية أنهم عصبة تتستر باسم الدين لتحقيق سياسة صهيونية لئيمة بالغة الخطورة، فى مقابل عرض الدنيا الزائل، والعائد المستقذر الحرام، بادعاء تكفير المسلمين الذى هو الأصل فيما نعانى من الإرهاب والتطرف، وتشتيت الأمة، وتفريق العائلات، حتى أصبح

D:\كتب\الوهابية\٢٤doc.

الولد عاقاً لأبيه، والبنت رافضة لأمها، بزعم أنهما كافران أو مشركان أو مبتدعان، وما من مجموعة شاذة ظهرت، إلا وكانت ولادتها ونشأتها فى أحضان الوهابية التى تتستر باسم الدين والتوحيد والسنة والدعوى إلى الله.

هذه الجماعات تمهد بلا حياء لتمكين الصهيونية من الهيمنة على الأقطار الإسلامية، وتجنيد الحمقى لهذه الدعوة الرهيبة، بما أعطاها الله من مال لا فضل لها فى الحصول عليه أبدا.

إن ولاء هؤلاء وانتماءهم ليس للأمة الإسلامية، ولكن لوطن آخر يحلم أهله بالسلطان والوصاية على المسلمين.. وانظر كيف يبعثون بمرسليهم إلى الأقطار الإسلامية لا ليواجهوا إرساليات التبشير والتنصير هناك، ولكن ليفتنوا من آمن بالله ممن أنقذهم الصوفية سابقاً ولاحقاً من الوثنية، والضياع، كما هو حادث بأفريقيا وبعض المواقع فى آسيا.. بل وفى أوربا وأمريكا، فالهدف هو التفتيت والتمزيق باسم التوحيد والسنة.

هذه صرخة لبعث أمة، من نومة الغفلة ورقدة الجهالة، لتوحيد صفوفها ونبذ اليهود المفرقين من بينها، ومعاملتهم بما يليق من معاملة الأعداء.. حتى نستعيد مجد سلفنا الصالح.. فنسأل الله تعالى أن يجمع أمرنا، ويهدى ضالنا، ويوفقنا لما يحب ويرضى.

لجنة البحوث والدراسات

بالطريقة العزمية

D:\كتب\الوهابية\٢٤doc.

الفصل الأول

الوهابيون وبناء روضات الأولياء

فى عصرنا الحاضر صعد الوهابيون حملاتهم المسعورة ضد الإسلام والمسلمين، بفعل الثروة الطائلة التى يجنيها آل سعود من أرباح البترول العائدة إليهم فقط.

لقد خصصت الوهابية- المحتلة لأرض المسلمين فى الجزيرة- جزءاً كبيراً من أرباح البترول لترويج هذا المذهب البريطانى ونشره بين المسلمين، ولولا هذه الأموال الطائلة لما عاش هذا المذهب الوهابى إلى وقتنا هذا.

وقد وجد الاستعمار ضالته فى هذا المذهب، واتخذه خير وسيلة لإلقاء التفرقة بين المسلمين، وتشتيت صفوفهم، وضرب بعضهم البعض.. وقد حقق هذا المذهب أهداف الاستعمار البريطانى الأثيم، فتراه قد أوجد الفتنة بين المسلمين، هذا يفسق ذاك، وذاك يكفر هذا.. ولا

حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم.

لذلك فقد قررنا أن نطرح قضية بناء القبور، وتشييد بناء القبور، وتشيد مراقد الأنبياء والأولياء، على بساط البحث والتحقيق، ونرفع الستار عن حقيقتها، حتى يثبت لك أن عقائد المسلمين مستندة إلى القرآن والسنة، وأن عقائد الوهابيين مخالفة للقرآن وسنة رسول الله ﷺ، وقد انتهجنا أسلوب الإيجاز والاختصار.

أيها القارئ الكريم:

تعتبر مسألة بناء القبور وتشييد مراقد الأنبياء وأولياء الله الصالحين من المسائل الحساسة عند الوهابيين، وقد كان ابن تيمية — وتلميذه ابن القيم — أول من أفتى بحرمة بنائها ووجوب هدمها، فى القرن السابع الهجرى.

يقول ابن القيم فى كتابه (زاد المعاد): (يجب هدم المشاهد التى بنيت على القبور، ولا يجوز إبقاؤها — بعد القدرة على هدمها وإبطالها — يوماً واحداً).

وفى عام ١٣٤٤هـ — بعد ما استولى آل سعود على

مكة المكرمة والمدينة المنورة وضواحيهما — بدأوا يبحثون عن دليل يبرر لهم هدم المراقد المقدسة فى البقيع ومحو آثار أهل البيت — عليهم السلام — والصحابة رضي الله عنهم، فلجأوا إلى الاستفتاء من علماء المدينة المنورة حول حرمة البناء على القبور، محاولة منهم لتبرير موقفهم أمام الرأى العام الإسلامى — وخاصة فى الحجاز — لأنهم كانوا يدركون جيداً أن المسلمين فى الحجاز هم كالمسلمين فى كل مكان، يعتقدون بكرامة أولياء الله وقدسيتهم وجواز البناء على روضاتهم، فحاول الوهابيون أن يلبسوا جريمتهم هذه بلباس الإسلام، دفعاً لنقمة المسلمين! سبحان الله!!.

أرسلت السلطة السعودية قاضى القضاة فى نجد — واسمه: سليمان بن بليهد — إلى المدينة المنورة للاستفتاء من علمائها حول بناء مراقد أولياء الله، ولكن الجدير بالذكر هو أن الأسئلة التى طرحها ابن بليهد كانت تحمل فى طواياها الأجوبة المطابقة لآراء الوهابيين أنفسهم، وما

كان من العلماء إلا الإجابة بمثل ما هو مذكور فى الاستفتاء نفسه، ولم يكن كثير من علمائهم يملكون الشجاعة والبطولة فى التجاهر بالحق والإفتاء بالصواب، بل كانوا — وهم كذلك طوال التاريخ الوهابى- يرتزقون على أبواب السلطان، وكانوا يعرفون- مسبقاً- أن الإفتاء على خلاف آرائهم يعرضهم للتهمة بالكفر والشرك، ومن ثم يحكمون عليهم بالقتل إن رفضوا التوبة!!.

وقد نشرت جريدة (أم القرى) الصادرة فى مكة فى ١٧ شوال ١٣٤٤هـ تلك الأسئلة والأجوبة، وقد أثارت ضجة كبرى بين المسلمين- الشيعة والسنة- لأنهم كانوا يعلمون أن ما وراء هذا الاستفتاء- الذى قد صدر تحت وطأة التهديد والترهيب- هو الشروع بهدم القباب والبناء المشيد على روضات قادة الإسلام وعظماء المسلمين.

وهذا ما حصل بالفعل، فبعدما صدرت تلك الفتوى من خمسة عشر عالماً من علماء المدينة، وانتشر فى الحجاز، بدأت السلطات الوهابية بهدم روضات آل رسول الله ﷺ

فى الثامن من شوال من نفس العام، وقضت على آثار أهل البيت عليهم السلام والصحابة رضي الله عنهم، ونهبت كل ما كان فى ذلك الحرم المقدس من فرش غالية وهدايا ثمينة وغيرها، وحولت تلك الزمرة الوحشية البقيع المقدس إلى أرض قفراء موحشة.

وفيما يلى نذكر جانباً من الاستفتاء، لتعرف كيف ضمن السائل الجواب فى سؤاله، وأن الهدف لم يكن السؤال والاستفتاء، بل كان للحصول على مستمسك لتضليل الرأى العام وتدمير آثار النبوة والرسالة.

ولو كان الهدف هو الاستفتاء الحقيقى ومعرفة رأى الإسلام فى ذلك، فما معنى تضمين الجواب فى مطاوى الاستفتاء؟!.

بل إننا نظن أن الاستفتاء والجواب كانا قد أعدا مسبقاً فى ورقة خاصة، ثم أرسلت تلك الورقة إلى علماء المدينة للتوقيع عليها فقط، وإلا فليس من المعقول أن يغير علماء المدينة وجهة نظرهم فجأة ويصدروا الفتوى بتحريم البناء

على القبور وجوب هدمها، مع العلم أنهم كانوا وآباؤهم — طوال سنوات عديدة- من الداعين إلى حفظ الآثار النبوية، وكانوا يزورون تلك المشاهد المقدسة.

يقول ابن بليهد فى سؤاله:

(ما قول علماء المدينة المنورة- زادهم الله فهماً وعلماً- فى البناء على القبور واتخاذها مساجد، هل هو جائز أم لا؟.

وإذا كان غير جائز بل ممنوع منهى عنه نهياً شديداً، فهل يجب هدمها ومنع الصلاة عندها أم لا؟.

وإذا كان البناء فى مسبلة، أى: موقوفة فى سبيل الله، كالبقيع وهو مانع من الانتفاع بالمقدار المبنى عليه، فهل هو غصب يجب رفعه، لما فيه من ظلم المستحقين، ومنعهم استحقاقهم أم لا؟).

وتحت التهديد والتخويف، يجيب علماء المدينة على سؤال (الشيخ) بما يلى:

(أما البناء على القبور فهو ممنوع إجماعاً، لصحة

الأحاديث الواردة فى منعه، ولهذا أفتى كثير من العلماء بوجوب هدمه، مستندين بحديث على رضي الله عنه أنه قال لأبى الهياج: ألا أبعثك على ما بعثنى عليه رسول الله أن لا تدع تمثالاً إلا طمسته، ولا قبراً مشرفاً إلا سويته).

ويقول الشيخ النجدى فى مقال نشرته جريدة أم القرى فى عددها الصادر فى شهر جمادى الثانى سنة ١٣٤٥هـ:

(إن بناء القباب على مراقد الأولياء صار متداولاً منذ القرن الخامس الهجرى).

نعم، هذه نماذج من أقوال الوهابيين حول بناء القبور، وترى أن عمدة استدلالهم — فى كتبهم ومؤلفاتهم- على الحرمة تعتمد على أمرين:

١- إجماع علماء الإسلام على التحريم.

٢- حديث أبى الهياج عن الإمام أمير المؤمنين على عليه السلام وما شابه ذلك.

نحن الآن نتحدث فقط عن مسألة البناء على القبور وإقامة الظلال والسقف والأبنية عليها.

أما مسألة زيارة القبور فهى موضوع مستقل سوف نتحدث عنه فى الجزء الثانى من هذا الكتاب إن شاء الله تعالى.

بالنسبة إلى المسألة الأولى فالحديث عنها فى ثلاث نقاط:

١- ما رأى القرآن الكريم تجاه البناء على القبور، وهل نجد فى القرآن بياناً لهذه المسألة؟

٢- هل صحيح أن الأمة الإسلامية متفقة على حرمة البناء على القبور؟ أم أن البناء كان متداولاً فى كل العهود الإسلامية، بدءاً بزمن النبى ﷺ وآله والصحابة؟

٣- ماذا يعنى حديث أبى الهياج الذى يستغله الوهابيون للاستدلال على باطلهم؟

أولاً.. رأى القرآن فى البناء على القبور:

لم يتطرق القرآن الكريم إلى حكم البناء على القبور بصورة خاصة، إلا أنه يمكن استنباط حكمه من خلال بعض الآيات الكريمة العامة، وإليك التفصيل:

١- البناء على روضات الأولياء تعظيم للشعائر الإلهية:

إن القرآن الحكيم يعتبر تعظيم شعائر الله سبحانه دليلاً على تقوى القلوب، فيقول عز وجل: ﴿وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ (الحج: ٣٢) ونتساءل: ما معنى تعظيم شعائر الله؟

الجواب: إن (شعائر) كلمة جمع، ومفردها: (شعيرة) وهى بمعنى الدليل والعلامة، وليس المقصود من (شعائر) فى هذه الآية العلائم التى تثبت وجود الله تعالى، ذلك لأن الكون كله دليل على وجوده سبحانه، يقول الشاعر:

وفى كل شىء له آية تدل على أنه واحد

كما أنه ليس هناك من يقول: إن تعظيم كل ما هو موجود فى الكون دليل على التقوى، وإنما المقصود هو تعظيم شعائر دين الله، ولهذا يقول المفسرون فى هذه الآية: إن كلمة (شعائر الله) معناها معالم دين الله (راجع تفسير مجمع البيان جـ٤ ص٨٣).

وإذا كان (الصفا والمروة) وكذلك البعير الذى يساق إلى منى للنحر من شعائر الله، فإنما هو بسبب كونها من معالم الدين الحنيف وإبراهيم الخليل عليه السلام.

وإذا كانت (المزدلفة) تسمى بـ (المشعر) فإنما هو بسبب كونها من علامات دين الله تعالى، وأن الوقوف فى المشعر دليل على طاعة الله سبحانه.

وإذا كانت (مناسك الحج) تسمى بالشعائر فإنما هى لكونها علامات للتوحيد والدين الحنيف.

وخلاصة القول: إن كل ما هو شعيرة لدين الله فإن تعظيمه مما يقرب إلى الله تعالى.

ومما لا شك فيه أن الأنبياء وأولياء الله تعالى هم من أكبر وأبرز علامات دين الله، إذ أنهم كانوا خير وسيلة لإبلاغ رسالة الله ونشره بين الناس.

إن من الثابت لدى كل منصف أن وجود النبى والأئمة الطاهرين- عليهم السلام — هو من علامات الإسلام وشعائر هذا الدين المقدس، فتعظيمهم تعظيم الله وعلامة

D:\كتب\الوهابية\٢٤doc.

على تقوى القلوب.

ولا شك أن صيانة آثارهم والمحافظة على روضاتهم من المحو والزوال إنما هى نوع من تعظيم شعائر الله سبحانه.

وبعبارة أخرى: نستطيع أن ندرك ضرورة تعظيم روضات أولياء الله من خلال هاتين النقطتين:

أ) إن أولياء الله- وخاصة أولئك الذين ضحوا من أجل الدين ونشره- هم من شعائر الله وعلائم دينه.

ب) إن بناء روضاتهم- بالإضافة إلى تخليد ذكرياتهم والسير على نهجهم السديد- هو نوع من تعظيمهم واحترامهم.

وعلى هذا الأساس فإننا نرى كافة الشعوب والأمم فى العالم تخصص مناطق خاصة لمثوى شخصياتهم السياسية والدينية، كى تبقى رمزاً خالداً لأتباعهم إلى الأبد، فكأن حفظ مراقدهم من المحو والاندراس يؤدى إلى خلود ذكراهم، وحياة أفكارهم ومناهجهم.

ولكى نعرف هذه الحقيقة جيداً، لابد من أن نتأمل الآية ٣٦ من سورة الحج: ﴿وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُم مِّن شَعَائِرِ اللَّهِ﴾.. إن بعض حجاج بيت الله الحرام كانوا يسوقون معهم بعيراً من بلادهم (هدياً بالغ الكعبة)، كى ينحر بجوار بيت الله، وكانوا يتركون على عنقه قلادة- أو غيرها- كناية عن أنه يساق للنحر فى مكة، فهو لله تعالى لا يباع ولا يشترى، فكان يتميز بهذه القلادة عن بقية الإبل.

لهذا السبب اعتبره الله تعالى ﴿مِّن شَعَائِرِ اللَّهِ﴾.. ولهذا حكم الإسلام باحترام هذا الهدى، فلا يجوز ركوبه- مثلاً- ويجب توفير المأكل والمشرب له حتى ساعة النحر بجوار الكعبة.

فإذا كان البعير يكتسب هذا الاحترام والإكرام، فقط لكونه صار من شعائر الله تعالى، فما تقول فى الأنبياء والأئمة الطاهرين؟.

ألا يعتبر الأنبياء والأئمة الطاهرون- عليهم السلام-

والعلماء والشهداء- الذين خلعوا عن أنفسهم قلادة العبودية لله منذ البداية ونذروا أنفسهم لخدمة دين الله وقاموا بدور الوسيط بين الله وخلقه فى هدايتهم وإرشادهم- ألا يعتبرون من شعائر الله؟!.

ألا يجب تعظيمهم واحترامهم، فى حياتهم وبعد انتقالهم، التعظيم اللائق بهم؟!.

إذا كانت الكعبة والصفا والمروة ومنى وعرفات- وما هى إلا جمادات مركبة من التراب والحجر- تعتبر من شعائر الله وتستحق الاحترام والتعظيم المناسب لها بسبب ارتباطها بالله سبحانه، فلماذا لا يكون أولياء الله- الذين هم حماة دين الله وناشروا أحكامه- وما يرتبط بهم، لماذا لا يكونوا جميعاً من شعائر الله؟!.

إننا ندعو الوهابيين إلى تحكيم وجدانهم- فى هذا المجال- ونطرح عليهم هذا السؤال: هل تشكون وتترددون فى أن الأنبياء والرسل والأولياء هم من شعائر الله؟!.

ألا يحكم الوجدان بضرورة تعظيمهم وتخليدهم والتمسك بمناهجهم؟!.

هل البناء على روضاتهم وتنظيف الساحة التى تضم مراقدهم تعظيم واحترام لهم، أم هدم روضاتهم وإهمال الساحة المحتضنة لمراقدهم وتحويلها إلى خربة مهجورة موحشة هو التعظيم؟!.

٢) المودة فى القربى:

إن القرآن الكريم يأمرنا- بكل صراحة- بالحب والمعاملة الحسنة مع أقرباء النبى ﷺ فيقول: ﴿قُل لاَّ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلاَّ المَوَدَّةَ فِي القُرْبَى﴾ (الشورى: ٢٣).

ومن الواضح لدى كل من يخاطبه الله بهذه الآية أن البناء على مراقد أهل بيت النبى ﷺ وآله، هو نوع من أنواع إظهار الحب والمودة لهم.

وهذه العادة متبعة عند كافة الشعوب والأمم فى العالم، والجميع يعتبرون ذلك نوعاً من المودة لصاحب ذلك القبر، ولذلك تراهم يدفنون كبار الشخصيات السياسية

D:\كتب\الوهابية\٢٤doc.

والعلمية فى كنائس ومقابر مشهورة، ويزرعون أنواع الأزهار والأشجار حولها.

٣- البناء على القبور فى الأمم السابقة:

يستفاد من بعض الآيات الكريمة- فى القرآن- أن تعظيم قبور المؤمنين كان أمراً شائعاً بين الأمم التى سبقت ظهور الإسلام، فبالنسبة إلى أصحاب الكهف- بعد ما انتشر خبرهم بين الناس وهرعوا إلى الكهف لمشاهدتهم- وقع الخلاف والنزاع حول مدفنهم وانقسموا قسمين، فقال أحدهما: ﴿ابْنُوا عَلَيْهِم بُنْيَاناً﴾ (الكهف: ٢١)، وقال الآخر: ﴿لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِداً﴾ (الكهف: ٢١).

هنا نلاحظ أن القرآن الكريم يذكر لنا هذين الرأيين، من دون أن ينتقدهما، وعلى هذا يمكن القول بأنه لو كان الرأيان باطلين لانتقدهما، أو قص قصتهما بأسلوب رافض مستنكر.

ويقول المفسرون: إن النزاع- حول مدفن أصحاب

الكهف- إنما وقع بين المؤمنين والكافرين، أما الكافرون فقالوا: ﴿ابْنُوا عَلَيْهِم بُنْيَاناً﴾ والمؤمنون قالوا: ﴿لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِداً﴾. وكانت الغلبة مع المؤمنين حيث قال سبحانه: ﴿قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِداً﴾ (الكهف: ٢١)، وبنى المسجد، وصارت روضات أصحاب الكهف مركزا للتعظيم والاحترام.

وهكذا يظهر لنا أن الهدف من البناء على روضات أصحاب الكهف إنما كان نوعا من التعظيم لأولياء الله الصالحين.

أيها القارئ الكريم: بعد ما مر عليك من الآيات الكريمات الثلاث، لا يمكن القول بحرمة البناء على روضات أولياء الله ولا بكراهته بأى وجه، بل يمكن اعتباره نوعا من تعظيم شعائر الله، ومظهرا من مظاهر المودة فى القربى.

٤- الإذن فى ترفيع بيوت خاصة:

لقد أذن الله تعالى فى ترفيع البيوت التى يذكر فيها

اسمه عز وجل، فقال عز من قائل: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ* رِجَالٌ لاَّ تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلاَ بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ﴾ (النور: ٣٦- ٣٧).

والاستدلال بهذه الآية- على جواز البناء على القبور- يتم ببيان أمرين:

الأول: ما هو المقصود من البيوت؟

الثانى: ما هو المقصود من الرفع؟

بالنسبة إلى الأمر الأول: ليس المراد من البيوت هو المساجد فقط، بل المراد منها ما هو الأعم من المساجد والأماكن التى يذكر فيها اسم الله تعالى، سواء كانت مساجد أو غير مساجد، كبيوت الأنبياء والأئمة- عليهم السلام- والصالحين الذين لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله، فهذه البيوت تعتبر من المصاديق البارزة للآية الكريمة.

بل يمكن أن يقال: إن المراد من البيوت هو غير

المساجد، لأن البيت هو البناء الذى يتشكل من جدران أربعة وعليها سقف قائم، وإذا كانت الكعبة يقال لها: بيت الله فإنما هو بسبب كونها مسقفة، والقرآن الحكيم يعتبر البيت هو المكان المسقف فيقول سبحانه: ﴿وَلَوْلا أَن يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفاً مِّن فِضَّةٍ﴾ (الزخرف: ٣٣).

إن المستفاد من هذه الآية الكريمة هو أن البيت لا ينفك عن السقف، مع العلم أنه يستحب شرعا أن تكون المساجد غير مسقفة، هذا هو المسجد الحرام تراه مكشوفاً تحت السماء من دون سقف يظلله.

وعلى كل تقدير.. فالمقصود من البيوت إما هو الأعم من المساجد، أو غير المساجد.. هذا بالنسبة إلى الأمر الأول.

وأما الأمر الثانى- وهو معنى الرفع- فيحتمل أمرين:

أن يكون المراد منه هو الرفع المادى الظاهرى، الذى يتحقق بإرسال القواعد وإقامة الجدار والبناء، كما قال

سبحانه: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ القَوَاعِدَ مِنَ البَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ العَلِيمُ﴾ (البقرة: ١٢٧). أو يكون المراد منه هو الرفع المعنوى، كما قال عز وجل: ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَاناً عَلِياً﴾ (مريم: ٥٧). أى: منحناه مكانة عالية.

فإذا كان المراد هو المعنى الأول، فهو يدل- بكل وضوح- على جواز تشييد بيوت الأنبياء والأولياء وتعميرها، فى حياتهم وبعد وفاتهم، ومن المعلوم أن مرقد النبى- ﷺ وآله- ومرقد عدة من الأئمة الطاهرين والأولياء الصالحين إنما هو فى بيوتهم، فتشييد هذه البيوت وصيانتها من الخراب والاندثار عمل جائز بنص الآية الكريمة، بل هو محبوب ومرغوب فيه.

وإن كان المراد منه الرفع المعنوى والعظمة المعنوية، كانت النتيجة من الإذن برفعها هو الإذن بتكريمها وتبجيلها وصيانتها وتطهيرها مما لا يليق بشأنها.

وعلى كل حال، فالإذن فى الرفع- سواء كان مادياً أم

معنوياً- إنما جاء بسبب وجود الرجال الصالحين الذين يذكرون الله سبحانه فيه بالغدو والآصال.

بعد هذه الآية- وآيات أخرى مماثلة- كيف يجوز للوهابيين أن يهدموا بيوت آل رسول الله- ﷺ وآله- التى كانت مهبطاً لملائكة الله، ومركزاً لذكر الله ونشر دينه وأحكامه؟!!.

كيف يجوز لهم أن يهدموا هذه المراقد المقدسة التى هى مهوى أفئدة ملايين المؤمنين، وكانوا يزورونها- رجالاً ونساءً، صباحاً ومساءً- ويذكرون الله فيها بالصلاة والدعاء والتسبيح؟!.

لماذا أقدم الوهابيون على تحقير هذه البيوت المقدسة وإذلالها وإهمالها، وحولوها إلى قفار موحشة مهجورة، يرثى لها ويحن قلب كل مؤمن لوضعها المأساوى؟!. لماذا؟ لماذا؟.

وقد روى الحافظ السيوطى فى تفسير الدر المنثور عن أنس بن مالك وبريدة رضى الله عنهما: أن رسول الله-

ﷺ وآله- قرأ قوله تعالى: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ..﴾ فقام إليه رجل وقال: أى بيوت هذه يا رسول الله؟.

فقال- ﷺ وآله-: (بيوت الأنبياء).

فقام إليه سيدنا أبو بكر رضي الله عنه وقال: يا رسول الله وهذا البيت منها؟.

وأشار إلى بيت السادة على وفاطمة- عليهما السلام- فقال النبى ﷺ: (نعم، من أفاضلها).

ثانياً.. الأمة الإسلامية والبناء على القبور:

عندما انتشر الإسلام فى شبه الجزيرة العربية، وعم نوره منطقة واسعة من العالم، كانت لروضات الأنبياء- التى كانت معروفة يومذاك- بناء وسقفاً وظلالاً، وكانت لبعضها قباب مشيدة وضرائح منضدة، لا زال البعض منها موجودا حتى الآن.

وفى مكة نفسها ترى روضة النبى إسماعيل وأمه

هاجر- عليهما السلام- يستقران فى الحِجْـر المعـروف بحِجْر إسماعيل، كما أن روضة النبى دانيال- عليه السلام-يقع فى مدينة شوش فى إيران، وروضـات الأنبيـاء هـود وصالح ويونس وذى الكفل- عليهم السلام- فى العـراق، وكذلك روضات النبى إبراهيم وأولاده إسحاق ويعقـوب ويوسف- عليهم السلام- تقع فى القدس المحتلة، بعـد أن كانت فى مصر، فنقل النبـى موسـى عليه السلام- بـأمر الله تعالى- أجسادهم الطاهرة إلى القدس، ولا زالت موجـودة حتى الآن، ولكل منها معالم وأبنية مشيدة.

وروضة أم البشر السيدة حواء عليها السلام تقع فـى مدينة (جُدَّة) بالحجاز- على ما هو المشهور- وقد سميت المدينة بـ (جُدَّة) نظرا إلى مثوى السيدة حواء فيها، وقـد كانت لروضتها آثار مشهودة، ولمـا احتـل الوهـابيون الحجاز عمدوا إلى محو آثارها وطمس معالمها!.

كل هذه المراقد والروضات كانت بمرأى من المسلمين يوم فتحوا تلك البلاد، ومع ذلك لم يـصدر مـنهم أى رد

D:\كتب\الوهابية\٢٤doc.

فعل سلبى تجاهها، ولم يأمروا بهدمها وتخريبها، فلو كان البناء على القبور ودفن الموتى فى مقابر مـسقفة عمـلاً محرماً فى الإسلام- لكان المفروض على أولئك المسلمين أن يقوموا- قبل كل شئ- بهدم تلك الروضـات التـى لا زالت متواجدة، فى مناطق متعددة من الأردن والعـراق، ولكانوا يمنعون من تجديد بنائها أو إعادتـه علـى مـر العصور والأزمان، ولكننا نرى أنهم لم يـأمروا بهـدمها فحسب بل دأبوا على تعميرها وصيانتها طـوال أربعـة عشر قرنا.

لقد كانوا يدركون - بوحى من العقل- أن حماية آثار الأنبياء وصيانتها إنما هى نوع من الاحترام تجاههم، وأن ذلك يقربهم إلى الله عز وجل وينيلهم الأجر والثواب.

يقول إمام الوهابية ابن تيمية- فـى كتابـه اقتـضاء الصراط المستقيم-:

(عندما تم فتح القدس كانت لقبور الأنبياء هناك أبنيـة، ولكن أبوابها كانت مغلقة حتى القرن الرابع الهجرى).

فلو كان البناء على القبور حراماً لكان هدمه واجباً- على فرض صحة قول ابن تيمية من إغلاق أبوابها إلى القرن الرابع وليس بثابت-.

وخلاصة القول: إن بقاء تلك الأبنية والقباب على الروضات المباركة طوال هذه الفترة، وبمرأى علماء الإسلام وفقهائه دليل واضح على جوازها فى الدين الإسلامى المقدس.

الآثار الإسلامية دليل على أصالة الدين:

مما لا شك فيه أن المحافظة على آثار الأنبياء- وخاصة آثار النبى سيدنا ومولانا محمد- ﷺ وآله- من روضته وروضات زوجاته وأولاده وأصحابه، وكذلك بيوتهم التى كانوا يسكنون فيها، والمساجد التى كانوا يقيمون الصلاة فيها- لا شك أن فيها نتائج محمودة وفوائد كثيرة.

اليوم وبعد مضى عشرين قرنا- تقريبا- على ميلاد السيد المسيح عليه السلام وأمه العذراء وكتابه الإنجيل وكذلك

الحواريون، تحولوا- فى عالم الغرب- إلى أسطورة تاريخية، وصار بعض المستشرقين يشككون- مبدئيا- فى وجود رجل اسمه المسيح وأمه مريم وكتابه الإنجيل، ويعتبرونه أسطورة خيالية تشبه أسطورة (مجنون ليلى).

لماذا؟.

لأنه لا يوجد أى أثر حقيقى وملموس للمسيح، فمثلا لا يدرى- بالضبط- أين ولد؟ وأين داره التى كان يسكنها؟ وأين دفنوه بعد وفاته- على زعم النصارى أنه قتل-؟.

أما كتابه السماوى فقد امتدت إليه يد التحريف والتغيير والتزوير، وهذه الأناجيل الأربعة لا ترتبط إليه بصلة وليست له، بل هى لـ (متى) و (يوحنا) و(مرقس) و(لوقا) ولهذا ترى فى خاتمتها قصة قتله المزعوم ودفنه، ومن الواضح- كالشمس فى رائعة النهار- أنها قد كتبت بعد غيابه.

وعلى هذا الأساس يعتقد الكثير من الباحثين والمحققين أن هذه الأناجيل الأربعة إنما هى من الكتب الأدبية التى

يعود تاريخها إلى القرن الثانى من الميلاد.

فلو كانت الميزات الخاصة بسيدنا عيسى محفوظة، لكان ذلك دليلا على حقيقة وجوده وأصالة حياته وزعامته، وما كان هناك مجال لإثارة الشكوك والاستفهامات من قبل المستشرقين ذوى الخيالات الواهية.

أما المسلمون فهم يواجهون العالم مرفوعى الرأس، ويقولون: يا أيها الناس لقد بعث رجل من أرض الحجاز، قبل ألف وأربعمائة سنة لقيادة المجتمع البشرى، وقد حقق نجاحاً باهراً فى مهمته وهذه آثار حياته محفوظة تماما فى مكة والمدينة، فهذه الدار التى ولد فيها، وهذا غار حراء حيث هبط عليه الوحى والتنزيل، وهذا هو مسجده الذى كان يقيم الصلاة فيه، وهذا هو البيت الذى دفن فيه، وهذه بيوت أولاده وزوجاته وأقربائه، وهذه روضات ذريته وأوصيائه- عليهم السلام-.

والآن، إذا قضينا على هذه الآثار فقد قضينا على معالم وجوده- ﷺ وآله- ودلائل أصالته وحقيقته، ومهدنا

السبيل لأعداء الإسلام ليقولوا ما يريدون(١).

إن هدم آثار النبوة وآثار أهل بيت العصمة والطهارة ليس فقط إساءة إليهم- عليهم السلام- وهتكاً لحرمتهم، بل هو عداء سافر مع أصالة نبوة خاتم الأنبياء ومعالم دينه القويم.

إن رسالة الإسلام رسالة خالدة أبدية، وسوف يبقى الإسلام دينا للبشرية جمعاء حتى يوم القيامة، ولابد للأجيال القادمة- على طول الزمن- أن تعترف بأصالته وتؤمن بقداسته، ولأجل تحقيق هذا الهدف يجب أن نحافظ- أبدا- على آثار صاحب الرسالة المحمدية- ﷺ وآله- لكى نكون قد خطونا خطوة فى سبيل استمرارية هذا الدين وبقائه على مدى العصور القادمة.

حتى لا يشكك أحد فى وجود نبى الإسلام- ﷺ وآله- كما شككوا فى وجود النبى عيسى عليه السلام.

لقد اهتم المسلمون اهتماما كبيرا بشأن آثار النبى سيدنا

---

(١) وهذا هو الخطر الحقيقى للوهابية على الإسلام والمسلمين.

ومولانا محمد ﷺ وآله، وسيره وسلوكه، حتى أنهم سجلوا دقائق أموره، وخصائص حياته، ومميزات شخصيته، حتى أنهم سجلوا ما يرتبط بخاتمه وحذائه وسيفه ودرعه ورمحه وجواده وإبله وغلامه، وحتى الآبار التى شرب منها الماء، والأراضى التى أوقفها لوجه الله سبحانه، والطعام المفضل لديه، بل وكيفية مشيته وأكله وشربه، وما يرتبط بلحيته المقدسة وخضابه لها، وغير ذلك، ولا زالت آثار البعض منها باقية إلى يومنا هذا.

ومن خلال مراجعة تاريخ المسلمين، وتفقد البلاد الإسلامية الواسعة، واستطلاع معالمها وآثارها يظهر لنا- بوضوح- أن البناء على الأضرحة وصيانتها من الزوال والفناء كان شيئا متداولاً عند كافة المسلمين فى أنحاء الوطن الإسلامى الكبير، ولا زالت هناك الضرائح المشيدة على روضات الأنبياء والأولياء والرجال الصالحين، ويقصدها المسلمون بالزيارة والدعاء، وتعتبر تلك الضرائح من الآثار التاريخية الإسلامية، وهناك

الموقوفات الكثيرة التى تصرف عائداتها لحفظ هذه الآثار التاريخية وصيانتها ونظافة الساحات المحيطة بها وغير ذلك.

ولقد كانت روضات أولياء الله عامرة ومشيدة حتى فى الحجاز نفسه، وكانت- حتى قبل فتنة الوهابية واحتلالها للحرمين الشريفين وضواحيهما- تحظى باهتمام المسلمين كافة، ولم يكن هناك أى عالم دينى يستنكر بقاءها، أو يعترض على بنائها وتعميرها.

والضرائح المشيدة على روضات أولياء الله تعالى، منتشرة فى البلدان الإسلامية، وخاصة فى إيران ومصر وسوريا والعراق والمغرب وتونس والأردن، فهناك الروضات المعمورة للعلماء وكبار المسلمين، ويقوم المسلمون بزيارتها أفواجاً أفواجاً- ويبتهلون إلى الله تعالى بتلاوة القرآن- وخاصة سورة الفاتحة- وإهداء ثوابها إلى روح صاحب الروضة الذى جاءوا لزيارته.

كما أن لكل من هذه المراقد المشيدة موظفين يقومون

بالخدمة والحراسة والنظافة والصيانة وغيرها.

مع كل ما سبق.. كيف يمكن اعتبار تعمير الروضات حراماً، مع أن العادة المتبعة عند المسلمين منذ صدر الإسلام إلى يومنا هذا كانت ولا زالت جارية على ذلك، وهذا ما يسميه الفقهاء والعلماء بـ (سيرة المسلمين)، وهى التى تمتد جذورها إلى زمن رسول الله- ﷺ وآله- أو زمن أحد من خلفائه أو من الأئمة الطاهرين من أهل البيت - عليهم السلام-.

إن هذه السيرة قائمة على جواز البناء على الروضات، بل مرغوبيته ومطلوبيته، ولم تتعرض هذه السيرة- طوال وجودها- لأى نقد أو اعتراض، وهذا يكشف عن أصالتها وصحتها عند المسلمين طوال التاريخ، وأنها كانت من السنن المتبعة عندهم.

وقد اعترف بهذه الأصالة أحد الكتاب الوهابيين وهو الصنعانى، فكتب فى تطهير الاعتقاد يقول:

(هذا أمر عمَّ البلاد، وطبق الأرض شرقاً وغرباً،

بحيث لا بلدة من بلاد الإسلام إلا فيها قبور ومشاهد، بل مساجد المسلمين غالبا لا تخلو عن قبر ومشهد، ولا يسع عقل عاقل أن هذا منكر يبلغ إلى ما ذكرت من الشناعة، ويسكت علماء الإسلام).

وبالرغم من اعتراف هذا الوهابى بأن سيرة المسلمين قائمة على تعمير روضات أولياء الله وتكريمها، فإنه لا يكف عن عناده وسوء سريرته، فتراه يعتبر ذلك منكرا ويستنكر سكوت العلماء عليه، وأن سكوت أولئك- فى تلك الفترة الطويلة- لا يمنع من نهى العلماء عنه فى هذه الفترة.

ولكن الرد عليه واضح: فكيف سكت العلماء سبعة قرون ولم ينطقوا ببنت شفة؟! فهل كان هؤلاء جميعا- طوال هذه القرون- يسكتون على المنكر ويتحفظون عن النهى عنه- على ما زعم-؟!.

وعندما فتح المسلمون بيت المقدس- فى عهد سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه- لماذا لم يأمر عمر بهدم روضات

الأنبياء هناك؟! فهل تعتبرونه مسالماً للمشركين؟!.

حول جواب علماء المدينة:

وأغرب ما فى المقام هو الجواب المنسوب إلى علماء المدينة.. حيث قالوا:

(أما البناء على القبور فهو ممنوع إجماعا، لصحة الأحاديث الواردة فى منعه، ولهذا أفتى كثير من العلماء بوجوب هدمه).

كيف يصح دعوى الإجماع على تحريم البناء على القبور فى حين أن المسلمين قد دفنوا رسول الله- ﷺ وآله- فى البيت الذى كانت تسكنه السيدة عائشة رضى الله عنها، ثم دفنوا- من بعده- سيدنا أبا بكر وسيدنا عمر رضى الله عنهما إلى جواره للتبرك، وبعدها أقاموا جداراً فى وسط البيت ليصبح نصفها منزلاً للسيدة عائشة، والنصف الآخر روضة لرسول الله- ﷺ وآله- وأبى بكر وعمر، وبما أن ارتفاع الجدار كان قليلاً، فقد زيد فى ارتفاعه فى زمن عبد الله بن الزبير، ثم كان هذا البيت-

الروضة- يتجدد أو يعاد بناؤه بين حين وآخر على مر العصور والأزمان، وفقا للفن المعمارى الخاص بكل عصر، وفى عهد الأمويين والعباسيين كان البناء على الروضة يحظى باهتمام بالغ، وكان يتجدد كما يقتضيه الفن المعمارى بكل عصر.

وآخر بناء أقيم على الروضة الشريفة- والذى لا زال حتى الآن- كان فى عهد السلطان عبد الحميد فى عام ١٢٧٠هـ واستغرق أربع سنوات، وبإمكانك- أيها القارئ- مراجعة كتاب وفاء الوفا للسمهودى- من صفحة ٣٨٣ إلى صفحة ٣٩٠- للحصول على تفاصيل أخرى حول ما مرَّ على مرقد رسول الله- ﷺ وآله- من بناء وتجديد وتعمير، طوال التاريخ الإسلامى، وحتى عصر السمهودى، ومن بعده فى الكتب الخاصة بتاريخ المدينة المنورة.

ثالثاً.. حديث أبى الهياج:

والآن وقد حان الوقت فى أن نبحث فى الحديث الذى

يتمسك به الوهابيون فى حرمة البناء على القبور.

قبل كل شئ نذكر نص الحديث بالسند الذى رواه مسلم فى صحيحه:

(حدثنا يحيى بن يحيى وأبو بكر بن أبى شيبة وزهير بن حرب، قال يحيى: أخبرنا- وقال الآخران: حدثنا- وكيع عن سفيان عن حبيب بن أبى ثابت عن أبى وائل عن أبى الهياج الأسدى قال: قال لى علىٌّ ابن أبى طالب: ألا أبعثك على ما بعثنى عليه رسول الله أن لا تدع تمثالاً إلا طمسته، ولا قبراً مشرفاً إلا سويته).

لقد اتخذ الوهابيون هذا الحديث دليلاً على حرمة البناء على القبور، من دون أى تحقيق فى رجاله وسنده.

مناقشة الحديث:

بصورة عامة إذا أردنا الاستدلال بحديث من الأحاديث على حكم من أحكام الله تعالى، فلابد أن يتوفر فى ذلك الحديث هذان الشرطان:

١- **صحة السند:** بأن يكون رواة الحديث ورجاله-

فى جميع المراحل والطبقات- رجالاً ثقات يمكن الاعتماد عليهم وعلى أقوالهم.

٢- **دلالة الحديث:** بأن تكون فى ألفاظ الحديث وعباراته دلالة كاملة على مقصودنا منه، بحيث يفهمه غيرنا- ممن يحسن لغة ذلك الحديث ويعرف قواعدها- بمثل ما نفهمه نحن ويستنتج ما نستنتجه.

ومن حسن الحظ أن حديث أبى الهياج فاقد لهذين الشرطين، وخاصة للشرط الثانى، فلا علاقة له بالبناء على القبور إطلاقا.

توضيح ذلك: بالنسبة إلى السند، ففيه رواة لم تتفق كلمة علماء الرجال على وثاقتهم، وفيما يلى نذكر أسماء الرواة- فى هذا الحديث- الذين رفض علماء الرجال أحاديثهم:

١- وكيع.

٢- سفيان الثورى.

٣- حبيب بن أبى ثابت.

٤- أبو وائل الأسدى.

هؤلاء الرواة الأربعة انتقدهم الحافظ ابن حجر العسقلانى- فى كتاب تهذيب التهذيب- وذكرهم بما يسلب الثقة من حديثهم هذا وأحاديثهم الأخرى.

والجدير بالذكر: أن راوى الحديث- أبو الهياج- ليس له حديث فى كل الصحاح الستة- من أولها إلى آخرها- إلا هذا الحديث فقط، فماذا تقول فى رجل ليست له إلا رواية واحدة؟!.

إن هذا يدل على أن الرجل ليس راويا للحديث، وعلى هذا الأساس فالاعتماد على حديثه لا يخلو من إشكال.

أيها القارئ الكريم: هذا سند حديث أبى الهياج، وقد عرفت ضعف رواته وعدم اتفاق علماء الرجال عليهم، فإذا كان الحديث محفوفاً بهذه الإشكالات المتعددة، فلا يمكن لأى فقيه أن يستند عليه فى استنباط الحكم وإصدار الفتوى.

وأما دلالة الحديث: فلا يقل إشكالاً عن السند ذاته، إذ

أن النقطة المهمة التى يستشهدون بها- فى هذا الحديث- هو قوله:

(ولا قبراً مشرفاً إلا سويته).

هنا لابد من وقفة تأمل وتحقيق عند كلمتى:

١- مشرفاً.

٢- سويته.

١- إن لفظة (المشرف) معناه: العالى أو المرتفع. قال فى المنجد:

(المشرف من الأماكن: العالى والمطل على غيره).

وقال صاحب القاموس- وهو أكثر أصالة فى ترتيب معانى الألفاظ-:

(الشرف- محركة-: العلو، ومن البعير: سنامه).

إذن: معنى (مشرف) هو الارتفاع المطلق، وخاصة الارتفاع الذى على شكل سنام البعير.

فيجب هنا- مع الانتباه والالتفات إلى القرائن- أن نبحث عن المعنى المراد من (المشرف) فى الحديث.

٢- لفظة (سويته) معناها: جعل الشيء متساويا، وتقويم المعوج.

سوى الشيء: جعله سوياً، يقال: سويت المعوج فاستوى: صنعته مستوياً.

وجاء فى القرآن الكريم:

﴿الذى خلق فسوى﴾ (سورة الأعلى: ٢).

بعد الإطلاع على معانى المفردات، يجب أن نعلم: ما هو المقصود من هذا الحديث؟.

الواقع: لهذا الحديث احتمالان، ولابد من تعيين أحدهما على ضوء معانى المفردات والدلائل الأخرى.

الاحتمال الأول: أن يكون الإمام أمير المؤمنين- عليه السلام- قد أمر أبا الهياج بهدم القبور المرتفعة، وتسويتها مع الأرض تماماً.

ولكن هذا الاحتمال- الذى يتمسك به الوهابيون- مردود ومرفوض لعدة أسباب:

أولا: لأن لفظة (التسوية) لم تأت- فى اللغة- بمعنى

الهدم والتدمير، ولو كان المقصود به هنا هو ذلك لكان المفروض أن يقال: (ولا قبراً إلا سويته بالأرض) والحديث يخلو من ذلك.

ثانيا: لو كان المقصود منه هو الهدم فلماذا لم يصدر أحد من علماء الإسلام فتوى بذلك؟!.

بالإضافة إلى أن تسوية القبر بالأرض هى خلاف للسنة الإسلامية والاستحباب الشرعى، إذ أنه يستحب أن يكون القبر مرتفعاً عن الأرض، وقد أفتى جميع فقهاء الإسلام باستحباب ارتفاع القبر عن الأرض شبراً واحداً.

جاء فى كتاب الفقه على المذاهب الأربعة- الذى يطابق فتاوى أئمة المذاهب الأربعة- ما يلى:

(ويندب ارتفاع التراب فوق القبر بقدر شبر).

فإذا كان هذا الاحتمال الأول مردوداً، وجب أن نفسر الحديث بالاحتمال الآتى:

الاحتمال الثانى: أن يكون المقصود من تسوية القبر هو جعل سطحه مستويا ومسطحا، بعكس القبور التى

تبنى على شكل ظهر السَمك وسنام البعير، وعلى هذا الأساس فإن الحديث يعنى أن يكون سقف القبر مسطحاً ومستوياً، ولا يجوز أن يكون كظهر السمك أو مُسنماً، كما هى العادة عند بعض أهل السنة، وقد أفتى أئمة المذاهب الأربعة- باستثناء الشافعى- باستحباب تسنيم القبر.

وبذلك فإن هذا الحديث يؤيد فتوى علماء الشيعة الذين يقولون بأن القبر ينبغى أن يكون مسطحا ومستوياً فى نفس الوقت الذى يكون مرتفعا عن الأرض.

وعلى هذا فإن حديث أبى الهياج لا يعمل به إلا فى المذهب الشافعى والمذهب الشيعى.

وتجدر الإشارة إلى أن مسلماً أورد فى صحيحه حديث أبى الهياج وحديثا آخر- سنذكره- تحت عنوان: باب الأمر بتسوية القبر، وكذلك ذكره الترمذى والنسائى فى سننهما تحت نفس العنوان، والمقصود من هذا العنوان هو أن يكون القبر مسطحاً ومستوياً، ولو كان المقصود منه

تسوية القبر بالأرض لكان المفروض تسمية الباب المذكور بـ (باب الأمر بتخريب القبور وهدمها).

وهذا ما تجده فى اللغة أيضاً، فكلمة (تسوية) لو أطلقت على شىء- كالقبر- كان معناها أن يكون القبر نفسه مسطحاً ومستوياً، لا أن يسوَّى بشىء آخر كالأرض مثلاً.

وإليك الحديث الآخر الذى ذكره مسلم فى صحيحه فى كتاب الجنائز- والذى يحتوى نفس المضمون الذى اخترناه-:

(كنا مع فضالة بن عبيد بأرض الروم بـ (رودس) فتوفى صاحب لنا، فأمر فضالة بن عبيد بقبره فسوى، ثم قال: سمعت رسول الله يأمر بتسويتها).

والخلاصة: إن مفتاح معرفة هذا الحديث يكمن فى لفظ (سويته) وفيه ثلاث احتمالات، ومع الانتباه إلى الدلائل والقرائن لابد من انتخاب احتمال واحد، والاحتمالات هى:

١- أن يكون المعنى هو هدم البناء المشيد على القبر.

وهذا الاحتمال باطل، لأن القبور التى كانت فى المدينة

لم تكن لها قباب وضرائح يومئذ.

٢- أن يكون المعنى هو تسوية القبر مع الأرض.

وهذا الاحتمال مردود أيضاً، لأن السنة القطعية تقتضى بارتفاع القبر عن الأرض شبراً واحداً.

٣- أن يكون المعنى هو تسطيح القبر، وتعديل ما فيه من اعوجاج، والحيلولة دون تسنيمه كظهر السمك وسنام البعير.

وهذا هو المتعين، وعلى هذا فلا علاقة له بمقصود الوهابى الذى استدل به.

والآن تعال إلى العلامة النووى- شارح صحيح مسلم- لترى كيف يشرح الحديث ويقول:

(إن السنة أن القبر لا يرفع عن الأرض رفعاً كثيراً، ولا يسنم، بل يرفع نحو شبر ويسطح).

يظهر من هذه العبارة أن شارح صحيح مسلم قد استنبط نفس المعنى الذى استنبطناه من هذا الحديث، بأن الإمام أمير المؤمنين-عليه السلام- أوصى أبا الهياج بتبديل

القبور المسنمة- أو التى على شكل ظهر السمك- إلى قبور مسطحة، ولم يأمر بتسوية القبور بالأرض.

ولم ننفرد فى استنباط هذا المعنى من هذا الحديث، بل قال به الحافظ القسطلانى فى كتاب (إرشاد السارى فى شرح صحيح البخارى)، فبعدما يذكر أن السنة فى القبر تسطيحه، وأنه لا يجوز ترك هذه السنة، لمجرد أنها صارت شعاراً (للرافض)، وأنه لا منافاة بين التسطيح وحديث أبى الهياج.

ويقول: (.. لأنه لم يرد تسويته بالأرض وإنما أراد تسطيحه، جمعاً بين الأخبار) [إرشاد الساري: ج٢ ص٤٦٨].

بعد هذا كله: لو كان المعنى- فى وصية الإمام أمير المؤمنين- عليه السلام- لأبى الهياج- هو هدم القباب والبناء المشيد على القبور، فلماذا لم يأمر-عليه السلام- بهدم القباب التى كانت على روضات الأنبياء فى زمانه؟!.

مع العلم أنه-عليه السلام- كان يومذاك الحاكم المطلق على

البلاد الإسلامية كلها، وكان يعلم بالقباب المشيدة على روضات الأنبياء فى كل من فلسطين وسوريا والعراق ومصر وإيران واليمن.

ومع غض النظر عن ذلك كله، ولو فرضنا أن الإمام- عليه السلام- أمر أبا الهياج بهدم القبور المرتفعة وتسويتها مع الأرض تماما، فليس فى الحديث ما يدل على وجوب هدم البناء المشيد على القبور، ذلك لأن الإمام-عليه السلام- قال لأبى الهياج- على فرض صحة الحديث-:

(ولا قبراً إلا سويته).

ولم يقل: (ولا بناء ولا قبة إلا سويتهما)، مع العلم أن البحث ليس عن القبر نفسه، وإنما عن الأبنية المقامة عليه، هذه الأبنية التى يستظل المؤمنون بظلالها، لتلاوة القرآن والدعاء وإقام الصلاة، فهل فى هذه العبارة ما يدل على هدم هذه الأبنية والآثار التى تساعد الزوّار على العبادة وتصونهم عن الحر والبرد؟!.

D:\كتب\الوهابية\٢٤doc.

احتمالان.. فى النهاية:

وفى النهاية وختام هذا الفصل هناك احتمالان آخران، لا مناص من ذكرهما تتميماً للموضوع.

الاحتمال الأول: أن يكون هذا الحديث إشارة إلى ما كان متعارفا عند بعض الأمم السابقة، من اتخاذ روضات الصالحين قبلة لهم يتوجهون إليها عند العبادة، وكانوا ينصبون صورة إلى جانب الروضة، وبذلك يتركون التوجه إلى القبلة، التى أمرهم الله تعالى بالتوجه إليها حال العبادة.

وعلى هذا الاحتمال فلا يمكن أن تكون لهذا الحديث أية صلة بقبور المسلمين، ولم يعهد من أى مسلم أن يتوجه إليها فى الصلاة أو يسجد عليها، بل جرت سيرة المسلمين على الصلاة بجواز القبور، من دون أن تكون قبلة لهم، بل وجوههم نحو الكعبة، يقيمون الصلاة ويتلون كتاب الله وهم بجوار القبور.

وإذا كان المسلمون يتسارعون إلى زيارة روضات

أولياء الله الصالحين، ويقضون هناك ساعات فى عبادة الله تعالى بجوار تلك المراقد المقدسة، فإنما هو بسبب ما اكتسبته تلك الأرض من الشرف والقدسية بسبب احتضانها لذلك الجسد الطاهر، ولهذا الحديث تفصيل قادم.

الاحتمال الثانى: أن يكون المقصود من قوله-عليه السلام- لأبى الهياج: (أن لا تدع تمثالاً إلا طمسته، ولا قبراً إلا سويته) أن يكون المقصود من (التمثال) تصاوير الأصنام، ومن (القبر) قبور المشركين التى كانت مشمولة بالعطف والعناية من ذويهم.

والخلاصة: إن حديث أبى هياج لا علاقة له بالبناء على القبور أصلاً، بل هو بشأن القبور المسنمة، أو بشأن قبور المشركين وتماثيل الأصنام.

وفيما يلى نذكر فتوى أئمة المذاهب الأربعة حول البناء على القبور:

(يكره أن يبنى القبر ببيت أو قبة أو مدرسة أو مسجد) [الفقه على المذاهب الأربعة: ج١ ص٤٢١].

فما دام أئمة المذاهب متفقين على كراهية البناء على القبور.. فكيف يتجرأ قاضى نجد على الفتوى بحرمة البناء؟!!.

(إن هذا إلا اختلاق).

مع العلم أن الحكم بالكراهة لا دليل صحيح عليه، وخاصة إذا كان البناء مساعداً للزائر لإقامة الفرائض الدينية وتلاوة القرآن الحكيم عند القبر الذى يقام عليه البناء.

أين دفن ﷺ وآله؟:

إن جميع المؤرخين والمحدثين وأهل السير ذكروا بأن جسد سيدنا ومولانا محمداً ﷺ قد دفن فى بيت السيدة عائشة رضى الله عنها بموافقة الصحابة رضي الله عنهم، وقد تم انتخاب بيتها للدفن استناداً إلى ما روى عنه ﷺ بأن كل نبى يدفن فى المكان الذى يتوفى فيه (مسند أحمد، وصحيح الترمذى، وطبقات ابن سعد).

والآن يأتى هذا السؤال:

إذا كان النبى ﷺ قد نهى عن البناء على القبر، فكيف دفنوا جسده الطيب الطاهر فى بيت مسقف، ثم أقاموا جداراً فى وسط البيت، فصار لروضته الشريفة بناء يقصده المؤمنون ويزوره المسلمون؟!!.

ومن المضحك- فى هذا المجال- هو قول أحد الكتاب الوهابيين الحائدين عن الحق، حيث يقول: (إن الحرام هو البناء على القبر لا الدفن تحت البناء، وقد دفنوا النبى ﷺ تحت البناء، ولم يبنوا على قبره شيئاً) [كتاب رياض الجنة: بقلم مقبل بن الهادى الوادعى، طبعة الكويت].

إن هذا الكاتب اضطر إلى هذا القول السخيف، لكونه يرى روضة رسول الله ﷺ مشيدة بالبناء والقبة، ولولا ذلك لحكم بحرمة الدفن فى البيت أيضاً.

فانظر كيف يفتى من تلقاء نفسه بغير ما أنزل الله، إرضاء لهواه، وتجاوباً مع اتجاهه المنحرف!!!.

ونحن نسأل هذا الوهابى: هل أن الحرام هو البناء

على القبر فقط، لكن إبقاء البناء ليس حراماً؟!.. أم أن البناء- إيجاداً وإبقاءً- حرام؟!.

إذا كان الحرام هو البناء فقط فنحن نسأل: لما أقدمت حكومة الاحتلال السعودى- ظلماً وزوراً- على هدم آثار النبوة، ومراقد الأئمة الطاهرين- عليهم السلام- وروضات الصحابة وأبناء الرسول ﷺ، مع العلم أن الحرام- عندكم- هو إقامة البناء فقط، لا الإبقاء على البناء؟!!.

وبالإضافة إلى ذلك.. إن هذا الحكم هو خلاف ما أفتى به أسلافكم- ابن القيم وابن تيمية- حيث يقول الأول:

(يجب هدم المشاهد التى بنيت على القبور، ولا يجوز إبقاؤها- بعد القدرة على هدمها وإبطالها- يوماً واحداً).

فعلى هذا الأساس لا يستطيع هذا الوهابى الأثيم أن يقول بحرمة البناء فقط، كى لا يخالف من سبقوه، ولا مناص له من الحكم بحرمة البناء إيجاداً وإبقاءً.

هنا يأتى هذا السؤال: لماذا دفن المسلمون جسد النبى

ﷺ تحت البناء؟ صحيح أنهم لم يقيموا عليه البناء، إلا أن الدفن هناك أدى إلى أن يكون لروضته الشريفة بناءً وسقفاً.

وترى هذا الوهابى المعاند يحاول الفرار والتخلص من هذا السؤال فيفتى من نفسه بغير ما أنزل الله- كما هو عادتهم- ويقول ما معناه: إن الإبقاء الحرام هو للبناء الذى بنى على القبر، أما إذا كان البناء سابقاً على الدفن فليس الإبقاء عليه حراماً.

فانظر كيف يفرق فى الحكم من تلقاء نفسه، تبريراً لما قام به المسلمون يومذاك، ومحاولاً التملص من الحق الذى يلاحقه ويصدمه.

اختلاق الأدلة الواهية تبريراً للجريمة:

لقد لجأ الوهابيون إلى اختلاق الأدلة الواهية التى تبرر لهم هدم المراقد الطاهرة والقباب الشريفة للأئمة الطاهرين- عليهم السلام- فى البقيع، ومما قالوا- فى هذا المجال-: إن البقيع أرض موقوفة، ويجب أن يستفاد منها

لنفس الغرض الذى وقفها صاحبها، ويجب القضاء على كل ما يوجب الحد من الاستفادة عن الغرض المقصود، والبناء ونصب الأعمدة والجدران فى هذه الأرض يوجب الحد من الاستفادة من جزء منها، فأرض البقيع موقوفة لدفن الموتى، ومن الواضح أن نصب الأعمدة والجدران- للبناء- يحتل جزءاً من الأرض، إذ لا يمكن الدفن تحت الأعمدة والجدران، وهذا يؤدى إلى الحد من الاستفادة للغرض المقصود، ولهذا تجب إزالة ما على هذه الأرض من بناء كى يمكن الدفن فى كل بقعة فيها.

الجواب والرد:

لا شك أن هذا النوع من الاستدلال ليس إلا تسرعاً فى الحكم وابتعاداً عن الحق، يريد به القاضى الوهابى القضاء على آثار أهل البيت- عليهم السلام- بأى وجه كان وحتى لو أفلس من الأدلة فإنه يأمر بالهدم بحكم القوة والعنف والزور، وما هذا الدليل إلا للتمويه على عوام المسلمين وبسطائهم بأنه يفتى بما أنزل الله، ولهذا تراه يعتبر البقيع

أرضاً موقوفة للدفن.

ولكن هذا الدليل- كسائر أدلتهم- باطل من عدة وجوه:

الأول: لم يرد فى أى كتاب- من كتب التاريخ والحديث- ما يشير إلى أن أرض البقيع موقوفة، ولم يصرح به أحد من المؤرخين والمحدثين. هذه كتب التاريخ بين يديك، لا ترى فيها أثراً لهذا القول، بل أنه يُحتمل قوياً أن البقيع كان أرضاً مواتاً متروكاً كسائر الأراضى الموات، وكان أهل المدينة يدفنون موتاهم فيها، وعلى هذا فأرض البقيع كانت من (المباحات الأولية) التى يجوز التصرف فيها مطلقاً، بأى شكل كان.

لقد كان الناس- فى العهود السابقة- غير حريصين على تملك الأراضى البائرة الموات، إذ لم تكن الإمكانات متوفرة لديهم للقيام بالبناء والعمران إلا قليلاً، كما لم تبدأ- يومذاك- هجرة أهل القرى إلى المدن، ولم تكن هناك مشكلة باسم مشكلة (الأرض)، وأفراد باسم (محتكرى

الأرض) ومؤسسات عقارية باسم (بورصة الأراضى) ولهذا فإن أراضى واسعة كانت متروكة بلا مالك، وهى ما يعبر عنها فى الشريعة الإسلامية بـ (المباحات) و(الأراضى الموات البائرة).

وقد جرت العادة- فى المدن والقرى- بأن يخصص الناس قطعة من الأرض لدفن الموتى فيها، أو كان واحد منهم يدفن فقيده فى أرض، ويتبعه الآخرون فى ذلك، من دون التفات إلى الوقف أصلاً.

وأرض البقيع ليست مستثناة من هذه القاعدة، فلم تكن الأرض- فى الحجاز والمدينة- ذات قيمة، ومع وجود هذه الأراضى الموات المحيطة بالمدينة لم يكن يقدم إنسان على وقف أرض زراعية- مثلاً- لدفن الموتى، لأن الأراضى الزراعية كانت قليلة، بعكس الأراضى الموات فإنها كانت كثيرة ومن المباحات الأولية.

والجدير بالذكر أن التاريخ أيضاً يؤكد هذه الحقيقة، يقول السمهودى فى كتابه وفاء الوفا: (أول من دَفن

رسول الله بالبقيع: عثمان بن مظعون.. ولما توفى إبراهيم ابن رسول الله أمر أن يدفن عند عثمان بن مظعون، فرغب الناس فى البقيع وقطعوا الشجر، فاختارت كل قبيلة ناحية، فمن هنالك عرفت كل قبيلة مقابرها...

كان البقيع غرقداً فلما توفى عثمان بن مظعون ودفن فى البقيع قُطع الغرقد عنه).

لقد ظهر- من كلام السمهودى- أن أرض البقيع كانت مواتاً، وتم تقسيمها إلى عدة قطع بعد ما دفن أحد الصحابة فيها، وخصصت كل قطعة منها قبيلة من القبائل وبيت من البيوتات، أما أن تكون موقوفة فلا ترى لها أثراً فى التاريخ، بل يستفاد من التاريخ أن البقعة التى تحتضن أجساد الأئمة الطاهرين- عليهم السلام- فى البقيع كانت داراً لعقيل بن أبى طالب، وأن تلك الأجساد الطاهرة إنما دفنت فى دار تعود إلى بنى هاشم.

يقول السمهودى: (دفن العباس بن عبد المطلب عند قبر فاطمة بنت أسد ابن هاشم فى أول مقابر بنى هاشم

التى فى دار عقيل).

ويقول أيضاً: (عن سعيد بن محمد بن جبير أنه رأى قبر إبراهيم ابن رسول الله عند الزوراء... وهى الدار التى صارت لمحمد بن زيد بن على... وأن سعد بن معاذ دفنه رسولُ الله فى طرف الزقاق الذى يلزق دار المقداد بن الأسود... وهى الدار التى يقال لها: دار ابن أفلح، فى أقصى البقيع، عليها جنبذة، أى: قبة).

هذه العبارات بمجموعها تؤكد على أن أرض البقيع لم تكن وقفاً، وأن أجساد الأئمة الطاهرين- عليهم السلام- إنما دفنت فى بيوتهم المملوكة.

بعد كل ما سبق: هل يصح هدم آثار آل رسول الله ﷺ وتسويتها مع الأرض بحجة أنها لا تنسجم مع الوقف؟!.

ولو فرضت- جدلاً- أن أرض البقيع موقوفة، فهل هناك ما يثبت كيفية وقفها؟! ولعل مالك الأرض قد سمح بإقامة البناء والقباب على روضات الشخصيات المرموقة التى تدفن فيها؟!.

نحن لا نعلم تفصيل الموضوع، الشئ الذى نعلمه هو أن المسلمين أقاموا البناء والقباب على تلك الروضات، ويجب حمل فعل المسلم على الصحة والابتعاد عن اتهامه ونسبة المعصية إليه.

وعلى هذا الأساس فإن هدم تلك القباب المقدسة والأبنية المحترمة يعتبر حراماً بَيِّناً، ومخالفةً قطعيةً للأحكام الشرعية.

وكان القاضى ابن بليهد وأتباعه يعلمون جيداً أن فكرة وقفية البقيع ليست إلا استدلالاً مصطنعاً، وحتى لو لم يرسم لهم الشيطان هذا الدليل الواهى، لكانوا يهدمون آثار آل رسول الله ﷺ بلا تردد، ذلك لأن هذه المرة ليست هى المرة الأولى التى تقوم فيها الوهابية البريطانية بهدم آثار الرسالة والإسلام، بل إن المرة الأولى كانت فيه سنة ١٢٢١هـ عندما سيطروا- لأول مرة- على المدينة المنور وهدموا تلك الأبنية والآثار، ثم أعيد بناؤها بعد دحر الوهابيين وطردهم من المدينة على يد القوات العثمانية.

D:\كتب\الوهابية\٢٤doc.

الفصل الثانى

الوهابيون وبناء المساجد على المراقد

كان الأولى بالوهابيين أن يتمسكوا بالعروة الوسطى، وأن يعالجوا مجتمعنا الإسلامى مما يعانيه من شتى أنواع المحن والمشكلات، ومختلف أنواع البؤس والتخلف.

الأولى بهؤلاء أن يعملوا أقلامهم ضد الخطر التنصيرى المحدق بعالمنا الإسلامى من الصليبية العالمية، ونمط الحياة الغربية حياة التحلل والانحلال.

إن شبابنا المسلم فى حاجة إلى يقظة ضد هذه الأخطار، لأن هذه الأخطار لا تهدد كيان طائفة من المسلمين كالصوفية أو السلفية فحسب بل تهدد كيان المسلمين، وتهدم الشخصية المسلمة، وتقضى على الأمة الإسلامية جمعاء.

الأولى بهؤلاء أن ينبهوا الأمة الإسلامية من الخطر

الداهم المتزايد من جانب الاستعمار، ومن جهة التبشير الصليبى، ومن المبادئ الهدامة الأخرى كالعلمانية والماسونية والبهائية والقاديانية.

الأولى بهؤلاء أن يكفِّروا ويشرِّكوا ويحقروا القادة والكتاب الذين يقدسون ماركس ولينين وماوتسى تونج من دعاة الشيوعية، وسارتر وغيره من دعاة الوجودية والانحلال، لا أن يتركوا هؤلاء وأولئك ويقصرون هجومهم وأقلامهم وألسنتهم على الأئمة الأعلام: أحمد البدوى، وإبراهيم الدسوقى، وأحمد الرفاعى وغيرهم من الهداة إلى الله.

الأولى بهؤلاء أن يهدموا من نفوس شبابنا العربى ارتياد الملاهى الليلية وأماكن الفسق والفجور، لا أن يهدموا أضرحة الأنبياء الأولياء التى يذكر فيها اسم الله.

فيا إخوة الإسلام: يجب علينا توحيد الصفوف، ورفض العصبيات الطائفية، وما يوجب التناقض والتباعد، فقد جربنا مرارة الاختلاف والتفرقة وسوء الظن ورمى

D:\كتب\الوهابية\٢٤doc.

بعضنا بعضاً بالكفر والشرك.

ولا نطيل عليك أيها القارئ الكريم وقفتك للدخول فى موضوع هذا الفصل، وهو (مشروعية بناء المساجد على المراقد) لامتياز أصحابها.

فبعد أن بينا فى الفصل الماضى جواز بناء روضات الأولياء، وفندنا شبهات الوهابية وأباطيلها حول هذا الموضوع.. نبدأ هذا الفصل بالسؤال التالى:

هل بناء المسجد على روضات الصالحين أو بجوارها جائز أم لا؟.

وإذا كان جائزا فما معنى ما روى (أن النبى-ﷺ وآله- لعن اليهود والنصارى لأنهم اتخذوا قبور الأنبياء مساجد) ألا يعتبر بناء المسجد بجوار روضات الأولياء ملازما لما قد ورد فى هذا الحديث؟!.

الجواب: إن بناء المساجد بجوار روضات الصالحين أو عليها لا مانع فيه أبداً، لأنه يندرج تحت الأصول الإسلامية العامة المجوزة، ذلك لأن الهدف من بناء

المسجد هناك إنما هو عبادة الله تعالى بجوار مثوى أحد أحبائه وأوليائه الصالحين الذى منح البركة والشرف لتلك الأرض التى دُفن فيها.

وبعبارة أخرى: إن الهدف من تشييد المساجد هناك هو التشجيع على أداء الفرائض الشرعية والعبادات، قبل زيارة ذلك القبر أو بعده.

وعلى أساس أن زيارة القبور ليست محرمة- حتى عند الوهابيين- وكذلك إقامة الصلاة قبل الزيارة أو بعدها، فلا معنى للقول بحرمة البناء- بجوار روضات الصالحين أو عليها- لعبادة الله وأداء فرائضه الشرعية.

إن التأمل فى قصة أصحاب الكهف يكشف لنا عن أن بناء المسجد بجوار القبر كان سنة متبعة عند الأمم والشرائع السابقة، والقرآن الكريم يشير إلى تلك السنة من دون أى رد أو نقد.

وقد سبقت الإشارة فى الفصل السابق إلى أن أصحاب الكهف عندما انكشف خبرهم- بعد ثلاثمائة وتسع سنين-

اختلف الناس فى نوعية احترامهم وتكريمهم وانقسموا إلى قسمين:

١- قسم قالوا: ﴿ابْنُوا عَلَيْهِم بُنْيَاناً﴾ (الكهف: ٢١). وذلك لكى يكون تخليداً لذكراهم.

٢- والقسم الثانى- الذى كسب الموقف فى النهاية- دعا إلى بناء المسجد على الكهف كى يكون مركزاً لعبادة الله تعالى، بجوار قبور أولئك الذين رفضوا عبادة غير الله، وخرجوا من ديارهم هاربين من الكفر، ولاجئين إلى توحيد الله وطاعته.

وقد أجمع أغلب المفسرين على أن الاقتراح الأول كان من المشركين، بينما الاقتراح الثانى كان من المؤمنين الموحدين (راجع تفسير الكشاف: للزمخشرى، وغرائب القرآن: للنيسابورى، ومعالم التنزيل: للبغوى، وغيرهم)، ولهذا يقول القرآن الكريم: ﴿قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِداً﴾ (الكهف: ٢١).

وجاء فى التاريخ أن العثور على أصحاب الكهف

وانكشاف أمرهم كان فى عصر انتصار التوحيد على الشرك، وكان قادة المشركين- الداعين إلى عبادة الأصنام- مندحرين مغلوبين، فاقتراح بناء المسجد جاء من المؤمنين بالله الموحدين له سبحانه.

فإذا كان بناء المسجد على روضات الصالحين أو بجوارها علامة على الشرك، فلماذا صدر هذا الاقتراح من المؤمنين؟!.

ولماذا ذكر القرآن الكريم اقتراحهم من دون أى نقد أو رد؟!.

أليس ذلك دليلا على الجواز.؟.

وليس صحيحاً- قطعاً- أن يذكر الله تعالى كلاماً للمشركين ويمر عليه بدون رد ونقد إجمالى أو تفصيلى.

إن هذا (تقرير) من القرآن على صحة اقتراح أولئك المؤمنين، ومن الثابت أن تقرير القرآن حجة شرعية- كما هو ثابت فى علم أصول الفقه الدينى-.

وهذا يدل على أن سيرة المؤمنين الموحدين فى العالم

كله كانت جارية على هذا الأمر، وكان يعتبر عندهم نوعا من الاحترام لصاحب القبر وتبركاً به.

لقد كان الأولى للوهابيين أن يعرضوا المسألة على القرآن أولاً، ثم يبحثوا هنا وهناك عن حديث من الأحاديث الشريفة.

وفيما يلى نذكر ما تمسكوا به فى هذا المجال، لنقف على ضعفه وبطلانه:

لقد تمسك الوهابيون بمجموعة من الأحاديث على حرمة بناء المسجد عند روضات الصالحين، وفيما يلى نذكر تلك الأحاديث مع المناقشة والتحقيق:

(١) ذكر البخارى فى صحيحه باب الجنائز- باب كراهة اتخاذ المساجد على القبور- هذين الحديثين:

الحديث الأول: لما مات الحسن بن الحسن بن على، ضربت امرأته القبة على قبره سنة، ثم رفعت ، فسمعوا صالحاً يقول: ألا هل وجدوا ما فقدوا؟.. فأجابه الآخر: بل يئسوا فانقلبوا.

الحديث الثانى: لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مسجداً.. قالت عائشة: ولولا ذلك لأبرزوا قبره، غير أنى أخشى أن يتخذ مسجداً.

(٢) وقد ذكر مسلم فى صحيحه هذا الحديث الثانى مع اختلاف يسير، وذكر أيضاً:

الحديث الثالث: ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد، إنى أنهاكم عن ذلك.

والحديث الرابع فى صحيح مسلم: إن أم حبيبة وأم سلمة ذكرتا كنيسة رأينها فى الحبشة، فيها تصاوير لرسول الله – ﷺ –: فقال رسول الله: (إن أولئك إذا كان فيهم الرجل الصالح فمات، بنوا على قبره مسجدا وصوروا فيه تلك الصور، أولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة).

(٣) **أما الحديث الخامس:** فيرويه النسائى– فى سُننه باب التغليظ فى اتخاذ السُرُج على القبور– عن ابن عباس

رضى الله عنهما: لعن الرسول زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسُرُج.

وترى ابن تيمية– الذى يعتبر المؤسس لهذه العقائد، ومحمد بن عبد الوهاب إنما يأكل من فضالته– تراه يستند إلى هذه الأحاديث فى حرمة بناء المسجد على روضات الصالحين أو بجوارها، فيقول: (قال علماؤنا: لا يجوز بناء المسجد على القبور) (وذلك فى كتاب زيارة القبور: ص ١٠٦).

تحقيق فى معانى الأحاديث:

والآن يجب التحقيق والتأمل فى نصوص هذه الأحاديث، لنقف على مدلولها الصحيح.

قبل كل شئ، يجب أن نعلم– كأصل عام– أنه كما تكون آية قرآنية مفسرة لآية أخرى، كذلك الأحاديث يكون أحدها مفسراً للآخر، وموضحاً وكاشفاً عن غموضه.

لقد تمسك الوهابيون بظاهر حديث واحد، واستنتجوا منه حرمة بناء المسجد على روضات الصالحين أو

بجوارها، فى حين أنهم لو كانوا يصهرون الأحاديث كلها فى بوتقة واحدة، لكانوا يفهمون ما عناه الرسول الأكرم- ﷺ وآله-.

هؤلاء أغلقوا على أنفسهم باب الاجتهاد، مما أدى بهم إلى تفسير كثير من الأحاديث تفسيراً خاطئاً.

نقول: إن ما تمسك الوهابيون به- على حرمة بناء المسجد عند القبر- من أحاديث إنما يكون مقبولا إذا كانت أسانيدها صحيحة ورواتها ثقات، وفى غير هذه الصورة فلا تصلح تلك الأحاديث للاستدلال أبداً.

وبما أن التحدث عن إسناد كل هذه الأحاديث يؤدى إلى إطالة الكلام، لهذا نختصر الحديث عما تضمنته تلك الأحاديث فنقول:

أما الحديث الأول وهو: (لما مات الحسن بن الحسن ضربت امرأته القبة على قبره..) إلى آخره، فهو نقيض لمذهب الوهابيين، إذ أنه دليل على جواز نصب المظلة والقبة على القبر، والوهابيون يحرمون مطلق الظلال،

سواء كان مظلة أو قبة وبناء.

فهذا الحديث يدل على جواز نصب المظلة وإقامة القبة على القبر، ولو كان ذلك حراما لما صدر من امرأة الحسن بن الحسن، لأنه كان بمرأى ومسمع من التابعين وفقهاء المدينة.

ولعلها نصبت تلك القبة لأجل تلاوة القرآن على القبر، وقاية من الحر والبرد وغيرهما.

وأما قول الراوى: (فسمعوا صالحاً يقول..) فهو أشبه بقول غير الصالحين، لأنه نوع من الشماتة- والشماتة ليست من أخلاق الصالحين- ومثله فى ذلك ما أجابه الصالح المزعوم.

إن إقامة تلك المرأة على قبر زوجها الفقيد لم يكن على أمل عودته إلى الحياة، حتى يقال: إنها يئست، بل كان لتلاوة القرآن وغيره.

والخلاصة: إن قول ذلك الصالح المزعوم وجواب الآخر ليس حجة شرعية، إذ ليس من كتاب الله ولا من

السنة الشريفة.

وأما بالنسبة إلى الأحاديث التى تلعن اليهود والنصارى وتحذر المسلمين من التشبه بهم، فنقول:

إن معرفة مقصود هذه الأحاديث يتوقف على معرفة ما كان يقوم به اليهود والنصارى عند روضات أنبيائهم، ذلك لأن النبى-ﷺ وآله- إنما نهى عن القيام بما كان يقوم به اليهود والنصارى، فإذا عرفنا عملهم عرفنا- بالتبع- الحرام المنهى عنه.

وتوجد فى الأحاديث قرائن شاهدة على أن اليهود والنصارى كانوا يتخذون روضات أنبيائهم قبلة لهم تصرفهم عن التوجه إلى القبلة الواجبة، وأكثر من ذلك.. كانوا يعبدون أنبياءهم بجوار روضاتهم بدل أن يعبدوا الله الواحد القهار، أو كانوا يجعلون أنبياءهم شركاء مع الله سبحانه فى العبادة.

فإذا كان المعنى- فى تلك الأحاديث-: أن لا تتخذوا روضات الصالحين قبلة لكم، أو: لا تجعلوهم شركاء مع

الله تعالى فى العبادة، فلا يمكن الاستدلال- بأى وجه- على حرمة البناء على قبورهم أو عندها، لأن الزائرين لا يتخذون تلك الروضات قبلة لهم ولا يعبدونهم ولا يجعلونهم شركاء فى العبادة، بل كلهم مؤمنون بالله موحدون له، ويتوجهون- فى صلواتهم- إلى الكعبة المقدسة، والهدف من بناء المسجد عند تلك الروضات هو التبرك بالأرض التى احتضنت أجسادهم الطاهرة.

فالمهم هو أن يثبت لنا أن هدف هذه الأحاديث من عدم اتخاذ القبور مساجد هو ما ذكرناه، وإليك القرائن الدالة على ذلك:

١- الحديث المذكور فى صحيح مسلم يوضح الأحاديث الأخرى ، فحينما قالت السيدتان أم حبيبة وأم سلمة رضى الله عنهما- زوجتا النبى ﷺ وآله- بأنهما رأتا تصاوير النبى فى إحدى كنائس الحبشة، قال النبى ﷺ: (إن أولئك إذا كان فيهم الرجل الصالح فمات، بنوا على قبره مسجداً وصوَّروا فيه تلك التصاوير).

فالهدف من وضع صور الصالحين بجوار قبورهم؛ إنما كان لأجل السجود عليها وعلى القبر، بحيث يكون القبر والصورة قبلة لهم، أو كانتا كالصنم المنصوب يُعبدان ويُسجد لهما.

إن هذا الاحتمال- اللائح من هذا الحديث- ينطبق مع ما عليه النصارى من عبادة المسيح ووضع التصاوير والتماثيل المجسمة له وللسيدة مريم- عليهما السلام-.

قال النبى ﷺ أيضاً فى الذين يتخذون من القبور مساجد: (أولئك شرار الخلق)، وثبت بالكتاب أن أمته ﷺ خير أمة أخرجت للناس قال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ (آل عمران: ١١٠)، وأن الله متخذهم شهوداً على الأمم السابقة بقوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ (البقرة: ١٤٣)، وثبت بالسنة أن الأنبياء والمرسلين تمنوا أن يكونوا من أمته ﷺ، وأن أمته ﷺ لا تجتمع على ضلالة.

وقد علم الله تعالى فى سابق علمه بقضائه وقدره فى

أزله أن هذه الأمة ستتفق ويجمع أولها وآخرها على بناء المساجد على روضة نبيها أشرف الأنبياء والمرسلين وعلى روضات الأولياء والصالحين، بل ومن هؤلاء الأولياء من يتخذ المساجد على من قبله من شيوخه، ويزوره فى حالة بناء المساجد والقباب عليهم، ويشد الرحال من بلاد بعيدة لزيارتهم، وقد شد الإمام النووى الرحال من الشام إلى مصر لزيارة روضة الإمام الشافعى الذى عليه مسجد وقبة. وكم لاتخاذ المساجد على المشاهد من ألف نظير فى المشرق والمغرب.. فهل هناك تناقض بين خبر الله تعالى وخبر الرسول ﷺ وأن تكون هذه الأمة خير أمة أخرجت للناس؛ تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، وفى الوقت ذاته تكون أمة ملعونة باتخاذها المسجد على روضة نبيها ﷺ وعلى روضات الأولياء والصالحين.. وهذا أمر محال؟!.

ومع هذا المعنى فلا يمكن الاستدلال بهذه الأحاديث على حرمة بناء المسجد على روضات الصالحين أو

بجوارها من دون أن يكون فى ذلك أى شئ يوحى بالعبودية، كما عليه النصارى.

٢- يروى الإمام أحمد بن حنبل فى مسنده، والإمام مالك بن أنس فى الموطأ تتمة لهذا الحديث، وهو أن النبى- ﷺ- قال- بعد النهى عن اتخاذ القبور مساجد-: (اللهم لا تجعل قبرى وثناً يعبد).

إن هذا يدل على أن أولئك كانوا يتخذون القبر والصورة التى عليها قبلة يتوجهون إليها، بل وثناً يعبدونه من دون الله تعالى.

٣- إن التأمل فى حديث السيدة عائشة رضى الله عنها- الحديث الثانى عند البخارى- يزيد فى توضيح هذه الحقيقة، حيث إنها بعد الرواية عن رسول الله ﷺ تقول: (لولا ذلك لأبرزوا قبره، غير أنى أخشى أن يتخذ مسجدا).

ونتساءل: إقامة الجدار حول القبر يمنع عن أى شئ؟.

من الثابت أن الجدار يمنع من الصلاة على القبر

نفسه، وأن يتخذ وثناً يعبد، وعلى الأقل لا يكون قبلة يتوجه إليها.

أما الصلاة بجوار القبر- من دون عبادة القبر أو جعله قبلة للعبادة- فلا مانع منها، سواء كان هناك حاجز يحجز القبر عن الرؤية أم لا، وسواء كان القبر بارزاً عن الأرض أم لا، وذلك لأن المسلمين – منذ أربعة عشر قرناً – يصلون بجوار روضة رسول الله – ﷺ وآله – فى حين أنهم يتوجهون إلى الكعبة ويعبدون الله تعالى، فوجود الحاجز لم يمنع من هذا كله.

والخلاصة: أن تتمة الحديث الثانى – التى هى من كلام السيدة عائشة – توضح معنى الحديث، لأنها تذكر السبب الذى منع من إبراز روضة رسول الله ﷺ وآله بأنه للحيلولة دون اتخاذه مسجداً، ولهذا أقيم الجدار الحاجز حول الروضة الشريفة.

فالحاجز يمنع من شيئين:

١- من أن يتحول القبر إلى وثن يقف الناس بين يديه

يعبدونه، فمع وجود الحاجز لا يمكن رؤية القبر فلا يمكن اتخاذه وثناً للعبادة.

٢- من أن يتخذ قبلة، ذلك لأن اتخاذه قبلة فرع من رؤيته.

فإن قال قائل: إن الكعبة قبلة للمسلمين في حين أن أكثر المسلمين لا يرونها وقت العبادة.

فالجواب: لا تصح المقارنة والمقايسة بين الكعبة والقبر، لأن الكعبة قبلة عامة وعالمية لجميع المسلمين في كافة أرجاء الكرة الأرضية، وليست قبلة للعبادة فقط، بل للعبادة وغيرها كالذبيحة والدفن وما شابه، فهي قبلة في جميع الأحوال، ولا علاقة للرؤية فيها بأي وجه، أو بمعنى أدق: الكعبة وجهة لا جهة.

أما اتخاذ روضة النبي ﷺ وآله قبلة، فإنما يمكن للذين يتواجدون في مسجده ويقيمون الصلاة منه، فإبراز الروضة الشريفة يمهد لهذا الاحتمال - على رأي السيدة عائشة طبعاً - بينما مساواته مع الأرض ليس كذلك.

٣- ومن القرائن الدالة على أن نهي النبي- ﷺ وآله- إنما هو من عبادة القبور هو أن الكثير من شارحي صحيحي البخاري ومسلم فسروا الحديث بمثل ما فسرناه، وفهموا منه مثل ما فهمناه.. فمثلا:

(١) يقول القسطلاني- في كتاب إرشاد الساري في شرح صحيح البخاري-:

(إنما صوَّر أوائلهم الصور ليستأنسوا بها ويتذكروا أفعالهم الصالحة، فيجتهدون كاجتهادهم ويعبدون الله عند قبورهم، ثم خلفهم قوم جهلوا مرادهم، ووسوس لهم الشيطان أن أسلافهم كانوا يعبدون هذه الصور ويعظمونها، فحذر النبي عن مثل ذلك).

إلى أن يقول:

(قال البيضاوي: لما كانت اليهود والنصارى يسجدون لقبور الأنبياء تعظيماً لشأنهم ويجعلونها قبلة يتوجهون في الصلاة نحوها واتخذوها أوثاناً، مُنِعَ المسلمون في مثل ذلك، فأما من اتخذ مسجداً في جوار صالح وقصد التبرك

بالقرب منه– لا للتعظيم ولا للتوجه إليه– فلا يدخل فى الوعيد المذكور).

(٢) وقد مال إلى هذا المعنى ابن حجر– فى فتح البارى– حيث قال: إن النهى إنما هو عما يؤدى بالقبر إلى ما عليه أهل الكتاب، أما غير ذلك فلا إشكال فيه.

(٣) وليس القسطلانى منفرداً فى هذا الشرح بل يقول به السندى – شارح السنن للنسائى – حيث يقول:

(اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد) أى: قبلة للصلاة ويصلون إليها، أو بنوا مساجد عليها يصلون فيها. ولعل وجه الكراهة أنه قد يفضى إلى عبادة نفس القبر.

ويقول أيضاً:

(يحذر (النبى) أمته أن يصنعوا بقبره ما صنع اليهود والنصارى بقبور أنبيائهم من اتخاذهم تلك القبور مساجد، إما بالسجود إليها تعظيماً لها، أو بجعلها قبلة يتوجهون فى الصلاة إليها).

(٤) ويقول النووى – فى شرح صحيح مسلم–:

(قال العلماء: إنما نهى النبى عن اتخاذ قبره وقبر غير مسجداً، خوفاً من المبالغة فى تعظيمه والافتتان به، فربما أدى ذلك إلى الكفر، كما جرى لكثير من الأمم الخالية، ولمَّا احتاجت الصحابة والتابعون إلى زيادة فى مسجد رسول الله ﷺ حين كثر المسلمون وامتدت الزيادة إلى أن دخلت بيوت أمهات المؤمنين فيه، ومنها حجرة عائشة، مدفن رسول الله – ﷺ – وصاحبيه بنوا على القبر حيطاناً مرتفعة مستديرة حوله، لئلا يظهر فى المسجد فيصلى إليه العوام.. ولهذا قالت (عائشة) فى الحديث: ولولا ذلك لأبرزوا قبره، غير أنه خُشى أن يتخذ مسجداً).

(٥) ويقول شارح آخر:

(إن حديث عائشة يرتبط بالمسجد النبوى قبل الزيادة فيه، أما بعد الزيادة وإدخال حجرتها فيه، فقد بنوا الحجرة بشكل مثلث كى لا يتمكن أحد من الصلاة على القبر.. إن اليهود والنصارى كانوا يعبدون أنبياءهم بجوار قبورهم أو يجعلونهم شركاء فى العبادة).

نقول: مع هذه القرائن ومع ما فهمه شُرَّاح الحديث لا بد من القول به، ولا يمكن استنتاج غير ذلك أو الفتوى بغيره.

ومع غض النظر عن هذه القرائن، فإننا نعالج المسألة بما يلى:

أولاً: إن مورد الحديث هو ما إذا كان المسجد مبنياً فوق القبر، فلا علاقة له بالمشاهد المشرَّفة، لأن المسجد – فى كل المشاهد – إنما هو بجوارها لا عليها، بشكل ينفصل أحدهما عن الآخر.

وبعبارة أخرى: هناك حرم أو مقصورة وهناك مسجد، فالحرم خاص للزيارة والتوسل إلى الله تعالى بذلك الولى الصالح، والمسجد– بجواره– للصلاة والعبادة، فالمشاهد المشرفة– فى هذه الحالة– خارجة عن مفاد الحديث ومعناه – على فرض أن يكون مفاده ما يدعيه الوهابيون–.

وبعد هذا كله.. كيف يمكن القول بحرمة بناء المسجد

بجوار القبر أو كراهته فى حين أننا نرى بأعيننا أن مسجد رسول الله ﷺ وآله يقع بجوار روضته الشريفة، والوهابيون يؤمُّون الناس فى المسجد النبوى للصلاة!.

إذا كانت الصحابة كالنجوم ويجب الاقتداء بهم، فلماذا لا يُقتدى بهم فى هذا المجال؟! إن أولئك زادوا فى المسجد زيادات كثيرة بحيث استقر روض النبى ﷺ وآله فى وسط المسجد، بعد أن كان المسجد فى الجانب الشرقى من الروضة الشريفة، وبسبب الزيادات الكثيرة دخل الجانب الغربى من المرقد أيضاً فى المسجد.

فإذا كان بناء المسجد بجوار روضات الصالحين حراماً، فلماذا أحدث المسلمون هذه الزيادات فيه من جميع أطرافه؟!

فهل معنى الاقتداء بـ (السلف) و (السلفية)– التى ينادى بها الوهابيون – هو الاقتداء بهم فى موضوع واحد وترك الموارد الأخرى؟!

ومن هنا نعرف أن ما قاله ابن القيم من (أن القبر

والمسجد لا يجتمعان معاً) مخالف لسيرة المسلمين السلف، ولا أساس لكلامه من الصحة أبداً.

والدليل على ذلك أنه جاء فى عدة أحاديث وآثار أن جماعة من الأنبياء والمرسلين مدفونون فى المسجد الحرام ما بين زمزم والمقام، وأخبر النبى ﷺ أن منهم نوحاً وهوداً وصالحاً وشعيباً، وأن قبورهم بين زمزم والحطيم والحجر، وكذلك ورد فى قبر إسماعيل وأمه هاجر أنه بالمسجد الحرام وهو أشرف مسجد على وجه الأرض هو ومسجد النبى ﷺ، فلو كان وجود القبر فى المسجد محرماً لذاته لنبش النبى ﷺ وأخرجهم فدفنهم خارج المسجد، فإنه أخبر ﷺ أن الأرض لا تأكل أجساد الأنبياء وأنهم أحياء فى روضاتهم، كما أخبر الله تعالى بمثل ذلك عن الشهداء وأمرنا بألا نسميهم أمواتاً فنكون كاذبين فى ذلك، وحيث لم يفعل النبى ﷺ ذلك، دل على أن وجود القبر فى المسجد أو بناء المسجد على القبر ليس محرماً لذاته، وإنما ذلك لعلته التى بانتفائها ينتفى حكمها.

وبناء على ما تقدم: فإن أفضل المساجد على وجه الأرض المسجد الحرام والمسجد النبوى وهما الحرمان الشريفان، وقد شاء الله وحكم أن يكون فى كل منها روضات متعددة، ففى البيت الحرام روضات جماعة من الأنبياء، وفى مسجد النبى الشريف روضة النبى ﷺ وروضة صاحبيه رضى الله عنهما، ومعهما قبر رابع سيدفن فيه عيسى عليه السلام حين نزوله كما ورد فى بعض الأخبار، من أجل هذا فإن الدفن فى المسجد أو اتخاذ المسجد على القبر من الأعمال الصالحة تأسياً بالحرمين الشريفين، فكل مسجد ليس فيه روضة لنبى أو ولى فهو ناقص الفضل، قليل البركة، عديم الأسوة بأفضل المساجد وأشرفها المسجد الحرام والمسجد النبوى.

مسجد يبنى على أبى بصير رضي الله عنه:

وإليك أيها القارئ الكريم هذا الدليل الدامغ على صواب ما نقول وخطأ الوهابية، وهو إجماع الصحابة على اتخاذ مسجد على قبر الصحابى أبى بصير عتبة ابن

أسيد فى عهد النبى ﷺ وآله:

قال ابن إسحاق: فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة بعد صلح الحديبية أتاه أبو بصير عتبة بن أسيد، وكان ممن حبس بمكة من المسلمين، فلما قدم على رسول الله ﷺ، كتب فيه أزهر بن عبد عوف، والأخنس بن شريق بن عمرو إلى رسول الله ﷺ، وبعثا رجلاً من بنى عامر بن لؤى ومعه مولى لهما فقدما على رسول الله ﷺ، بكتاب الأزهر والأخنس، فقال رسول الله ﷺ: (يا أبا بصير، إنا قد أعطينا هؤلاء القوم ما قد علمت، ولا يصلح لنا فى ديننا الغدر، وإن الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجاً ومخرجاً، فانطلق إلى قومك).

قال: يا رسول الله أتردنى إلى المشركين يفتوننى فى دينى؟ قال: (يا أبا بصير، انطلق، فإن الله تعالى سيجعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجاً ومخرجاً) فانطلق أبو بصير معهما، حتى إذا كان بذى الحليفة جلس إلى جدار وجلس معه صاحباه، فقال أبو بصير: أصارم سيفك

هذا يا أخا بنى عامر؟ فقال: نعم، قال: ءأنظر إليه؟ قال: انظر إن شئت، قال: فاستله أبو بصير، ثم علاه به حتى قتله، وفر المولى سريعاً حتى أتى رسول الله ﷺ وهو جالس فى المسجد، فلما رآه رسول الله ﷺ قال: (إن هذا الرجل قد رأى فزعا) فلما انتهى إلى رسول الله ﷺ قال: (ويحك! مالك؟) قال: قتل صاحبكم صاحبى، فوالله ما برح حتى طلع أبو بصير متوشحاً بالسيف حتى وقف على رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، وفت ذمتك وأدى الله عنك، أسلمتنى بيد القوم، وقد امتنعت بدينى أن أفتن فيه أو يعبث بى. قال: فقال رسول الله ﷺ: (ويل أُمِّه مُسَعِّر حرب لو كان معه رجال). ثم خرج أبو بصير حتى نزل العيص من ناحية ذى المروة على ساحل البحر بطريق قريش التى كانوا يأخذون عليها إلى الشام، وبلغ المسلمين الذين كانوا حبسوا بمكة ومن بينهم أبو جندل بن سهيل، قولُ رسول الله ﷺ لأبى بصير، (ويل أمه مسعر حرب لو كان معه رجال)، فخرجوا ومعهم أبو جندل إلى

أبى بصير بالعيص فاجتمع إليه منهم قريب من سبعين رجلا، وكانوا قد ضيقوا على قريش: لا يظفرون بأحد من قريش إلا قتلوه، ولا تمر بهم عير لقريش إلا اقتطعوها، حتى كتبت قريش إلى رسول الله ﷺ يسألونه بأرحامهم أن يؤوى هؤلاء إليه فلا حاجة بهم، فكتب رسول الله ﷺ إلى أبى بصير أن أقدم علينا أنت ومن معك، فلما وصل كتاب رسول الله ﷺ كان أبو بصير مريضاً، فأخذ الكتاب أبو جندل وبينما هو يقرأ فاضت روح أبى بصير إلى ربها، فقام أبو جندل ومن معه بتجهيزه والصلاة عليه، ثم بنى أبو جندل على قبره مسجداً.

(راجع أُسد الغابة لابن الأثير المجلد الخامس ص ٣٥، والاستيعاب فى معرفة الأصحاب لابن عبد البر جـ٦ ص ٤٣٥)، وجاء فى السيرة الحلبية والسيرة الشامية وتاريخ الإسلام للذهبى (فدفنه أبو جندل مكانه، وجعل عند قبره مسجداً).

فمن كل ما تقدم يتضح أن الصحابة وعلى رأسهم أبو

جندل بن سهيل بن عمرو اتخذوا على قبر أبى بصير مسجداً فى حياة النبى ﷺ، ولم يأمرهم بهدمه، بل أقرهم على ذلك، ويستحيل أن يقر النبى ﷺ على باطل.

أيها الوهابيون: إن من يعرف سيرة الصحابة مع الرسول ﷺ يعلم أنه لا يمكن إحداث أمر عظيم مثل هذا – وهو اتخاذ مسجد على قبر أبى بصير – ولا يذكرونه للنبى ﷺ وهو رسول الله ﷺ، وخليفته فى خلقه، والأمر أمره، والحكم حكمه، والصحابة كلهم جنده ونوابه ومنفذوا أمره، وكذلك يستحيل أن يحدث مثل هذا من أصحابه الذين هم تحت حكمه وأمره ويكون ذلك حراماً ملعوناً فاعله يجر إلى كفر وضلال ثم لا يُعْلِمه الله تعالى به، ولا يوحى إليه فى شأنه، كما أعلمه بمسجد الضرار وقصد أصحابه من بنائه، وأمر ﷺ بهدمه، فإذن لا شك أن النبى ﷺ اطلع على بنائهم المسجد على قبر أبى بصير ولم يأمرهم بهدمه، إذ لو أمر بذلك لنقل فى نفس الخبر أو غيره، لأنه شرع لا يمكن أن يضيع بل يستحيل ذلك،

لخبر الله تعالى أنه حفظ الدين من أن يضيع منه شـــيء، ولا يصل إلى آخر هذه الأمة ما وصل إلى أولها، فلما لم يأمر بهدمه دل ذلك على جوازه.

ثانياً: إن كل ما يستفاد من هــذه الأحاديــث – علــى فرض صحتها– هو أن النبى ﷺ نهى عن بناء المــسجد على روضات الصالحين أو بجوارها، ولكن لا يوجد دليل قطعى يثبت أن هذا النهى هو نهى تحريمى، بل يحتمل أن يكون نهياً تنزيهياً– وبالاصطلاح – كراهياً، وهذا بالضبط ما استنبطه البخارى فى صحيحه حيث ذكر هذه الأحاديث تحت عنوان: (باب ما يكره من اتخــاذ المــساجد علــى القبور).

ويشهد لذلك أيضاً أن النهى مقرون بلعــن (زائــرات القبور) فى حديث النسائى.

ومن الثابت أن زيارة القبر للمرأة مكــروه – بــسبب بعض الأمور – لا حرام.

فإذا كان النبى ﷺ وآله يلعن زائرات القبور، فلا يدل

اللعن على الحرمة، لأن كثيراً من المكروهات ورد اللعن على مرتكبها فى الأحاديث، والهدف من اللعن هو شــدة الكراهية والبعد عن رحمة الله تعالى، فمــثلا جــاء فــى الحديث: (لعن الله ثلاثة: آكل زاده وحده، والنائم فى بيت وحده، وراكب الفلاة وحده).. مع العلم أن هــذه الثلاثــة ليست محرمة.

وفى ختام هذا الفصل نؤكد على أن بناء المساجد على روضات الصالحين كانت سنة رائجة فى صدر الإسلام.

يقول السمهودى– فى وفاء الوفا– فى حديث ذكر فيــه وفاة السيدة فاطمة بنت أسد أم الإمام أمير المؤمنين على– عليه السلام–: (فلما توفيت خرج رسول الله ﷺ فأمر بقبرهــا فحفر فى موضع المسجد الذى يقال له اليوم: قبر فاطمة).

ويقصد السمهودى أن موضع قبر فاطمة بنــت أســد تحوَّل بعد ذلك إلى مسجد، ويقول أيضاً:

(إن مصعب بن عمير وعبد الله بن جحش دفنا تحــت المسجد الذى بنى على قبر حمزة).

وقد كان ذلك المسجد موجوداً حتى احتلال الوهابيين لهذه البقاع المقدسة، حيث عمدوا إلى هذا المسجد – ومساجد وآثار كثيرة – فهدموها بمعاول الاستعمار البريطانى الأثيم.

وختاماً:

من ذلك كله يعلم أن البناء على القبور واتخاذ المساجد عليها لاحقاً وسابقاً راجح إذا كان على روضة نبى أو ولى أو عالم أو عابد أو صالح وغيرهم، ممن يكون تعظيمه من تعظيم شعائر الله تعالى. وهذا الوجه مما يهدم كل أساس بنى عليه الوهابية شبهاتهم ولا يرتاب فيه إلا مكابر معاند، فإنك إذا أحطت علماً بما سردناه فى هذا الفصل والفصل السابق من جواز بناء الحجرة الشريفة النبوية وما بنى على روضات الصالحين من الصحابة والأئمة والأولياء والصلحاء، علمت أن المسلمين عموماً– من الصدر الأول إلى اليوم من جميع النحل والمذاهب الإسلامية– متفقون على جواز البناء على القبور وعقد

القباب عليها، عدا الوهابية، فإنهم مخالفون لما عليه الأمة الإسلامية جمعاء ولمذهب السلف الصالح الذين يتغنون دائماً بأنهم متبعون له – كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبا – حيث اتفق الصحابة جميعاً ومنهم الخلفاء الأربعة على دفنه ﷺ فى بيته وحجرته التى كان يسكنها مع زوجته أم المؤمنين السيدة عائشة رضى الله عنها وهى مبنية مسقفة، ولو كان البناء على القبور غير جائز لما خفى على الصحابة عموماً، ولو حرم ابتداء لحرم استدامة، ثم دفن أبو بكر وعمر مع النبى ﷺ فى تلك الحجرة، وعد ذلك أعظم منقبة لأبى بكر وعمر رضى الله عنهما.

وتتابع ابن الزبير وعمر بن عبد العزيز وملوك الإسلام وأمراؤهم فى بناء الحجرة الشريفة، والقبة المنيفة، جيلاً بعد جيل، وقرناً بعد قرن، وخلفاً عن السلف، متقربين بذلك إلى الله راجين ثوابه، ولم يسمع من أحد أنه لامهم على هذا الفعل، أو خطأهم فيه أو منعهم

منه من العلماء الذين كانت لهم الكلمة النافذة عند الملــوك والأمراء، وليس ترك ذلك شيئاً مخلاً بسلطتهم وسياستهم للملك حتى يخافهم العلماء فيه، بل هو أمر دينى محض لا يخالفهم فيه ملك ولا أمير. ولا يخــرج قــصد الملــوك والأمراء فى ذلك عن أحد أمرين:

طلب الثواب منه تعالى، والفخر عند الناس، كل ذلــك لا يتم لهم مع نهى العلماء عنه وتحريمه، فإذا كــان هــذا الأمر الذى اتفق عليه الــصحابة مــن صــدر الإســلام والتابعون وتابعوا التابعين وعلماء المــسلمين وعــامتهم وملوكهم وصعاليكهم خلفاً عن سلف، وجيلاً بعــد جيــل، قطعياً وجماعياً، ففى أى حكم فى الشريعة يمكن دعــوى القطع والإجماع؟ وإذا لم يكن السلف قدوة فى مثــل هــذا ففى أى شىء يقتدى بهم؟!.

D:\كتب\الوهابية\٢٤doc.

وإلى الجزء الثــانى مــن كتــاب (موحــدون لا قبوريون) لنواصل الحديث عن:

١- زيارة روضات الأنبياء والأولياء.

٢- التوسل بالأنبياء والأولياء.

٣- الحلف بحق الأنبياء والأولياء.

٤- النذر للصالحين والصلاة بمساجدهم.

سلسلة الفتوحات العزمية

(٢٥)

موحدون لا قبوريون

الجزء الثانى

لجنة البحوث والدراسات
بالطريقة العزمية

جميع حقوق الطبع والنشر والتصوير
والاقتباس والترجمة والنقل محفوظة

الطبعة الأولى

ذو القعدة ١٤٢٧هـ - ديسمبر ٢٠٠٦م

عنوان الكتاب	موحدون لا قبوريون
المؤلف	لجنة البحوث والدراسات بالطريقة العزمية
الناشر	دار الكتاب الصوفى
عنوان الناشر	١١٤ ش مجلس الشعب- السيدة زينب
رقم التليفون	٠٢/٣٩٠١٠٣٠
رقم الإيداع	٢٠٠٦/١٨٦٠٤م
الترقيم الدولى	٩٧٧-٥٢٧٣-٧٣-٥

محتويات الكتاب

الموضوع		الصفحة
الافتتاحـــية:	**خطر الوهابية على الأمة الإسلامية**	٤
الفصل الثالث:	**الوهابيون وزيارة روضات الأولياء**	٢٠
	أولا: الزيارة	٢٣
	ثانيا: السفر للزيارة	٤١
الفصل الرابع:	**مشروعية التوسل بالأنبياء والأولياء**	٥٢
	أولا: أدلة التوسل من القرآن الكريم	٥٩
	ثانيا: أدلة التوسل من السنة الشريفة	٦٠
الفصل الخامس:	**مشروعية الحلـف بحـق الأنبيـاء والأولياء**	٨٠
	أولا: الحلف على الله بحق الأولياء	٨٠
	ثانيا: الحلف بغير الله تعالى	٨٨
الفصل السادس:	**النذر للصالحين والصلاة بمساجدهم**	١٠٣
	أولا: الصلاة فى مساجد الصالحين	١٠٣
	ثانيـا: الإضـاءة عنـد روضـات الصالحين	١١٦
	ثالثا: النذر للصالحين	١١٨

الافتتاحية

خطر الوهابية على الأمة الإسلامية

الحمد لله رب العالمين، المعروف من غير رؤية، والخالق من غير منصبة، خلـق الخلائـق بقدرتـه، واستعبد الأرباب بعزته، وساد العظماء بجوده، وهـو الذى أسكن الدنيا خلقه، وبعث إلى الجـن والإنـس رسله، ليكشفوا لهم عن غطائها، وليحـذروهم مـن ضرائها، وليضربوا لهم أمثالها، وليبصروهم عيوبها، وليهجموا عليهم بمعتبـر مـن تـصرف مـصاحها وأسقامها، وحلالها وحرامها.. وما أعد الله للمطيعين منهم والعصاة، من جنة ونار، وكرامـة وهـوان.. نحمده إلى نفسه كما استحمد إلى خلقه، جعل لكل شئ قدرا، ولكل قدر أجلا، ولكل أجل كتابا.

والصلاة والسلام على حبيبك ومصطفاك، قبـضة نورك فى عالم (كن)، والسيد الذى واثقت لأجله أولى

العزم من كُمَّل رسلك، والحبيب المصطفى الذى لو جاءه الظالم لنفسه مستغفرا لوجدك عنده.. سيدنا ومولانا محمد.

اللهم صل وسلم وبارك عليه وآله، صلاة تجمعنا بها عليه ﷺ جامعة تحققنا بها بكمال معيته، حتى نفوز بالاستمداد الروحانى المحمدى، ونحظى بالكشف العينى، فتكون أحوالنا وأعمالنا صادرة عن حق متابعة، وكمال مشابهة، فلا يغيب عنا ﷺ فى حال وشأن، ولا يقظة ولا منام، بالكشف والعيان، أو بالفهم والبيان.. آمين يا رب العالمين.

أما بعد:

لقد علمت- أيها الأخ والحبيب فى الله ورسوله ﷺ- من كتب السلسلة السابقة أن مبادئ الطريقة الوهابية، وأورادها وأحزابها وخط سيرها هو ذم جميع أهل الملة السمحاء، ورميهم بالكفر والشرك وعبادة الأوثان، وارتكاب البدع.. وأن جميع المريدين

والسالكين لهذه الطريقة الغريبة يقدسون رسائل قطبهم ابن عبد الوهاب، ولاسيما الرسالة التى أتى فيها بالمعجزات الباهرة، والكرمات الفائقة فى سب المسلمين وتكفيرهم، وسماها (كشف الشبهات).

ثم أحطت علما بأن من الذين أيدوه فى طريقته ووصلوا إلى سب المسلمين على يديه محمد بن سعود أمير الدرعية.. وأن هذا الخليفة المطمطم ينسب نفسه إلى بنى حنيفة الذين اتخذوا صنما من عجوة وأكلوه. ثم آمنوا بمسيلمة الكذاب، وأيدوه ونصروه واتبعوا الباطل الذى زينه الشيطان له.

ولابن عبد الوهاب أربعة أولاد، هم: عبد الله وحسن وحسين وعلى، ويسميهم دراويش ابن عبد الوهاب (أولاد الشيخ)، وكان عبد الله أكبرهم سناً، وأعظمهم تعصباً، وقد رزق بولدين وهما: سليمان وعبد الرحمن، فأعطى لسليمان العهد على سب المسلمين، فقام سليمان بما عهد إليه أبوه، وصار

الإسلام والمسلمين سخرية ومذمة فى أفواه هؤلاء الخوارج، وكانوا يغزون القبائل، وإذا تسلطوا عليها جعلوا أموالها.. غنيمة، وأخذوا الخمس وأعطوا للغزاة الأربعة أخماس، ثم سلطوها على القبائل الأخرى، وإلا أبادوها عن آخرها.. وقد غزوا أرض الحجاز فى سنة ١٢٠٢ فى عهد السلطان سليم الثالث وتغلبوا على أميره (غالب)، ثم اتسع نفوذهم حتى اقتربوا من بغداد والشام والبصرة، وكانوا يقتلون الكبار، ويذبحون الصغار على صدور أمهاتهم ويقولون: هؤلاء أولاد المشركين، وهم نجس.. وكانوا ينهبون ما تصل إليه أيديهم، وَيَسْبُونَ النساء، ويهدمون أبنية الأولياء والصلحاء، والعلماء.. وقد هدموا قبة سيدنا عبد الله بن عباس رضى الله عنهما، وذبحوا نحو سبعين ألفاً من الأشراف والعلماء والصالحين والأولياء على روضته ﷺ.

وقال الجبرتى فى تاريخه: إنهم كانوا يستحلون دم

المسلمين، ويقولون لمن يلقونه من المسلمين (هاه يا مشرك) ولا يقولون هذا للنصارى ولا لليهود. بل عندهم اليهود والنصارى أفضل من المسلمين، وهذه عقيدتهم إلى الآن، فهم يكرهون المسلمين ويزعمون أنهم مشركون، ويحبون النصارى واليهود ويوالونهم الصداقة والإخاء.

كثرت شكاوى المسلمين من هذه الفئة الضالة إلى دار الخلافة، وإلى جميع زعماء المسلمين، فأصدر السلطان محمود أمره لوالى مصر محمد على باشا، أن يضربهم بيد الحق، ويطهر أرض الحجاز منهم، فجهز محمد على باشا جيشا عقد لواءه لابنه البطل العظيم طوسون باشا، وبعث بعض العلماء ومنهم الشيخ المهدى، والسيد أحمد الصاوى، والسيد أحمد المحروقى، فهجم عليهم جيش الخلاص، وهم سكارى بنشوة النصر والسلب والنهب، وهزمهم شر هزيمة ومزقهم كل ممزق، وطهر أرض الحرمين منهم،

وتابعتهم الجيوش المصرية إلى ديارهم.

ولما طارت بشائر طردهم إلى مصر والبلاد الإسلامية، أقام المصريون وكافة المسلمين الزينات، ومكث محمد على باشا بالحجاز تسعة عشر شهرا، ولما كان محمد على باشا ولياً تقياً مجاهداً للحق بالحق، فقد تحقق على يديه ما روى البزار بسند عن السيدة عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها أنها قالت: (ذكر رسول الله ﷺ الخوارج فقال: هم أشرار أمتى يقتلهم خيار أمتى)(١)، ولما كان إبليس منظوراً إلى يوم يبعثون، فالفتن كذلك منظورة معه إلى يوم البعث.

ولما همَّ سليمان بن عبد الله بنشر الطريقة الوهابية

(١) راجع فى هذه السلسلة كتاب (خونة الإسلام) الجزء الثانى، حيث أكدت أحاديث رسول الله ﷺ أن أوصاف خوارج آخر الزمان تنطبق تماماً على الوهابية وأتباعها.

وعلم بذلك المرحوم إبراهيم باشا استأذن والده محمد على باشا فى قتله، فجاءه الإذن فقضى عليه، واعتقل أخاه عبد الرحمن، وأرسله إلى مصر فمات بها واستراح المسلمون من كيدهما.

ولقد وضع الشيخ عبد الملك القلعى مفتى مكة المكرمة فى عام خروجهم تاريخ ذلك العام بقوله: (قطع دابر الخوارج).. وهو سنة ١٢٢٧، ولم يعتبرهم الشيخ ولا غيره من الخوارج إلا بعد أن تدبروا أعمالهم التى سردناها، وعقائدهم التى شرحناها، واطلعوا على ما ورد فى حق الخوارج وهو كثير.

قال الشيخ أمين المعروف بابن عابدين فى حاشيته (رد المحتار على الدر المختار): يكفى فى مسمى الخوارج اعتقادهم كفر من خرجوا عليه، كما وقع فى زماننا من أتباع ابن عبد الوهاب الذين خرجوا من نجد وتغلبوا على الحرمين، وكانوا ينتحلون مذهب

الحنابلة، لكنهم اعتقدوا أنهم هم المسلمون، وأن من خالف اعتقادهم مشرك، واستباحوا بذلك قتل أهل السنة، وقتل علمائهم حتى كسر الله تعالى شوكتهم وخرب بلادهم، وظفرت بهم عساكر المسلمين. أ.هـ.

وقد أخبر النبى ﷺ عن هؤلاء الخوارج وفتنتهم فى أحاديث كثيرة كلها صحيحة، بعضها فى صحيح البخارى ومسلم، وبعضها فى غيرهما ومنها قوله ﷺ: (الفتنة من هاهنا، الفتنة من هاهنا، وأشار إلى المشرق). قال العلماء: وإنما أشار إلى المشرق لأن أهله يومئذ أهل كفر، فأخبر أن الفتنة تكون من تلك الناحية.

قلنا لك: إن الطريقة الوهابية أقيمت على دعائم تكفير المسلمين بغير حق.. وأن أورادهم، وأذكارهم وأحزابهم، وذكرهم، وفكرهم هو الطعن فى الموحدين، تلقيناً من وليهم الأعظم وقطبهم المطمطم

الهائم فى تكفير المسلمين (محمد بن عبد الوهاب).

وجد الوهابيون أن الطعن فى المسلمين حسناً فى أفواههم، لذيذاً فى قلوبهم، فاتخذوه ديدناً.. وجمعوا جميع الاعتراضات والخلافات من الحواشى، واتبعوا ما تشابه منها ابتغاء الفتنة والتأويل، حتى ساروا فى واد والعالم الإسلامى فى واد.. بل ساروا على النقيضين من إجماع المسلمين.

فمن دعائم طريقتهم، وأخس أورادهم أن شيخهم كان يخطب فى مسجد الدرعية خطباً عكسية يكفر فيها المسلمين.. ويشنع فيها على من يتوسل برسول الله ﷺ، أو بغيره من الأنبياء، أو الملائكة والأولياء، أو يحلف بحقهم، أو ينذر لهم، ويعدون من يفعل شيئا من ذلك كافرا ومشركا، لا يعامل معاملة المسلمين، ولا يصلى عليه، ولا يدفن فى مقابر المسلمين.

ولقد سئل ابن عبد الوهاب من أين أوحى إليه بتكفير من يتوسل بالنبى ﷺ مع أن أهل السنة قاطبة–

حتى ابن تيمية- أجمعوا على صحة التوسل بالنبى ﷺ وغيره، فما كان جواب شيخ الطريقة الوهابية إلا أن سيدنا عمر رضي الله عنه استسقى بالعباس ولم يستسق بالنبى ﷺ!.

هذا جواب الشيخ وهذه حجته كلها، وهو يريد بذلك أن يقول أن التوسل بالحى جائز وبالميت كفر، لأن العباس كان حياً، والمعلوم عند أهل العلم أن الحى أو الميت لا ينفع بذاته بل النافع والضار هو الله تعالى، ولكن الله ينفع على يد من يشاء، ويضر كذلك على يد من يشاء، فيستوى الحى والميت فى ذلك.

ولا ندرى إذا كان شيخ الطريقة الوهابية كان حينما أجاب فاطناً إلى أن هذا الجواب حجة عليه، أم لم يفطن، استسقاء سيدنا عمر رضي الله عنه بالمخلوق الذى هو سيدنا العباس رضي الله عنه دليل واضح على جواز التوسل بغير الله تعالى، وإذا كان النبى ﷺ أفضل من العباس، ومن أقرب المقربين وهو حى وبعد انتقاله

إلى الرفيق الأعلى، وقد جاز التوسل بالمفضول، فالتوسل بالأفضل من باب أولى، وإنما توسل سيدنا عمر بسيدنا العباس وترك التوسل بالنبى ﷺ، أولاً: لبيان مقام العباس بين إخوانه، وكرامة العباس من معجزات رسول الله ﷺ وصدق نبوته، وثانياً: لأن سيدنا عمر علم بعين بصيرته أن هذه الطريقة الوهابية ستظهر فى الوقت الذى أشار إليه النبى ﷺ، فتوسل بتابع من أصحاب النبى ﷺ ليدلل على أن التوسل جائز بغير الله، لا يشترط فيه إلا أن يكون المتوسل به مقرباً إلى الله، وإذا كان سيدنا العباس رضي الله عنه مقرباً فالنبى ﷺ أقرب، وسيدنا على كرم الله وجهه أقرب من العباس وهو حى وقتذاك، فجاز التوسل بالمفضول مع وجود الفاضل.

إن سيدنا عمر رضي الله عنه هو الذى روى عن النبى ﷺ حديث توسل أبينا آدم به قبل أن يوجد ﷺ فى صورته البشرية على الأرض.

روى سيدنا عمر حديث توسل أبينا آدم بالنبى ﷺ، وتحقق أن التوسل به جائز حياً ومنتقلاً، ثم توسل بسيدنا العباس رضي الله عنه ليدلك على أن التوسل حتى بغيره ﷺ جائز، وهذه فراسة من سيدنا عمر، فقد كاشفه الله تعالى بأمر خروج الخوارج على الإجماع الإسلامى، فكان توسله بالعباس بعد روايته حديث توسل أبينا آدم بالنبى ﷺ قبل وجوده على الأرض، فزادنا رضي الله عنه علما وعقيدة بجواز التوسل بهم وبغيرهم، لتكون على بصيرة من الخوارج فى كل زمان ومكان.

يمنع خلفاء ابن عبد الوهاب التوسل بالنبى ﷺ وبغيره من الأنبياء والأولياء مع أن التوسل ورد صريحا عن النبى ﷺ وسلكه أصحابه والسلف الصالح من بعدهم، فمن ذلك ما جاء فى أدعيته ﷺ ومنها: (أسألك بنور وجهك الذى أشرقت له السموات والأرض، وبكل حق هو لك، وبحق السائلين عليك أن تقبلنى فى هذه الغداة، أو فى هذه العشية، وأن تجيرنى

من النار بقدرتك). وهذا التوسل بعض حديث طويل مذكور فى حصن ابن الجوزى وغيره، رواه الطبرانى فى الكبير. والدعاء عن أبى أمامة الباهلى رضي الله عنه، وصححه الحافظ الكبير عبد الغنى المقدسى مؤلف (الكمال فى أسماء الرجال)، كما نقله عنه ملا على القارئ فى شرح الحصن، وليس فيه طعن مطلقا، وقد كان النبى ﷺ يدعو به، والصحابة كذلك من بعده، والسلف الصالح من بعده.

هل ينكر دراويش وحلفاء ابن عبد الوهاب أن قوله ﷺ: (بحق السائلين) فيه توسل صريح بكل عبد مؤمن حى وميت؟!.

ومنها ما روى عن ابن ماجة بسند حسن صحيح عن أبى سعيد الخدرى رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (من خرج من بيته إلى الصلاة فقال: اللهم إنى أسألك بحق السائلين عليك، وأسألك بحق ممشاى هذا إليك، فإنى لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا رياء ولا سمعة،

خرجت اتقاء سخطك وابتغاء مرضاتك، فأسألك أن تنقذنى من النار، وأن تغفر لى ذنوبى فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، يا أرحم الراحمين، يا أكرم الأكرمين، أقبل الله عليه بوجهه أى: بمزيد إكرامه وإنعامه، واستغفر له سبعون ألف ملك).

وهذا الحديث أخرجه أيضا الإمام أحمد الذى يتمسك به الوهابيون، ورواه ابن خزيمة فى كتاب التوحيد، والبيهقى فى كتاب الدعوات، وأبو نعيم فى عمل اليوم والليلة، والطبرانى فى كتاب الدعاء.

فيعلم من قول رسول الله ﷺ: (أسألك بحق السائلين عليك، وبحق ممشاى)، أن التوسل يجوز بالأحياء وبالأموات، لأن السائلين أعم، ومن قوله: (بحق ممشاى) أن التوسل فضلا عن جوازه بالناس الصالحين أحياء وأمواتا، يجوز بالعمل الصالح وهو المخرج والممشى لصالح العمل.

قضية القبور:

بينا فى الجزء الأول من كتاب (موحدون لا قبوريون) أن أكبر الذرائع التى كفَّر الوهابيون الأمة بسببها هى زعمهم أن المسلمين قد عادوا إلى الشرك والوثنية بعبادة القبور، وهم يجمعون على تسمية مخالفيهم بالقبوريين، وقد وجدنا أن شبهاتهم تنحصر فى عشر شبهات، قمنا بتفنيد شبهتين فى الجزء الأول من هذا الكتاب، وهما: جواز بناء روضات الأولياء، وجواز بناء المساجد على المراقد.

وفى هذا الجزء (الثانى) من كتاب (موحدون لا قبوريون) سنقوم- بعون الله تعالى وتوفيقه- بتفنيد أربع شبهات أخرى وهى:

١- زيارة روضات الأنبياء والأولياء.
٢- مشروعية التوسل بالأنبياء والأولياء.
٣- مشروعية الحلف بحق الأنبياء والأولياء.
٤- النذر للصالحين والصلاة بمساجدهم.

وفى الجزء القادم (الثالث) سوف نستكمل باقى الشبهات العشرة التى يزعم الوهابيون أن المسلمين الموحدين قد عادوا إلى الشرك والوثنية بسببها.

هذه صرخة لبعث أمة، من نومة الغفلة ورقدة الجهالة، لتوحيد صفوفها، ونبذ اليهود- بأسماء إسلامية- المفرقين من بينها، ومعاملتهم بما يليق من معاملة الأعداء.. حتى نستعيد مجد سلفنا الصالح.. فنسأل الله تعالى أن يجمع أمرنا، ويهدى ضالنا، ويوفقنا لما يحب ويرضى.

لجنة البحوث والدراسات

بالطريقة العزمية

D:\كتب\الوهابية\٢٥doc.

الفصل الثالث

الوهابيون وزيارة روضات الأنبياء والأولياء

إن الإسلام بنى على كلمتين: كلمة التوحيد وتوحيد الكلمة، فيجب على الأمة الإسلامية أن تحفظ وحدة الكلمة وعُرى الأخوة، كما يجب عليها أن تحتفظ بكلمة التوحيد، فإنهما صنوان نابتان من أصل واحد.

فكما قال ربنا: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُوا﴾ (آل عمران: ١٠٣)، قال عز شأنه: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيراً﴾ (النساء: ١١٥).

وقال الإمام علىّ عليه السلام: (والزموا السواد الأعظم، فإن يد الله مع الجماعة، وإياكم والفرقة، فإن الشاذ من الناس للشيطان، كما أن الشاذ من الغنم للذئب، ألا

ومن دعا إلى هذا الشعار فاقتلوه ولو كان تحت عمامتى هذه).

فإذا كان توحيد الكلمة بهذه المكانة العالية، فما حال من شق عصا المسلمين، وبث فيهم الفرقة، ومزق صفوفهم، وشتت شملهم بغرس شكوك فى أمور طالما اتفقت عليها الأمة الإسلامية قبل أن يولد باذراً الشكوك- نعنى: ابن تيمية- وساقيها- نعنى: محمد بن عبد الوهاب-.

إن ما عرضناه عليك فى الجزء الأول من هذا الكتاب هو مقتضى نصوص الكتاب الحكيم وسنة النبى الأكرم ﷺ وآله، ونتيجة لما أجمعت عليه الأمة الإسلامية طوال القرون، فأى قيمة لكلمة أو كلمات تضاد كتاب الله وسنة نبيه ﷺ وما اتفقت عليه الأمة؟.

يعز على الأمة الإسلامية- وفى مقدمتها علماؤها ومفكروها- أن يوجد أناس فى (أم القرى) ومهبط الوحى يكفرون الأمة جمعاء من سُنَّة وشيعة، ولا يستثنون منهم إلا شذاذ الآفاق من بلاد نجد.

لا نطيل عليك أيها القارئ الكريم وقفتك لقراءة موضوع هذا الفصل، وهو: (مشروعية زيارة روضات الأولياء).. فبعد أن بينا فى الجزء الأول جواز بناء روضات الأولياء، ومشروعية بناء المساجد على المراقد.. وفندنا شبهات الوهابية وأباطيلها حول هذين الموضوعين، نبدأ هذا اللقاء بقولنا:

لقد أفتى علماء الإسلام وفقهاء الشريعة بجواز زيارة القبور- وخاصة روضات الأنبياء والصالحين- استناداً إلى مجموعة من الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة، وبالإضافة إلى الجواز فإنهم أفتوا باستحبابها وفضيلتها.

أما الوهابيون فإنهم- كما يبدو- لا يحرمون أصل الزيارة، بل يحرمون السفر وشد الرحال إلى زيارة روضات الصالحين، فالبحث هنا فى مرحلتين: (الزيارة، والسفر للزيارة).

أولاً الزيارة :

مما لا شك فيه أن زيارة القبور تنطوى على آثار أخلاقية وتربوية هامة، نشير إلها- مختصراً- فيما يلى:

إن مشاهدة هذا الوادى الهادئ الذى يضم فى أعماقه مجموعة كبيرة من الذين عاشوا فى هذه الحياة الدنيا ثم انتقلوا إلى الآخرة، وهم سواء.. الغنى والفقير، والقوى والضعيف، ولم يصحبوا معهم سوى ثلاث قطع من القماش فقط، إن مشاهدة هذا المنظر يهز الإنسان قلباً وروحاً، ويخفف فيه روح الطمع والحرص على الدنيا وزخارفها وشهواتها، ولو نظر الإنسان إليها بعين الاعتبار لغير سلوكه فى هذه الحياة، واعتبر لآخرته، وراح يخاطب نفسه: إن هذه الحياة المؤقتة لابد أن تزول، وإن الفترة التى أعيشها لابد أن تنتهى ويكون مصيرى إلى حفرة عميقة، تتراكم علىّ تلال من التراب، وهناك الحساب، إما

D:\كتب\الوهابية\doc٢٥.

ثواب وإما عذاب، فلا تستحق هذه الحياة المؤقتة أن يجهد الإنسان نفسه من أجل المال والجاه والمنصب، فيظلم هذا ويؤذى ذاك، ويرتكب الجرائم والمنكرات.

إن نظرة تأمل إلى هذا الوادى الساكن يرقق القلب مهما كان قاسياً، ويُسمع الإنسان مهما كان صُمَّاً، ويفتح العيون مهما كانت حالكة، وكثيراً ما تدفع بالإنسان إلى إعادة النظر فى سلوكه وحياته، والشعور بالمسؤوليات الكبيرة أمام الله تعالى والناس.

يقول الرسول الأعظم ﷺ كما ذكر ابن ماجة فى سننه: (زوروا القبور فإنها تذكركم بالآخرة)، بالرغم من أن مسألة زيارة القبور ليست بحاجة إلى إقامة الدليل والبرهان على صحتها وضرورتها، ولكننا نضطر إلى التحدث عنها لأولئك الذين يتوقفون فيها.

القرآن وزيارة القبور :

إن الله تعالى ينهى حبيبه سيدنا ومولانا محمداً ﷺ عن الصلاة على جنازة المنافق والقيام على قبره،

فيقول سبحانه: ﴿وَلاَ تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَداً وَلاَ تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ﴾ (التوبة: ٨٤).

فالآية تسعى لهدم شخصية المنافق، وهز العصى فى وجوه حزبه ونظرائه، والنهى عن هذين الأمرين بالنسبة للمنافق معناه ومفهومه: مطلوبية هذين بالنسبة لغير المنافق.

والآن يجب أن ننظر فى قوله تعالى: ﴿وَلاَ تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ﴾.. ما معناه؟.

هل المعنى هو القيام وقت الدفن فقط، حيث لا يجوز ذلك للمنافق ويستحب للمؤمن؟ أم المعنى أعم من وقت الدفن وغيره؟.

الجواب: بعض المفسرين نظروا إلى الآية نظرة ضيقة فقالوا بالقول الأول، ولكن بعضاً آخرين- كالبيضاوى وغيره- نظروا إليها نظرة واسعة فقالوا: إن النهى فى ﴿وَلاَ تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ﴾، هو عن الدفن والزيارة. والتدقيق وإمعان النظر فى الآية الكريمة

يسوقنا إلى هذا المعنى الأعم، وذلك لأن الآية تتشكل من جملتين:

الأولى: ﴿وَلاَ تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَداً﴾..

إن لفظة (أحدٍ) بحكم ورودها فى سياق النفى تفيد العموم والاستغراق لجميع الأفراد، ولفظة (أبدا) تفيد الاستغراق الزمنى، فيكون معناها: لا تصل على أحد من المنافقين فى أى وقت كان.

فمع الانتباه إلى هذين اللفظين نعرف- بوضوح- أن المراد النهى عن الصلاة على الميت المنافق ليس خصوص الصلاة على الميت عند الدفن فقط، لأنها ليست قابلة للتكرار فى أزمنة متعددة، ولو أريد ذلك لم تكن هناك حاجة إلى لفظة (أبداً)، بل المراد من الصلاة فى الآية مطلق الدعاء والترحم سواء كان عند الدفن أم غيره.

فإن قال قائل: إن لفظة (أبداً) تأكيد للاستغراق الأفرادى لا الزمانى.

فالجواب:

١) إن لفظة (أحدٍ) أفادت الاستغراق والشمول لجميع المنافقين.

٢) إن لفظة (أبداً) تستعمل فى اللغة العربية للاستغراق الزمانى، كما فى قوله تعالى: ﴿وَلاَ أَن تَنكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَداً﴾ (الأحزاب: ٥٣).

فالنتيجة: إن المقصود هو النهى عن الترحم على المنافق وعن الاستغفار له، سواء كان بالصلاة عليه أو بغيرها.

الثانية: ﴿وَلاَ تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ﴾.. إن مفهوم هذه الجملة- مع الانتباه إلى أنها معطوفة على الجملة السابقة- هو: لا تقم على قبر أحدٍ منهم أبداً، لأن كل ما ثبت للمعطوف عليه من القيد- أعنى (أبداً)- يثبت للمعطوف أيضاً، ففى هذه الحالة لا يمكن القول بأن المقصود من القيام على القبر هو وقت الدفن فقط، لأن المفروض عدم إمكان تكرار القيام على القبر وقت الدفن، كما كان بالنسبة للصلاة، ولفظة (أبداً) المقدرة فى هذه الجملة الثانية تفيد إمكانية تكرار هذا

العمل، فهدا يدل على أن القيام على القبر لا يختص بوقت الدفن.

وإن قال قائل: إن لفظة (أبداً) المقدرة فى الجملة الثانية معناها الاستغراق الأفرادى.

قلنا: قد سبق الجواب عليه، وأن لفظة (أحدٍ) للاستغراق الأفرادى، لا لفظة (أبداً) فهى للاستغراق الزمانى.

فيكون معنى الآية الكريمة: إن الله تعالى ينهى نبيه ﷺ وآله عن مطلق الاستغفار والترحم على المنافق، سواء كان بالصلاة أو مطلق الدعاء، وينهى عن مطلق القيام على القبر، سواء كان عند الدفن أو بعده.

ومفهوم ذلك هو أن هذين الأمرين يجوزان للمؤمن.. وبهذا ثبت جواز زيارة روضة المؤمن، وجواز قراءة القرآن على روحه، حتى بعد مئات السنين.

هذا بالنسبة إلى المرحلة الأولى وهى أصل الزيارة من وجهة القرآن، وأما بالنسبة إليها من ناحية

الأحاديث فإليك بيانها:

الأحاديث الشريفة وزيارة القبور :

يستفاد من الأحاديث الشريفة- التى رواها أصحاب الصحاح والسنن- أن النبى ﷺ نهى عن زيارة القبور نهياً مؤقتاً لأسباب خاصة، ثم رفع النهى وحبَّذ إلى الزيارة.

ولعل علة النهى المؤقت هى أن الأموات كانوا مشركين وعبدة للأصنام، وقد قطع الإسلام كل العلاقات مع الشرك وأهله، فنهى النبى ﷺ عن زيارة الأموات، ويؤيد هذا الاحتمال ما كان يقوله ﷺ عند زيارته لأهل القبور: (دار قوم مؤمنين).

ويحتمل أن تكون العلة شيئاً آخر، وهو أن المسلمين كانوا حديثى عهد بالإسلام، فكانوا ينوحون على قبور موتاهم نياحة باطلة تخرجهم عن نطاق الشريعة، ولما تمركز الإسلام فى قلوبهم وأنسوا بالشريعة والأحكام، ألغى النبى ﷺ بأمر الله تعالى

النهى عن زيارة القبور، لما فيها من الآثار الحسنة والنتائج الطيبة، ولهذا روى أصحاب الصحاح والسنن كابن ماجة والترمذى أنه ﷺ قال:

(كنت نهيتكم عن زيارة القبور، فزوروها فإنها تزهد فى الدنيا وتذكر الآخرة).

وعلى هذا الأساس كان ﷺ يزور روضة السيدة آمنة بنت وهب رضوان الله عليها، وكان يأمر الناس بزيارة القبور، لأن زيارتها تذكر بالآخرة.

وقد روى مسلم فى صحيحه: (زار النبى قبر أمه، فبكى وأبكى من حوله.. وقال: استأذنت ربى فى أن أزور قبرها فأذن لى، فزوروا القبور فإنها تذكركم الموت).

وقالت السيدة عائشة رضى الله عنها؛ كما روى أبو داود وابن ماجة: (إن رسول الله ﷺ رخص فى زيارة القبور).

وقالت كما روى مسلم والنسائى: إن النبى ﷺ قال: (فأمرنى ربى أن آتى البقيع فأستغفر لهم.. قلت:

كيف أقول يا رسول الله؟.. قال: قولى: السلام على أهل الديار من المؤمنين والمسلمين، يرحم الله المستقدمين منا والمستأخرين، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون).

وجاء فى سنن النسائى فى أحاديث أخرى نص الكلمات التى كان رسول الله ﷺ يقولها عند زيارة القبور، وهى: (السلام عليكم دار قوم مؤمنين، وإنا وإياكم متواعدون غداً ومواكلون، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون، اللهم اغفر لأهل بقيع الغرقد).

وجاء فى حديث آخر للنسائى نص الكلمات بما يلى: (السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون، أنتم لنا فرط ونحن لكم تبع، أسأل الله العافية لنا ولكم).

وفى حديث ثالث فى سنن أبى داود: (السلام عليكم دار قومٍ مؤمنين، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون).

ويستفاد من حديث السيدة عائشة رضى الله عنها، الذى ورد فى صحيح مسلم أن النبى ﷺ كان يخرج

إلى البقيع فى آخر الليل من كل ليلة، ويقول: (السلام عليكم دار قومٍ مؤمنين، وأتاكم ما توعدون وغداً مُوَجَّلون، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون، اللهم اغفر لأهل بقيع الغرقد).

ويستفاد من حديث آخر فى صحيح مسلم أن النبى ﷺ كان يزور المقابر مع جماعة من أصحابه، ويعلمهم كيفية الزيارة: (كان رسول الله ﷺ يعلمهم- إذا خرجوا إلى المقابر- فكان قائلهم يقول: السلام على أهل الديار، أو السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون، أسأل الله لنا ولكم العافية).

النساء وزيارة القبور:

المسألة الأخيرة التى ينبغى التحدث عنها هى: زيارة النساء للقبور، وقد روى فى بعض الأحاديث أن رسول الله ﷺ نهى عن زيارة النساء للقبور كما جاء فى سنن ابن ماجة؛ (لعن رسول الله ﷺ زوَّارات

القبور).

ولكن يجب الانتباه إلى أن تحريم النساء من زيارة القبور- استدلالاً بهذا الحديث- غير صحيح، وذلك لعدة أمور:

الأول: إن كثيراً من العلماء يعتبرون هذا النهى نهى تنزيه وكراهة، وقد جاءت الكراهة لأسباب خاصة بذلك الزمان، يشير إليها صاحب كتاب: (مفتاح الحاجة فى شرح صحيح ابن ماجة)، فيقول: (اختلفوا فى الكراهة هل هى كراهة تحريم أو تنزيه؟.. ذهب الأكثر إلى الجواز إذا أمنت الفتنة).

الثانى: لقد مرَّ عليك- فى حديث السيدة عائشة عليها رضوان الله- أن النبى ﷺ رخص فى زيارة القبور.

فلو كان الترخيص خاصاً بالرجال لكان اللازم أن تذكر السيدة عائشة ذلك، خاصة وأنها من النساء، ومن الطبيعى أن النساء كن يتواجدن فى مسجد رسول الله ﷺ، وكان كل مخاطب يعتبر نفسه مشمولاً

للحكم إلا إذا صرح بالاستثناء.

ثالثاً: وقد مرّ عليك أيضاً أن النبى ﷺ علّم السيدة عائشة ما ينبغى قوله عند زيارة القبور، وكانت السيدة عائشة تزور القبور بعد رسول الله ﷺ وآله.

رابعاً: يروى الترمذى أنه لما مات عبد الرحمن ابن أبى بكر- شقيق السيدة عائشة رضى الله عنها- فى (الجُنْتى)، حملوا جثمانه إلى مكة ودفنوه فيها، ولما جاءت السيدة عائشة إلى مكة- من المدينة- خرجت لزيارة قبر أخيها وأنشدت بيتين من الشعر فى رثائه.

يقول شارح صحيح الترمذى- الحافظ ابن العربى المولود سنة ٤٣٥ هـ والمتوفى سنة ٥٤٣ هـ-: (الصحيح أن النبى ﷺ سمح للرجال والنساء بزيارة القبور، والذى يقول بالكراهة فإنما هو بسبب جزعهن عند القبر وقلة صبرهن، أو لعدم رعايتهن للحجاب).

خامساً: يروى البخارى عن أنس أنه قال: (مرّ النبى ﷺ بامرأة تبكى عند قبر، فقال: إتقِ الله

واصبرى، قالت: إليك عنى، فإنك لم تصب بمصيبتى، ولم تعرفه.. فقيل لها: إنه النبى ﷺ!.. فأتت باب النبى ﷺ فقالت: لم أعرفك!.. فقال ﷺ: إنما الصبر عند الصدمة الأولى).

فإذا كانت زيارة القبور محرمة لنهاها النبى ﷺ عن الزيارة، ولكنك ترى أنه ﷺ أوصاها بالتقوى والصبر عند المصيبة، ولم ينهها عن زيارة المقابر.

سادساً: ذكر الحاكم فى المستدرك، والسمهودى فى وفاء الوفا، أن السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام بنت رسول الله ﷺ، كانت تخرج إلى زيارة روضة عمها حمزة، فى كل جمعة أو أقل من ذلك- وكانت تصلى عند روضته وتبكى.

سابعاً: يقول القرطبى: (لم يلعن النبى ﷺ كل امرأة تزور القبور، بل لعن المرأة التى تزور القبور دوماً، والدليل على ذلك قوله ﷺ: (زوّارات القبور)، وكملة (زوّار) هى صيغة المبالغة، وتدل على الكرة والتكرار).

ولعل العلة فى لعن (زوّارات القبور) هى أن الإكثار منها يؤدى إلى ضياع حق الزوج، ويجرها إلى التبرج المنهى عنه، ويكون مصحوباً بالبكاء بصوت عال، ولكن لو كانت الزيارة خالية عن كل محذور فلا إشكال فيها أبداً، لأن تذكر الموت والآخرة مما يحتاج إليه الرجل والمرأة على السواء.

ثامناً: إن زيارة القبور- فى الوقت الذى تؤدى إلى الزهد فى الدنيا وزخارفها- تعود بالنفع على الميت، إذ أن الزيارة- عادة- تكون مقرونة بتلاوة سورة الفاتحة وإهدائها إلى روحه، وهذه الهدية هى أفضل ما يقدمها الإنسان الحىّ إلى روح فقيده الغالى.

يروى ابن ماجة عن النبى ﷺ أنه قال: (إقرأوا يس على موتاكم) (حديث رقم ١٤٤٨).

فما هو الفرق بين الرجل والمرأة- من هذه الجهة- حتى تكون زيارة أحدهما جائزة والأخرى محرّمة، لولا المحذورات الخاصة المذكورة؟!.

والآن.. وبعد أن ثبت جواز زيارة القبور، جاء

دور التحدث عن الآثار الحسنة والنتائج الإيجابية لزيارة روضات أولياء الله الصالحين.

النتائج البنّاءة لزيارة روضات الشخصيات الدينية:

إن المراقد التى تحظى باهتمام واحترام المؤمنين بالله فى العالم- وخاصة المسلمين- هى فى الغالب روضات حملة الرسالات الإصلاحية الذين أدوا مهمتهم على الوجه المطلوب.

وهؤلاء ينقسمون إلى ثلاثة أقسام:

١) الأنبياء والقادة الدينيون الذين حملوا على عاتقهم رسالة السماء، وضحوا- من أجلها- بالنفس والمال والأحباب، وتحملوا أنواع المتاعب والمصاعب من أجل هداية الناس.

٢) العلماء والمفكرون الذين كانوا كالشمعة تُحرق نفسها لتُضئ للآخرين، وقد عاش هؤلاء حياة الزهد والحرمان، وقدموا للعالم البحوث القيمة والتحقيقات الرائعة فى مجالات العلم والفكر والطبيعة ومفاهيم

السماء وعلوم الكون والمخلوقات وغير ذلك.

٣) المجاهدون الثائرون الذين ضاقوا ذرعاً مما يعيشه المجتمع من الظلم وسحق الحقوق والتمييز العنصرى أو القومى، فثاروا ضد الظلم والطغيان وطالبوا بحفظ كرامة الإنسان وأداء حقوقه، وأقاموا صرح العدالة بدمائهم الغالية.

إن أية ثورة أو تغيير اجتماعى لا يقدَّر له النجاح إلا بدفع الثمن، وإن ثمن الثورة التى تستهدف تدمير قصور الظالمين وخنق أنفاسهم هو الدماء الزكية التى يضحى بها المقاتلون الأبطال لإعادة الحق والحرية إلى الوطن الإسلامى.

إن الناس يزورون روضات هؤلاء ويذرفون عندها الدموع، ويتذكرون بطولاتهم وتضحياتهم، ويسعدون أرواحهم بتلاوة آيات من القرآن الحكيم هدية إليهم، وينشدون قصائد فى مدحهم وثنائهم وتقدير مواقفهم المشرفة.

إن زيارة روضات هذه الشخصيات هى نوع من

الشكر والتقدير على تضحياتهم، وإعلام للجيل الحاضر بأن هذا هو جزاء الذين يسلكون طريق الحق والهدى والفضيلة والدفاع عن المبدأ والعقيدة.

إن جزاءهم هو خلود الذكر، الذكر الحسن والثناء الجميل، بالرغم من مرور الزمان على وفاتهم.

من هنا نعرف ضرورة إحياء ذكريات الشخصيات الدينية، وعلى هذا الأساس ينبغى العمل على إبقاء ذكرياتهم حيّة ساخنة، والمحافظة على آثارهم، وإقامة المهرجانات فى ذكرى مواليدهم، والحداد والحفلات التأبينية فى ذكرى وفياتهم، وعقد المجالس والاجتماعات الكبرى، وإلقاء الخطب المفيدة، وتعريف الناس على تلك القدوة الراقية وعلى معتقداتهم التى ضحوا من أجلها، واحترام مراقدهم وتجنب كل ما يمس بكرامتها، لأن احترام روضاتهم احترام لرسالاتهم وعقائدهم، كما أن أى نوع من الإهانة والتحقير تجاه روضاتهم هو فى الحقيقة إهانة لرسالاتهم وتحقير لشخصيتهم.

فى هذه الأيام عندما يدخل الإنسان فى مقبرة البقيع لزيارة روضات آل رسول الله ﷺ وروضات قادة الإسلام وحماة الدين والصحابة، يرى تلك الروضات فى حالة يرثى لها من الإهانة والتصغير، مما يهتز له الضمير وتأخذه الدهشة من قساوة قلوب الزمرة الوهابية التى تدعى حماية الإسلام وصيانته، حيث إنهم- من جانب- يذكرون الصحابة بالخير والتمجيد ويثنون عليهم على المنابر، ومن جانب آخر يتركون روضاتهم عارية عن كل احترام وتكريم، وفى حالة فظيعة من الإهانة والإهمال، ولا يبالون حتى لو أفسدت الحيوانات أطراف روضاتهم!.

أما لفظة الشرك والمشرك؛ فهى الهدية الوحيدة التى يقدمها الوهابيون إلى الحجاج والزائرين، يرمونهم بهذه الكلمات لأن المسلمين يعظمون قادة الدين ويمجدون أولياء الله الصالحين، فكأن الوهابيين يضمرون الحقد والبغضاء لأولياء الله وقادة دينه.

ثانياً السفر للزيارة :

إن الوهابيين- على ما يبدو- يجوزون أصل الزيارة، ولكنهم يحرمون السفر بهدف الزيارة.

يقول محمد بن عبد الوهاب- فى الرسالة الثانية من رسائل الهدية السنية-: (تسن زيارة النبى- ﷺ- إلا أنه لا يُشد الرحال إلا لزيارة المسجد والصلاة فيه).

والدليل الذى يتمسكون به فى تحريم الزيارة هو الحديث المذكور فى الصحاح عند مسلم وأبى داود والنسائى عن أبى هريرة أنه قال: قال رسول الله ﷺ: (لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: مسجدى هذا، والمسجد الحرام، والمسجد الأقصى).

وروى هذا الحديث بصورة أخرى وهى: (إنما يسافر إلى ثلاثة مساجد: مسجد الكعبة، ومسجدى، ومسجد إيليا).

وروى أيضاً بصورة ثالثة وهى: (تشد الرحال إلى

ثلاثة مساجد..).

لا شك فى وجود هذا الحديث فى الصحاح، ولسنا الآن فى مقام مناقشة الحديث، بل مقصودنا مفاد الحديث.

ولنفرض أن نص الحديث هو: (لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد..)، فمن الثابت أن (إلا) هى أداة الاستثناء ولابد من وجود المستثنى منه، ويجب تحديده، وبما أنه مفقود فى النص فلابد من تقديره فى الكلام، وقبل الإشارة إلى القرائن الموجودة يمكن تقدير المستثنى منه فى صورتين:

١) لا تشد الرحال إلى مسجد من المساجد إلا ثلاثة مساجد..

٢) لا تشد الرحال إلى مكان من الأمكنة إلا إلى ثلاثة مساجد..

إن فهم الحديث والوقوف على معناه يتوقف على أحد هذين التقديرين، فإن اخترنا التقدير الأول كان معنى الحديث عدم شد الرحال إلى أى مسجد من

المساجد سوى المساجد الثلاثة، ولا يعنى عدم جواز شد الرحال إلى أى مكان حتى لو لم يكن مسجداً.

فلا يشمل النهى من يشد الرحال لزيارة الأنبياء والأئمة الطاهرين والصالحين، لأن موضوع البحث هو شد الرحال إلى المساجد- باستثناء الثلاثة المذكورة- وأما شد الرحال إلى زيارة الروضات والمشاهد المشرفة فليس مشمولاً للنهى ولا داخلاً فى موضوعه.. هذا على التقدير الأول.

وأما على التقدير الثانى؛ فلازمه أن تكون كافة السفرات المعنوية- ما عدا السفر إلى المناطق الثلاث المذكورة- محرمة، سواء كان السفر من أجل زيارة المسجد أو زيارة مناطق أخرى.

ولكن القرائن والدلائل تشير إلى أن التقدير الأول هو الصحيح، بناء على صحة سند الحديث واعتباره.

أما القرائن على صحة التقدير الأول فهى كالآتى:

أولاً: لأن المساجد الثلاثة هى المستثناة، والاستثناء هنا متصل- كما هو واضح- فلابد أن يكون المستثنى

منه من جنس المستثنى وهو: المساجد لا المكان.

ثانياً: لو كان الهدف هو منع كافة السفرات المعنوية لما صح الحصر فى هذا المقام، لأن الإنسان يشد الرحال فى موسم الحج للسفر إلى عرفات، والمشعر، ومنى.. فلو كانت السفرات الدينية- لغير المساجد الثلاثة- محرمة، فلماذا يشد الرحال إلى هذه المناطق؟.

ثالثاً: لقد أشار القرآن الكريم والأحاديث الشريفة إلى بعض الأسفار الدينية، وجاء التحريض عليها والترغيب فيها، كالسفر من أجل الجهاد فى سبيل الله وطلب العلم وصلة الرحم وزيارة الوالدين وما شابه ذلك، فمن ذلك قوله تعالى: ﴿فَلَوْلاَ نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ (التوبة: ١٢٢).

ولهذا فقد فسر كبار الباحثين والمحققين الحديث المذكور بما أشرنا إليه، فمثلاً يقول الغزالى- فى كتاب إحياء العلوم-: (القسم الثانى: وهو أن يسافر

لأجل العبادة إما لحج أو جهاد.. ويدخل فى جملتــه: زيارة قبور الأنبياء عليهم الــسلام، وزيــارة قبــور الصحابة والتابعين وسائر العلماء والأولياء، وكل من يتبرك بمشاهدته فى حياته يتبرك بزيارته بعد وفاته، ويجوز شد الرحال لهذا الغرض، ولا يمنع من هــذا قوله ﷺ: (لا تشد الرحال إلا إلــى ثلاثــة مــساجد؛ مسجدى هذا، والمسجد الحرام، والمسجد الأقصى).. لأن ذلك فى المساجد، فإنها متماثلة فى الفضيلة بعــد هذه المساجد، وإلا فلا فرق بين زيارة قبور الأنبيــاء والأولياء والعلماء فى أصل الفضل، وإن كان يتفاوت فى الدرجات تفاوتاً عظيماً بحسب اختلاف درجــاتهم عند الله) (كتاب آداب السفر- طبعــة دار المعرفــة- بيروت- ج٢ ص٢٧٤).

من هنا.. فإن المنهى عنه- فى هذا الحديث- هو شد الرحال إلى غير المساجد الثلاثة، مــن المــساجد الأخرى، ولا علاقة له بالسفر للزيــارة أو لأهــداف معنوية أخرى.

وهنا لابد من الإشارة إلى أن النبى ﷺ عندما قال: (لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد..) فإنه لا يعنى أن شد الرحال إلى المساجد الأخرى حرام، بل معناه أن المساجد الأخرى لا تستحق شد الرحــال إليهــا، وتحمل مشاق السفر من أجل زيارتها، لأن المــساجد الأخرى لا تختلف- من حيث الفضيلة- مع الآخــر اختلافاً كبيراً، فالمسجد- سواء فى المدينــة أو فــى القرية أو فى المنطقة- لا يختلف مع الآخر اختلافــاً كثيراً، وعليه فلا داعى إلى أن يشد الإنسان الرحــال إليه، أما إذا شد الرحال إليه فليس عمله هذا حرامــاً ولا مخالفاً للسنة الشريفة.

ويدل عليه ما رواه أصحاب الــصحاح والــسنن كالبخارى ومسلم والنسائى: (كان رسول الله ﷺ يأتى مسجد قباء راكباً وماشياً فيصلى فيه ركعتين).

ولنا أن نتساءل: كيف يمكن أن يكون شد الرحال وقطع المسافات من أجل إقامة الصلاة- مخلصاً لله- فى بيت من بيوته سبحانه حراماً ومنهياً عنه؟!.

إذا كانت الصلاة فى المسجد مستحبة، فإن الظاهر أن مقدمة المستحب مستحبة أيضاً.

خلاصة القول

أن زيارة القبور على أقسام:

القسم الأول: أن يكون لمجرد تذكر الموت والآخرة، وهذا يكفى فيه رؤية القبور من غير معرفة بأصحابها، ولا قصد أمر آخر من الاستغفار لهم، ولا من التبرك بهم، ولا من أداء حقوقهم، وهو مستحب لقوله ﷺ: (زوروا القبور فإنها تذكركم الآخرة) [رواه مسلم والترمذى والنسائى وابن ماجة].

والإنسان إذا شاهد القبر تذكر الموت وما بعده، وفى ذلك عظة واعتبار، وهذا المعنى ثابت فى جميع القبور، ودلالة القبور على ذلك متساوية، كما أن المساجد غير المساجد الثلاثة متساوية لا يتعين شىء منها بالتعين، بالنسبة إلى هذا الغرض.

القسم الثانى: زيارتها للدعاء لأهلها، وهذا مستحب فى حق كل ميت من المسلمين، كما ثبت من زيارة النبى ﷺ لأهل البقيع، قال النووى فى شرح صحيح مسلم وهو حديث صحيح بلا شك، روى مسلم أنه كلما كانت ليلة عائشة من رسول الله ﷺ يخرج من آخر الليل إلى البقيع، فيقول: (السلام عليكم دار قوم مؤمنين وأتاكم ما توعدون). وكان رسول الله ﷺ فى كل سنة يزور شهداء بدر مرة أو مرتين، ويزور شهداء أحد فى كل جمعة، وتأسى به أبو بكر وعمر رضى الله عنهما، وصار أنس السالكين فى المقابر، فكان سيدنا عبد الله بن عمر رضى الله عنهما يأخذ المصحف ويخرج إلى القبور، فيجلس بينها، وصارت سنة أهل السلوك بعده، وهو إمامهم رضي الله عنه فى هذا.

هذا، وإن الأرواح لتنتفع بزيارة أهل الصلاح والتقوى، وتتنزل الرحمات على أهل القبور.

القسم الثالث: لأداء حقهم، فإن من كان له حق على الشخص، فينبغى له بره فى حياته، وبعد موته،

والزيارة من جملة البر، لما فيها من الإكرام، ويشبه أن تكون زيارة النبى ﷺ لروضة والدته السيدة آمنة عليها السلام من هذا القبيل.

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: (ما من أحد يمر بقبر أخيه المؤمن يعرفه فى الدنيا فيسلم عليه إلا عرفه ورد عليه السلام) [أورده الزبيدى، والسيوطى، وابن كثير فى تفسيره].

وروى عن السيدة فاطمة عليها السلام أنها كانت تزور روضة سيدنا حمزة رضي الله عنه، وشهداء أحد كل يوم جمعة، أو بين اليومين والثلاثة، وكفى بفعلها دليلاً وحجة.

القسم الرابع: للتبرك بأهله، إذا كانوا من أهل الصلاح والخير.. ويدخل فى ذلك روضات الأنبياء وروضات الأولياء والصالحين، وعلى رأسها روضة سيدنا ومولانا محمد ﷺ، ولم يشذ عن ذلك فى التاريخ الإسلامى بأسره إلا ابن تيمية وأتباعه الوهابية، الذين ينكرون زيارة روضة النبى ﷺ

وروضات الصالحين. والمتلخص من مذهب الإمام مالك: أن الزيارة قربة، والمذاهب الثلاثة الأخرى يقولون باستحبابها، واستحباب الإكثار منها، لأن الإكثار من الخير خير.

وقد رد على ابن تيمية وأتباعه العديد من علماء الأمة الأجلاء نذكر منهم: الإمام تقى الدين أبو الحسن على السبكى فى كتابه (شفاء السقام فى زيارة خير الأنام)، وسند المحدثين الشيخ محمد البرلسى فى كتابه (إتحاف أهل القرآن برؤية الأنبياء والملائكة والجان)، وشهاب الدين الخفاجى فى كتابه (نسيم الرياض شرح شفاء القاضى عياض)، وابن حجر الهيتمى المكى فى كتابه (الجوهر المنظم فى زيارة القبر المكرم) وغيرهم.

والسؤال الأخير ما هى فوائد زيارة روضات الأولياء؟ :

١- أن نتذكر عندها أن هؤلاء مؤمنون، اضطلعوا

بوقائع مجتمعاتهم، وحقائق الرسالة المحمدية، فحملوها وأدوا ما تحملوه عبر حياتهم، فنقتدى بهم، ونتأسى بجهادهم.

٢- نتعلم أن هؤلاء رأوا الانحرافات فى عالمنا الإسلامى على مر العصور والدهور، فلم يواجهوها بالخطب المنبرية فحسب، بل بتأجيج نار الثورة على تلك الانتكاسات والردات فى حياة الأمة الإسلامية، حتى إذا ما لقوا الله على ذلك كان موتهم رعباً لأقسى الجلادين قلباً، وهم يرتلون قول إمام المجاهدين سيدنا الحسين عليه السلام: (من لحق بى فقد استشهد، ومن لم يلحق لم يبلغ الفتح).

٣- إن سر عظمة هؤلاء أن أرواحهم حملت قيمهم التى آمنوا بها، وضحوا من أجلها، فكان حقاً على تلك القيم أن تحمل أرواحهم إلى آفاقها الرحبة، لتبقى الأرواح متألقة، تطل من سماواتها على زائريها من عشاق الجهاد.

الفصل الرابع

مشروعية التوسل بالأنبياء والأولياء

يعتبر التوسل بأولياء الله وأحبائه من المسائل المعروفة بين المسلمين فى كافة أنحاء العالم، وقد وردت أحاديث كثيرة فى جوازه واستحبابه، فليس ظاهرة غريبة، بل هو أمر دينى تعارف عليه المسلمون منذ فجر الإسلام حتى هذا اليوم، ولا تجد مسلما ينكره.

وطوال أربعة عشر قرنا لم ينكره أحد سوى ابن تيمية وتلاميذه فى القرن الثامن الهجرى، وبعد منه جاء محمد بن عبد الوهاب فاعتبر التوسل بأولياء الله بدعة – تارة – وعبادة للأولياء – تارة أخرى –.

لا شك أن عبادة غير الله شرك وحرام، وليس الحديث الآن عن العبادة ومعناها وحقيقتها، لأنه حديث مهم وحساس، إنما الحديث فى مشروعية

التوسل بالأولياء والأنبياء.. فنقول :

اعلم أن التوسل بالأنبياء وبأولياء الله تعالى علـــى صورتين:

١ – التوسل بالأنبياء والأولياء أنفسهم، كأن نقول:

"اَللّهُمَّ إنّى أتَوَسَّلُ إلَيْكَ بنَبِيِّكَ سيدنا مُحَمّدٍ – صلّى الله عليه وآله وسلّم – أنْ تَقْضِىَ حاجَتى".

٢– التوسّل بمنزلة الأنبياء والأولياء وجاهِهم عند الله تعالى، كأن نقول :

"اَللّهُمَّ إنّى أتَوَسَّلُ إلَيْكَ بجاه سيدنا مُحَمّدٍ وحُرْمَتِـــهِ وَحَقِّهِ أن تَقْضِىَ حاجَتى".

أما الوهابيون فإنهم يحرمون الصورتين معا، فى حين أن الأحاديث الشريفة وسيرة المسلمين تـــشهدان بخلاف ما يدعيـــه الوهـــابيون، وتؤكـــدان جـــواز الصورتين معا.

والسؤال الآن ما معنى الوسيلة لغة ؟

الوسيلة لغة : كل ما يتقرب به إلى الغير، توســـل إلى الله تعالى توسلا : عمل عملاً تقرب بـــه إليـــه،

D:\كتب\الوهابية\٢٥doc.

فتحقق منه أن التوسل لا يسمى عبادة قطعا، ولا يقال فيه عبادة إنما هو وسيلة إليها، والتوسل لا تقرب فيه للمتوسل به، ولا تعظيمه غاية التعظيم حتـــى يكـــون عبادة، وإنما يرى ذلك من باب الأدب.

أما أقسام التوسل فهى :

أولا : التوسل بالحى : لا خلاف عند كل المسلمين فى جواز التوسل بالحى، كتوسل الصحابة برســـول الله، وتوسل عمر بن الخطاب بالعباس عم رسول الله ﷺ وآله.

ثانيا : التوسل بالعمل الصالح : لا خلاف أيـــضا عند كل المسلمين على جواز التوسل بالعمل الصالح، لما ورد فى صحيح البخارى فى قصة الثلاثة الـــذين آووا إلى غار، فسال السيل فألقى على الغار صـــخرة سدت فمه، فصاروا لا يستطيعون الخروج فتوســـلوا إلى الله بأعمالهم الصالحة، فأنجـــاهم الله، وإذا جـــاز التوسل بالأعمال وهى مخلوقة، قال تعالى : ﴿**وَاللَّـــهُ**

خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ (الصافات: ٩٦). فكيف لا يجوز التوسل بصاحب العمل وهو مخلوق أيضاً؟.

ثالثا : التوسل بالميت : هنا نقطة الخلاف بين المسلمين، منهم من أيد، ومنهم من عارض، وعلى فرض عدم صحة الوسيلة بالميت، فإن الميت من مات فآل إلى سجين، أما من مات فرفع إلى عليين فليس بميت، قال تعالى : ﴿ **كَلاَّ إِنَّ كِتَابَ الأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّين ﴾(المطففين :١٨)**، وقال تعالى : ﴿**كَلاَّ إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّين ﴾ (المطففين :٧)**. وقال سبحانه : ﴿**وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ (آل عمران:١٦٩)**، فصحت الوسيلة بمن انتقلوا إلى عليين مفارقين الدنيا، لأنهم أحياء، والمتوسل إنما يتوسل إلى الله الذى لا يخفى عليه شىء فى الأرض ولا فى السماء. وإذا كان الشهداء أحياء، فكيف تكون حياة من أكرم الله باتباعه الشهداء بالحياة الدائمة؟.

وهنا نورد حجة تقصم ظهر كل معاند، وهى أنه

D:\كتب\الوهابية\doc٢٥.

ورد فى أحاديث الإسراء بالأسانيد الصحيحة، إن جبريل – عليه السلام – أنزل رسول الله ﷺ عند بيت لحم حيث ولد عيسى، وعند قبر موسى، فنزل وصلى، أى : دعا متوسلا إلى الله تعالى .. ومن أنكر الإسراء، وما أكرم به الله حبيبه ﷺ فيه، فهو عدو محارب يجب أن نتبرأ منه، لأن هذا الإسراء أمر معلوم من الدين بالضرورة .. وقد نفع الله الأحياء من أمة الإسلام بسيدنا موسى بعد انتقاله بتخفيف الصلاة.

قال الإمام المجدد السيد محمد ماضى أبو العزائم – رضي الله عنه – :

وإن كان أهل الجهل لم يتوسلوا
بميت ولكن ما لهم برهان
توسل بمحبوب إلى الله موقناً
بنيل العطايا يمنح الحنان
ولا تلتفت للمنكرين إذ ادعوا
عليك بشرك فالهوى خسران
يلبيك رب العرش عند سؤاله

بصفــوته والمنعـــم الـــديان

إذا كان جبـــريل الأمين بحجة

دعا المصطفـــى فى قوله برهان

ألا انزل على قبر الكليم وصل يا

ضيـــا الأنبيـــا والأمـــر فيه بيان

وفى بيت لحـــم فانزلن صل داعيا

وهـــل بعـــد هـــذا حجة برهان

وأخرج الطبرانى فى معجمه الكبيـــر والأوســـط، بسند رجاله رجال الصحيح، وابن حبان والحاكم عن أنس قال: لما ماتت فاطمة بنت أسد أم على – رضى الله عنهما –، دخل عليها رسول الله ﷺ ... الحديث، وفى آخره : (أنه لما فرغ من حفر لحـــدها، دخـــل رسول الله ﷺ فاضطجع فيه وقال: الله الذى يحيـــى ويميت، وهو حى لا يموت، اغفر لأمى فاطمة بنـــت أسد، ولقنها حجتها، ووسع عليها مدخلها، بحق نبيـــك والأنبياء الذين من قبلى فإنك أرحم الراحمين).

ففى هذا الحديث الثابت، توســـله عليـــه الـــصلاة

D:\كتب\الوهابية\٢٥doc.

والسلام، إلى ربه بذاته، التى هى أرفع الذوات قدرا، وبإخوانه من النبيين، وجلهم فى دار الحـــق علـــيهم جميعا الصلاة والسلام .. فـــانظر بأيهمـــا تقتـــدى: أبرسول الله ﷺ، أم بهؤلاء المبتدعة، المغـــالين فـــى بدعتهم، فى منعهم التوسل بمن انتقل مـــن الأنبيـــاء والصالحين، وعدهم ذلك غير مشروع أو شركا؟!!.

خلاصة القول . أن المراد من الاستغاثة والتوسل بالأنبياء والصالحين، هو أنهم أسباب ووسائل لنيـــل المقصود، والله تعالى هو الفاعل كرامة لهم، لا أنهـــم هم الفاعلون.

قال الإمام أبو العزائم – رضي الله عنه –:

لقد وضـــع الأسباب ربك حكمة

ليشهـــد فيـــها يظهـــر التبيان

فمن شهد الأسباب تفعل فهو فى

ضـــــلال مبيـــن قاله القـــرآن

ومن شهد الأسباب تنـــبى بأنها

أواســـط فيها الفضل والإحسان

وهذا شهـــود العـــارفين بربهم

لقـــد خصهم فضلا به الرحمن

والسؤال الذى يفرض نفسه هو: مـــا هـــى أدلـــة التوسل فى القرآن والسنة ؟

أولا : أدلة التوسل من القرآن الكريم :

قال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الوَسِيلَةَ﴾ (المائدة : ٣٥). وظاهر الآية تخصيص الوسيلة بالذوات، وليس بالأعمال، وإلا لاكتفى سبحانه بالتقوى.

٢- قوله تعالى : ﴿أُوْلَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَـــافُونَ عَذَابَهُ ﴾ (الإسراء : ٥٧)، وهذه الآية إخبـــار عـــن الملائكة، ورحمته التى يرجونها معلومة فـــى قولـــه تعالى : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ (الأنبياء :١٠٧).

٣- قوله تعالى : ﴿**فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِن شِيعَتِهِ عَلَى**

الَّذِي مِنْ عَدُوِّه﴾(**القصص : ١٥**)، فنسب الله تعـــالى الاستغاثة إلى غيره من المخلوق وكفى به دليلا على جوازها.

٤- قوله تعالى : ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُـــوا أَنفُـــسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُـــمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّاباً رَّحِيماً﴾ (النساء :٦٤)، واستغفاره ﷺ لأمته لا يتقيد بحال حياته.

ثانيا : أدلة التوسل من السنة الشريفة:

إن الأحاديث التى تدل على جواز التوسل بأولياء الله وأنبيائه كثيرة جدا، وهى متواجدة فى كتب التاريخ والحديث، وفيما يلى نذكر نموذجا منها :

الحديث الأول :

١- عن عثمان بن حنيف أنه قال :

[إنَّ رَجُلاً ضريراً أَتى إلى النبـــىّ – : صـــلّى الله عليه وآله وسلّم – فَقالَ : اُدْعُ الله أَنْ يُعافيَنى.

فَقالَ – صلّى الله عليه وآله وسلّم – إنْ شِئْتَ دعوت، وإن شئت صَبَرت وَهُوَ خَيْرٌ؟

قالَ: فَادْعُهُ. فَأَمَرهُ ﷺ أنْ يَتَوضَّأَ فَيُحْسِنَ وُضوءهُ وَيُصلّيَ ركْعَتيْنِ ويَدْعُو بِهذا الدُعاء : (اللّهُمَّ إنى أسألك وَأَتوَجَّهُ إليك بِنَبَّيكَ نَبِيّ الرَّحْمة، يامُحَمّد إنّى أَتوجَّه بِكَ إلى رَبىّ فى حاجَتى لِتُقْضى. اللّهُمَّ شَفِّعْهُ فِىَّ).

قال ابن حنيف :

(فَوَالله ما تَفَرَّقْنا وَطالَ بِنَا الحديث حَتّى دَخَلَ عَلَيْنا كَأَنْ لم تَكُنْ بِهِ ضُرٌ].

كلمة حول سند الحديث:

لا كلام فى صحة سند هذا الحديث، حتى أن إمام الوهابيين – ابن تيمية – اعتبر هذا الحديث صحيحا وقال بأن المقصود من "أبى جعفر" الموجود فى سند الحديث هو أبو جعفر الخطمى وهو ثقة .

وقد أورد هذا الحديث النسائى والبيهقى والطبرانى

والترمذى والحاكم فى مستدركه، وابن ماجه، والإمام أحمد، والسيوطى فى الجامع الصغير، والتاج الجامع للصحاح الخمسة باستثناء ابن ماجة ..

بعد هذا كله .. لا مجال للمناقشة فى سند الحديث أو الطعن فيه.

وأما دلالته فلو قدمت هذا الحديث إلى من يحسن اللغة العربية جيدا ويتمتع بصفاء فكر، بعيد عن مجادلات الوهابيين وشبهاتهم حول مسألة التوسل، ثم سألته: بماذا أمر النبى – صلى الله عليه وآله وسلم – ذلك الأعمى عندما علمه ذلك الدعاء؟

فسيكون جوابه – فوراً–: لقد علمه النبى كيف يتوسل إلى الله بنبيه نبى الرحمة، ويشفعه لقضاء حاجته.

وهذا المعنى هو بالضبط ما يفهم من كلمات الحديث المذكور، وفيما يلى نقسم الحديث إلى جمل لمزيد التوضيح:

أ : "اللهم إنى أسألك وأتوجه إليك بنبيك".

إن كلمة "نبيك" تتعلق بما قبلها، أى: "أسألك"و"أتوجه إليك" وبعبارة أوضح: إنه يسأل الله تعالى بواسطة النبي – صلى الله عليه وآله سلم – كما أنه يتوجه إلى الله بجاه النبى ووسيلته أيضا، والمقصود من "النبى" نفسه المقدسة لا دعاؤه.

أما من يجعل كلمة "دعاء" مقدرا للنبى، فى قوله: "أسألك بنبيك" فهو يتحكم بلا دليل ويدعى خلاف الظاهر، والسبب فى هذا الادعاء هو أنه لا يعتقد بالتوسل بنفس النبى، فيلجأ إلى تقدير "دعاء" ليقول: إن التوسل بدعاء النبى لا إشكال فيه، وبهذا يبرر باطله.

ب : "محمد نبى الرحمة"

لكى يتضح أن المقصود هو السؤال من الله بواسطة النبى وشخصيته وحرمته فقد جاءت بعد كلمة "نبيك" جملة "محمد نبى الرحمة" لكى يتضح الهدف أكثر.

ج: إن جملة : ".. يا محمد إنى أتوجه بك إلى

ربى" تدل على أن الرجل اتخذ النبى نفسه وسيلة لدعائه، لا دعاءه – ﷺ– أى: أنه توسل بذات النبى لا بدعائه.

د: إن قوله : "وشفعه فىَّ " معناه: يا رب اجعل النبى – صلى الله عليه وآله وسلم – شفيعى وتقبل شفاعته فى حقى.

أيها القارئ الكريم : لقد اتضح لك أن النقطة المركزية فى الدعاء كله هو شخص رسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم – وشخصيته الكريمة، ولا ذكر لدعائه أصلا.

وكل من يزعم أن ذلك الرجل الضرير قد توسل بدعاء النبى لا بشخصه وشخصيته، فإنما تغافل عن نصوص الرواية وتجاهلها.

وأنت لو تأملت قوله : "اللهم إنى أسألك وأتوجه إليك بنبيك نبى الرحمة" وقوله: "يا محمد إنى أتوجه بك إلى ربى" لظهر لك – بكل وضوح – أن التركيز إنما هو على شخص رسول الله – صلى الله عليه

وآله وسلم – ولو كان الهدف هو دعاء النبى لكان الصحيح أن يقول : أسألك بدعاء النبى.

الحديث الثانى : التوسل بحق السائلين

روى عطية العوفى عن أبى سعيد الخدرى أن رسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم – قال:

(من خرج من بيته إلى الصلاة فقال : اللهم إنى أسألك بحق السائلين عليك، وأسألك بحق ممشاى هذا، فإنى لم أخرج أشرا ولا بطرا ولا رياء ولا سمعة، وخرجت اتقاء سخطك وابتغاء مرضاتك، فأسألك أن تعيذنى من النار وأن تغفر لى ذنوبى، إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، أقبل الله عليه بوجهه، واستغفر له سبعون ألف ملك) (سنن ابن ماجه : ج ١ ص ٢٥٦ حديث رقم ٧٧٨) .

إن هذا الحديث واضح جدا فى معناه، ويدل على أن للإنسان أن يتوسل إلى الله بحرمة أوليائه الصالحين ومنزلتهم ووجاهتهم عنده سبحانه، فيجعل

أولئك وسطاء وشفعاء لقضاء حاجته واستجابة دعائه، ودلالة الحديث على الموضوع الذى نتحدث عنه واضحة.

الحديث الثالث: التوسل بحق النبى الكريم قبل وجوده البشرى:

إن النبى آدم – عليه السلام– عندما صدر منه ما كان الأولى عدم صدوره، وتاب إلى الله تعالى مما صدر منه تلقى من ربه كلمات، كما أشار القرآن الكريم:

﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ (البقرة :٣٧).

إن المفسرين والمحدثين أعربوا عن آرائهم ووجهات نظرهم تجاه هذه الآية ومعناها، وذلك استنادا إلى بعض الأحاديث، وفيما يلى نذكر بعض الأحاديث لنرى النتيجة التى نحصل عليها بعد ذلك :

أخرج الطبرانى فى المعجم الصغير، والحاكم فى

مستدركه، وأبو نعيم الأصفهانى فى حلية الأوليـــاء، والبيهقى فى دلائل النبوة، وابن عساكر الدمشقى فى تاريخه، والسيوطى فى تفسير الدر المنثور، والألوسى فى تفسير روح المعانى، عن عمر بن الخطاب، عن رسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم – أنه قال :

(لما أذنب آدم الذى أذنبه، رفع رأسه إلى الـــسماء فقال : أسألك بحق محمد إلا غفرت لى. فـــأوحى الله إليه: ومن محمد! فقال: تبارك اســـمك، لمـــا خلقـــت رفعت رأسى إلى عرشك فإذا فيه مكتوب : لا إله إلا الله محمد رسول الله. فقلت : إنه ليس أحـــد أعظـــم عندك قدراً ممن جعلت اسمه مع اسمك، فأوحى إليه : إنه آخر النبيين من ذريتك، ولولا هو لما خلقتك).

وقد ذكر السيد أحمد زينى دحلان فى الدرر السنية أن القاضى عياض، والسبكى فـــى شـــفاء الـــسقام، والسمهودى فـــى وفـــاء الوفـــا، والقـــسطلانى فـــى المواهب.. وغيرهم، ذكروا توســـل النبـــى آدم عليه السلام بسيدنا ومولانا محمد ﷺ، ولهذا ترى الإمام أنـــس–

إمام المالكية– يقول للمنصور فى مسجد رســـول الله ﷺ: (هو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم).

الحديث الرابع : توسل السيدة هاجر رضى الله عنها :

روى البخارى استغاثة السيدة هاجر – رضى الله عنها – لما أدرك ولدها إســـماعيل عليه السلام العطـــش، وسمعت صوتا لا ترى شخصا، فقالت : أغث إن كان عندك غوث.

الحديث الخامس : التوسل بعباد الله الصالحين :

روى الحاكم وأبو عوانة والبزار وابن تيمية فـــى الكلم الطيب عن النبى – صلى الله عليه وآله وسلم – قال: (إذا انفلتت دابة أحدكم بأرض فلاة، فلينـــاد يـــا عباد الله احبسوا).

وفى هذا الحديث نداء وطلب ونفع .

أيها القارى الكريم : لقد ذكرنـــا – حتـــى الآن– مجموعة من الأحاديث المروية فى التوسل، اعتمـــادا على كتب التاريخ والحديث لأهل السنة.

ولنا أن نتساءل: هل يجب أن نأخذ المعارف الإسلامية والأحكام الشرعية من "ابن تيمية" و"محمد بن عبد الوهاب"ونظرائهما أم من عترة رسول الله التى نص النبى – فى حديث الثقلين – على أنها الثقل الأصغر وعدل القرآن؟!!..وحديث الثقلين أخرجه مسلم فى صحيحه والإمام أحمد فى مسنده والحاكم فى المستدرك، قال رسول الله ﷺ وآله: (إنى تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتى أهل بيتى، ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدى أبداً، وإنهما لن يفترقا حتى يردا علىّ الحوض، فانظروا كيف تخلفونى فيهما).

إن كل مسلم – يملك ذرة من الوعى والإنصاف – يحكم بضرورة الأخذ من العترة الطاهرة التى أذهب الله عنها الرجس وطهرها تطهيرا.

فالأدعية التى ورد فيها التوسل بأولياء الله تعالى كثيرة وموزعة فى الصحيفة العلوية للإمام علىّ، ودعاء عرفة للإمام الحسين، والصحيفة السجادية للإمام زين العابدين، وغيرها من كتب الدعاء.

D:\كتب\الوهابية\doc٢٥.

وفيما يلى نذكر نماذج من تلك الأدعية:

١- يقول الإمام على أمير المؤمنين عليه السلام فى دعاء له: (.. بحق محمد وآل محمد عليك، وبحقك العظيم عليهم أن تصلى عليهم كما أنت أهله، وأن تعطينى أفضل ما أعطيت السائلين من عبادك الماضين من المؤمنين، وأفضل ما تعطى الباقين من المؤمنين ..) (الصحيفة العلوية للسماهيجى، ص٥١).

٢- ويقول الإمام سيد الشهداء الحسين عليه السلام فى دعاء عرفة :

(....اللهم إنا نتوجه إليك- فى هذه العشية التى فرضتها وعظمتها – بمحمد نبيك ورسولك وخيرتك من خلقك).

٣- ويقول الإمام زين العابدين عليه السلام فى دعائه بمناسبة حلول شهر رمضان :

(... اللهم إنى أسألك بحق هذا الشهر، وبحق من تعبد فيه – من ابتدائه إلى وقت فنائه – من ملك قربته

أو نبى أرسلته أو عبد صالح اختصصته ...) (الصحيفة السجادية، دعاء رقم ٤٤).

وهنا نتساءل ما هى سيرة المسلمين فى التوسل ؟.

والجواب : لقد جرت سيرة المسلمين – فى حياة النبى – صلى الله عليه وآله وسلم – وبعد انتقاله – على التوسل بأولياء الله والاستشفاع بمنزلتهم وجاههم عند الله تعالى.

وإليك نماذج من تلك السيرة :

١- ذكر السمهودي في وفاء الوفاء حـ ٢ ص ١٣٧٦ سؤال المنصور العباسي للإمام مالك بن أنس – إمام المالكية- عن كيفية زيارة رسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم – والتوسل به ، فقال لمالك:

يا أبا عبد الله أستقبل القبلة وأدعو ، أم أستقبل رسول الله؟ فقال مالك في جوابه : لم تصرف وجهك عنه وهو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم إلى الله يوم القيامة؟ بل استقبله واستشفع به فيشفعك الله، قال الله

تعالي : ﴿**وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّاباً رَّحِيماً**﴾ (النساء: ٦٤) .

٢- ذكر ابن حجر الهيثمي في الصواعق المحرقة هذين البيتين من الشعر للشافعي- إمام الشافعية-:

آل النبي ذريعتي وهمُ إليه وسيلتي
أرجو بهم أعطى غداً بيدى اليمين صحيفتى

بعد كل ما سبق من الأدلة والبراهين والشواهد، يمكن القول بأن الأنبياء والشخصيات الدينية السامية هم من الوسائل التي عناها الله تعالي بقوله :﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الوَسِيلَةَ**﴾ (المائدة: ٣٥). وقد أمر تعالى باتخاذهم وسيلة إليه سبحانه.

ولا شك أن الوسيلة غير منحصرة في أداء الفرائض واجتناب المحرمات فقط ، بل تشمل المستحبات – التى من ضمنها التوسل بالأولياء – أيضا.

٣- يروى البخاري في صحيحه باب صلاة الاستسقاء:

(إن عمر بن الخطاب كان إذا قحطوا استسقى بالعباس بن عبد المطلب- رضي الله عنه – وقال : اللهم كنا نتوسل إليك بنبينا فتسقينا، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا.

قال : فيسقون).

لا كلام في صحة هذا الحديث، حتي أن الرفاعي – الكاتب الوهابي الذي يرد أحاديث التوسل المتواترة مهما أمكنه – قد اعترف بصحة هذا الحديث وقال:

" إن هذا الحديث صحيح (١)، فإن صح هذا الجواز شرعا فنحن من أسبق الناس إلى الأخذ به والعمل بمقتضاه".

(١) كان الصحيح أن يقول: إن هذا التاريخ صحيح، لأن الحديث- فى الاصطلاح هو كلام النبى ﷺ، وكلامنا الآن عن الأحداث التاريخية، وقد سبق ذكر الأحاديث الشريفة.

D:\كتب\الوهابية\doc٢٥.

فمع الانتباه إلي ما ذكروه عن سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه بشأن التوسل بسيدنا العباس رضي الله عنه، وأنه أقسم بالله بأن (هذا – والله- الوسيلة إلى الله والمكان منه) يتضح بأن حقيقة التوسل- في هذا المجال- هي التوسل بذات العباس ونفسه، أو بشخصيته ووجاهته عند الله تعالى، لا بدعاء العباس.

هذا.. وقد روى محمد بن النعمان المالكي- المتوفى سنة ٦٨٣ هـ في كتابه :"مصباح الظلام في المستغيثين بخير الأنام".

كيفية توسل عمر بالعباس وأنه قال:

(اللهم إنا نستقيك بعم نبيك، ونستشفع إليك بشيبته. فسقوا) وفي ذلك يقول العباس بن عتبة بن أبي لهب:

بعمى سقى الله الحجاز وأهله

عشية يستسقي بشيبته عمر

وكذلك أنشد حسان بن ثابت رضي الله عنه قوله الذى ذكره ابن الأثير فى أُسد الغابة:

سأل الإمام وقـــد تتابع جدبنا

فسقـــي الغمـــام بغُرَّة العباس

عم النبـــى وصنو والده الذى

ورث النبىَّ بـــذاك دون الناس

أحيى الإله به البلاد فأصبحت

مخضرة الأجناب بعـــد الياس

وقال ابن حجر العسقلاني في فتح الباري شـــرح صحيح البخارى ج٢ ص٤١٣:

(إن العباس دعا إلى الله تعالى بقوله: وقد توجـــه القوم بي إليك لمكاني من نبيك).

أيها القارى الكريم: لقد ظهر لك – بكل وضوح – أن التوسل إنما كان بشخصية العباس وجاهه، وقد قال علماء البلاغة والأدب: (تعليق الحكم على الوصـــف مشعر بالعِلِّية).

بناء على هذا.. فإن قول عمر : " إنا نتوسل إليك بعم نبيك" فيه بيان علة التوسل بالعباس دون غيره من

الناس، وأنها لكونه عم رســـول الله ﷺ، وقـــد ذكـــر العباس نفسه ذلك فقال: " لمكاني من نبيك".

يقول القسطلانى فى المواهب اللدنية: (إن عمر – لما استسقى بالعباس– قال: (أيها الناس إن رسول الله ﷺ كان يرى العباس ما يرى الولد للوالد، فاقتدوا به فى عمه، واتخذوه وسيلة إلـــى الله تعـــالى).. ففيـــه التصريح بالتوسل، وبهذا يبطل قول من منع التوسل مطلقاً بالأحياء والأموات، وقول من منع ذلك بغيـــر النبى ﷺ وآله).

والخلاصة: بعد كل ما سبق... يمكـــن القـــول – بالقطع واليقين–: إن المسلمين في صدر الإسلام كانوا يتوسلون بالأشخاص الصالحين الأزكياء.

٤– شعر السيدة صفية رضى الله عنها في رثـــاء النبي : ذكر المحب الطبري فـــي ذخـــائر العقبـــى، والهيثمي في مجمع الزوائد:

أنشدت صفية بنت عبد المطلب– عمـــة النبـــي – قصيدة بعد انتقال النبي في رثائه ﷺ ومنها:

ألا يا رســول الله أنت رجاؤنا

وكنــت بنا براً ولــم تك جافيا

وكنـــت بنا برا رؤوفا نبــينا

ليبك عليك اليوم من كان باكيا

إننا نستنتج من هذه المقطوعة الــشعرية- التــي أنشدت على مسمع من الصحابة وسجلها المؤرخــون وأصحاب السير- أمرين:

الأول: إن مخاطبـــة الأرواح- وبالخـــصوص مخاطبة رسول الله بعد انتقاله- كــان أمــراً جــائزاً وجارياً، وقولها: "ألا يا رسول الله" لم يكن لغــوا ولا شركاً كما تدعي الوهابية.

الثاني: إن قولها : "أنت رجاؤنا" يــدل علــى أن النبى ﷺ هو أمل المجتمع الإسلامى في كل العصور والأحوال ، ولم تنقطع الروابط والعلاقات معــه ﷺ حتى بعد انتقاله إلى الرفيق الأعلى.

وفي الختام:

في ختام هذا الفصل نقول -عودا على بدء -: إن القرآن الكريم يصرح بجواز التوسل بأولياء الله تعالي، بل يدعو إلى ذلك بقوله:﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (المائدة: ٣٤).

إن هذه الآية تدعو إلى اتخاذ "الوسيلة" فــي كــل المجالات بصورة عامة.

والسؤال : ما هي "الوسيلة"؟

الجــواب : لم تذكرها الآية الكريمة، ولا شك أن أداء الفرائض الدينية هو من وسائل الفلاح والنجــاة، ولكن لا شك أيضا أن "الوسيلة" غير منحصرة فــي ذلك بل- وبالاعتماد علي ســيرة المــسلمين طــوال التاريخ- إن مــن "الوســيلة" التوســل بأوليــاء الله الصالحين، وأنه من وسائل الفوز والفــلاح وقــضاء الحوائج وتحقيق الآمال، ويتجلى هذا - بوضــوح-

فيما ذكرنا من كلام إمام المالكية مع المنصور العباسي، وتوسل عمر بن الخطاب بالعباس رضى الله عنهما للاستسقاء وغير ذلك.

﴿ إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَن شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلاً﴾ .

D:\كتب\الوهابية\doc٢٥.

الفصل الخامس

مشروعية الحلف

بحق الأنبياء والأولياء

إن من نقاط الخلاف بين الوهابيين والمسلمين هى أنها تدعى حرمة:

١- الحلف على الله بحق الأولياء.

٢- الحلف بغير الله.

وتعتبر- أحيانا- هذين القسمين شركاً بالله فى العبادة.

وفى هذا الفصل نضع هذا الموضوع على طاولة البحث والتشريح لاستخراج الحكم الشرعى الصحيح:

أولاً: الحلف على الله بحق الأولياء:

إن القرآن الكريم يصف بعض عباد الله بقوله: ﴿الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنفِقِينَ

وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالأَسْحَارِ﴾ (آل عمران: ١٧). فلو أن إنسانا قام فى جوف الليل وصلى لربه ركعات، ثم تضرع إلى الله قائلاً: (اللهم إنى أسألك بحق المستغفرين بالأسحار اغفر لى ذنبى).

فيكف يمكن أن نعتبر قوله هذا شرك فى العبادة؟!

إن الشرك فى العبادة معناه عبادة غير الله، أو اعتبار غيره سبحانه إلهاً ومصدراً للأفعال الإلهية.

أمَّا فى هذا المجال فإن المصلى يتوجه إلى الله تعالى ولا يطلب شيئاً إلا منه سبحانه، فإذا كان هذا العمل حراماً فلابد أن يكون له سبب آخر غير الشرك.

نحن هنا نجلب انتباه الوهابيين إلى أن القرآن الكريم قد ذكر مقياساً ومحكاً للفصل والتمييز بين المشرك- فى العبادة- وبين الموحد، وبهذا المقياس سد القرآن أمام كل تفسير بالرأى لمعنى المشرك، وهذا المقياس هو قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ

الَّذِينَ مِن دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ (الزمر: ٤٥).

وفى آية أخرى يصف القرآن المجرمين- هم المشركون- بقوله: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ * وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوا آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ﴾ (الصافات: ٣٥، ٣٦).

إذن: المشرك- وفقا لهاتين الآيتين- هو ذاك الذى يشمئز قلبه إذا ذكر الله الواحد الأحد، ويفرح إذا ذكرت الآلهة الباطلة، أو يستكبر عن الاعتراف بوحدانية الله سبحانه.

بعد هذا المقياس القرآنى نتساءل: هل الذى يقوم فى ظلام الليل ويقضى ساعات فى العبادة والمناجاة والدعاء، ويصلى بين يدى الله بكل إخلاص وخضوع، ويقسم على الله بمنزلة أوليائه الصالحين، ويسأله بعباده المتقين.. هل هذا الإنسان يكون مشركا بعمله هذا؟!.

وكيف تمرَّد على ذكر الله واستكبر عن الاعتراف بوحدانيته سبحانه؟!.

لماذا ترى المؤلفين الوهابيين يستندون إلى أسس خيالية، وأدلة أوهن من بيت العنكبوت، ويتهمون المسلمين بالشرك، ويعتبرون أنفسهم فقط (شعب الله المختار)؟!!.

وكيف يجوز أن يعتبروا تسعة وتسعين بالمائة من أهل القبلة مشركين، ويعتبروا النجديين هم الموحدين فقط، مع ما سبق من المقياس القرآنى؟!.

وهل خوَّل القرآن تفسير الشرك إلى الوهابيين حتى يفسروه كيفما يشاؤون، ويعتبروا جماعة مشركين وأخرى موحدين؟!!.

بل ﴿طبع الله على قلوبهم فهم لا يفقهون﴾.

إننا نلاحظ القسم على الله فى أدعية أوليائه المقربين، فمثلا:

هذا إمام المتقين أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام تراه يقول فى دعائه بعد صلاة الليل كما ورد فى الصحيفة العلوية:

(اللهم إنى أسألك بحرمة من عاذ بك منك، ولجأ

إلى عزك، واستظل بفيئك، واعتصم بحبلك، ولم يثق إلا بك..).

ويقول عليه السلام فى دعاء علَّمه لأحد أصحابه:

(.. وبحق السائلين عليك، والراغبين إليك، والمتعوذين بك، والمتضرعين إليك، وبحق كل عبد متعبد لك فى كل بر أو بحر أو سهل أو جبل أدعوك دعاء من اشتدت فاقته..).

فهل لهذه المناجاة المنشطة للروح والباعثة على العبادة، وهذا التذلل أمام الله.. هل لذلك نتيجة أخرى سوى ترسيخ وحدانية الله وأنه لا معاذ إلا به، وإظهار المحبة والمودة لأولياء الله وأحبائه- الذى هو توجه إلى الله فى الوقت ذاته-؟!!.

من هذا المنطق.. يجب الكف عن توجيه تهمة الكفر والشرك- الرائجة فى سوق الوهابية أكثر من أى شئ- وينبغى دراسة الموضوع من زاوية المنطق والبرهان.

لذلك ترى بعض الوهابيين- المعتدلين نوعاً ما-

عالجوا (مسألة القسم على الله بحق الأولياء) فى إطار الحرمة أو الكراهة، بعكس الصنعانى الذى بحث عن هذه المسألة فى نطاق الشرك.

والآن.. وبعد ما تبين محور الحديث، يجب دراسة الموضوع فى إطار الحرام والمكروه، وبيان الدليل الواضح حول صحة هذا الموضوع وجوازه فنقول:

ما هى حقيقة هذا القسم فى الإسلام وواقعيته؟

والجواب: لقد ورد (القسم على الله بحق الأولياء) فى أحاديث شريفة متواترة، مروية عن رسول الله ﷺ، وبعضها عن أئمة أهل البيت عليهم السلام، وبناء على هذه الأحاديث لا يمكن القول بحرمته ولا بكراهته.

وإليك نماذج من ذلك:

١- لقد سبقت الإشارة فى الفصل السابق إلى أن النبى ﷺ علم ذلك الأعمى الذى جاء يطلب منه أن يرد الله عليه بصره، أن يقول- كما أخرج ابن ماجه والحاكم والإمام أحمد-: (اللهم إنى أسألك وأتوجه

إليك بنبيك محمد نبى الرحمة).

٢- أخرج ابن ماجه والإمام أحمد روى أبو سعيد الخدرى عن النبى -ﷺ وآله- هذا الدعاء:

(اللهم إنى أسألك بحق السائلين عليك، وأسألك بحق ممشاى هذا..).

٣- وقد تاب النبى آدم عليه السلام إلى الله بقوله: (أسألك بحق محمد إلا غفرت لى) وقد ذكر ذلك السيوطى فى الدر المنثور، والحاكم فى المستدرك، والألوسى فى روح المعانى.

٤- وبعدما دفن النبى ﷺ السيدة فاطمة بنت أسد والدة الإمام أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام دعا لها بقوله الذى أورده ابن الصباغ المالكى فى الفصول المهمة ص٣١: (إغفر لأمى فاطمة بنت أسد، ووسع عليها مدخلها، بحق نبيك والأنبياء من قبلى).

إن هذه الأدعية- وإن خلت من لفظ القسم بعينه- إلا أن مضمونها هو ذلك، لوجود باء القسم فيها جميعا، فعندما يقول: (اللهم إنى أسألك بحق السائلين

عليك) أى: أقسم عليك بحقهم.

٥- يقول سيد الشهداء الإمام الحسين بن الإمام على عليهما السلام فى دعاء له: (اللهم إنى أسألك بكلماتك، ومعاقد عزك، وسكان سماواتك، وأرضك، وأنبيائك ورسلك، أن تستجيب لى فقد رهقنى من أمرى عسر، فأسألك أن تصلى على محمد وآل محمد، وأن تجعل من أمرى يسراً).

٦- وإذا ألقيت نظرة على الصحيفة السجادية - الدعاء السابع والأربعين- المروية عن الإمام على زين العابدين عليه السلام لرأيت القسم فيه كثيراً جداً، فهو خير دليل على صحة هذا النوع من التوسل.. وإليك نموذجا منه:

يقول عليه السلام فى دعائه يوم عرفة، وهو يناجى ربه الكريم:

(بحق من انتخبت من خلقك، وبمن اصطفيته لنفسك، بحق من اخترت من بريتك، ومن اجتبيت لشأنك، بحق من وصلت طاعته بطاعتك، ومن

ينطت، أى: وصلت وربطت، معاداته بمعاداتك).

٧- وعندما زار الإمام الصادق عليه السلام مرقد جده الإمام أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام دعا فى ختام الزيارة بقوله: (اللهم استجب دعائى، وأقبل ثنائى، واجمع بينى وبين أوليائى، بحق محمد وعلى وفاطمة والحسن والحسين).

أيها القارئ الكريم: لقد ورد هذا النوع من الأدعية- المتضمنة للقسم على الله بحق أوليائه- كثيراً جداً عن الأئمة من أهل البيت عليهم السلام، ولا يسع المجال لذكر أكثر مما سبق.. وكل هذه الأدعية تدل على جواز القسم على الله بحق أوليائه الصالحين.

ثانيا: الحلف بغير الله تعالى:

إن الحلف والقسم بغير الله هو من المسائل الحساسة عن الوهابيين، والتى يُهرِّجون ضدها فى أبواقهم المرتزقة وأقلامهم المنحرفة.

فهذا الصنعانى- من مؤلفى الوهابية- يعتبر الحلف بغير الله شركا!! وذلك فى كتابه (تطهير الاعتقاد) ص١٤.

كما يعتبره عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب مؤلف (الهدية السنية) شركا صغيرا.

ونحن نقوم- بحول الله وقوته- بدراسة المسألة- دراسة موضوعية بعيدة عن التعصب- متخذين من كتاب الله وسنة رسوله والأئمة من أهل البيت عليهم السلام مصباحا منيرا يضئ لنا الدرب فى هذا المجال- وكل مجال-.

والسؤال: ما هى الأدلة على جواز الحلف بغير الله؟..

والجواب هو:

الدليل الأول:

إن القرآن الكريم هو الثقل الأكبر والقائد الأعلى والمثل الحى لكل مسلم، وترى فيه الحلف بغير الله

فى عشرات المواضع منه، بحيث يؤدى ذكرها بالتفصيل إلى إطالة الموضوع.

فمثلا: أقسم الله تعالى فى سورة الشمس وحدها بثمانية أشياء من مخلوقاته وهى: الشمس، ضحى الشمس، القمر، النهار، الليل، السماء، الأرض، النفس الإنسانية.

كما أقسم سبحانه فى سورة النازعات بثلاثة أشياء، وأقسم بشيئين فى سورة المرسلات، وكذلك ورد الحلف بغير الله فى سورة الطارق والقلم والعصر والبلد.

وإليك نماذج من آيات الحلف بغيره سبحانه، من سور أخرى:

- ﴿وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ * وَطُورِ سِينِينَ * وَهَذَا البَلَدِ الأَمِينِ﴾ (التين: ١-٣).

- ﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى * وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى﴾ (الليل: ٢).

- ﴿ وَالْفَجْرِ * وَلَيَالٍ عَشْرٍ * وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ *

وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ﴾ (الفجر: ١-٤).

- ﴿ وَالطُّورِ * وَكِتَابٍ مَّسْطُورٍ * فِي رَقٍّ مَّنْشُورٍ * وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ * وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ * وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ﴾ (الطور: ١-٦).

- ﴿ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ (الحجر: ٧٢).

فكيف يجوز الحكم بأن الحلف بغير الله شرك وحرام، مع هذه الآيات القرآنية الزاخرة بذلك؟!.

فإن قال قائل: إن هذا القسم خاص بالله سبحانه.

فالجواب: كلا.. إن القرآن كتاب هداية للبشر، والناس يتخذونه قدوة وأسوة، فلو كان هذا النوع من الحلف حراماً على عباد الله، لكان المفروض أن يحذر منه القرآن، ويذكر بأن هذا القسم هو من خصائص الله تعالى، وعدم ذكر ذلك دليل على عدم اختصاصه به سبحانه.

وقد قال بعض من لا ذوق له- ممن يجهل أسرار القرآن- بأنه يمكن أن يكون ما يصدر من الله جميلا،

وصدور نفس ذلك الشئ من غيره قبيحاً.

والجواب على هذا واضح، لأن الحلف بغير الله لو كان شركاً وتشبيهاً لغير الله بالله، فلماذا صدر هذا الشرك- الصغير أو المطلق- من الله تعالى؟!.

أيصح أن يجعل الله لنفسه شريكاً، ويمنع غيره من ارتكاب مثل هذا الشرك؟!.

الدليل الثانى:

لقد حلف النبى ﷺ بغير الله فى موارد عديدة منها:

١- روى مسلم فى صحيحه كتاب الزكاة: [جاء رجل إلى النبى فقال: يا رسول الله أى الصدقة أعظم أجرا؟ فقال: (أما - وأبيك- لتنبئنه أن تصدق وأنت صحيح شحيح تخشى الفقر وتأمل البقاء)].

٢- روى مسلم أيضا فى باب ما هو الإسلام: [جاء رجل إلى رسول الله- من نجد- يسأله عن الإسلام، فقال رسول الله ﷺ: (خمس صلوات فى اليوم والليل).

فقال: هل علىَّ غيرهن؟

قال: (لا.. إلا أن تطوَّع، وصيام شهر رمضان).

فقال: هل علىَّ غيره؟

قال: (لا.. إلا أن تطوَّع)، وذكر لـه رسـول الله الزكاة.

فقال الرجل: هل علىَّ غيره؟

قال: (لا.. إلا أن تطوَّع).

فأدبر الرجل وهو يقول: والله لا أزيد على هذا ولا أنقص منه.

فقال رسول الله: (أفلح- وأبيه- إن صدق).

-أو قال-: (دخل الجنة- وأبيه- إن صدق)، أى: قسماً بأبيه، فالواو واو القسم].

٣- وجاء هذا الحديث فى مسند أحمد بن حنبـل، وفى نهايته أن النبى قال له: (... فلعمرى لإن تكلم[١] بمعروف، وتنهى عن منكر، خير من أن تسكت).

(١) أى: تتكلم.

D:\كتب\الوهابية\doc٢٥.

وهناك أحاديث أخرى لا يسع هذا الفصل ذكرها، فراجعها فى مسند الإمام أحمد ج٥ ص٢١٢، وسـنن ابن ماجة ج٤ ص٩٩٥، وج١ ص٢٥٥.

وقد أقسم الإمام أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام- الذى يعتبر النموذج البارز للتربية الإسلامية والقيم العالية- أقسم بنفسه الشريفة أكثر من مرة فى خطبه ورسائله وكلماته، كما جاء فـى كتـاب نهـج البلاغة، وكذلك أقسم سيدنا أبو بكر الصديق رضى الله عنه بأبى الشخص الذى كان يتكلم معه كما ذكر سيدنا الإمـام مالك فى الموطأ المطبوع مع شـرح الزرقـانى ج٤ ص١٥٩.

والوهابية يزعمون أنهم ينتمون للمذهب الحنبلـى، لكن المفاجأة أن أئمة المذهب الحنبلـى لا يوافقـونهم على ما يدعون.. فها هو ابن قدامة يذكر- فى كتابـه المغنى الذى كتبه إحياء لفقه الحنابلة- أن الإمام أحمد ابن حنبل أفتى بجواز الحلف بالنبى صلى الله عليه وسلم وأنه ينعقـد لأنه أحد ركنى الشهادة، وقال- أحمد-: (لـو حلـف

بالنبى انعقد يمينه، فإن حنث لزمته الكفارة).

أيها القارئ الكريم: بعد الاطلاع على أدلة جواز الحلف بغير الله فى الكتاب والسنة، ننتقل إلى ذكر حديثين تمسك بهما الوهابيون فى حرمة الحلف بغير الله، وأراقوا من أجل ذلك دماء الأبرياء، واستهدفوا ملايين المسلمين بسهام التكفير السامة:

الحديث الأول:

(إن رسول الله سمع عمر وهو يقول: وأبى، فقال: إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم، ومن كان حالفا فليحلف بالله أو يسكت) (سنن ابن ماجة، وسنن الترمذى، وغيرهما).

الجواب:

أولاً: لعل النهى عن الحلف بالآباء قد جاء لأنهم- فى الغالب- كانوا مشركين وعبدة للأصنام، ولهذا فلا حرمة ولا كرامة لهم حتى يحلف أحد بهم.

وقد جاء فى الحديث عن النبى ﷺ: (لا تحلفوا

بآبائكم ولا بالطواغيت) وقد رواه النسائى، والطواغيت: هى الأصنام.

وروى أيضا: (لا تحلفوا بآبائكم ولا بأمهاتكم ولا بالأنداد).

ثانياً: إن المقصود من النهى عن الحلف بالأب هو ذلك الحلف الذى يُفصل به فى القضاء والخصومات وحسم الخلافات، لأن علماء الإسلام اتفقوا على أن اليمين التى تحسم الخلاف والنزاع هو الحلف بالله سبحانه وبصفاته، أما سوى ذلك فلا.

مع وجود هذه القرائن الواضحة.. كيف يمكن أن يقال بأن النبى ﷺ نهى عن الحلف بالمقدسات- كالكعبة والقرآن وأولياء الله تعالى- مع العلم أن النهى خاص بمورد معين، وأن النبى بنفسه كان يحلف بغير الله؟!!.

الحديث الثانى:

جاء ابن عمر رجلٌ فقال: أحلف بالكعبة؟ قال له:

لا، ولكن إحلف برب الكعبة، فإن عمر كان يحلف بأبيه فقال رسول الله: (لا تحلف بأبيك فإن من حلف بغير الله فقد أشرك) (السنن الكبرى للبيهقى، وقريب منه فى مسند الإمام أحمد).

الجواب الأول:

إن هذا الحديث يتألف من ثلاثة أمور:

١- إن رجلا جاء إلى ابن عمر رضى الله عنهما فقال: أحلف بالكعبة. فأجابه بقوله: لا، ولكن إحلف برب الكعبة.

٢- إن سيدنا عمر بن الخطاب ﷺ كان يحلف بأبيه، فنهاه النبى ﷺ عن ذلك.

٣- إن رسول الله ﷺ علل ذلك بقوله: (من حلف بغير الله فقد أشرك).

والقدر المتيقن منه كما هو مورد كلام الرسول ما إذا كان المحلوف به شيئا غير مقدس كالكافر والصنم. ولكن ابن عمر اجتهد بأن قول النبى: (من حلف بغير الله فقد أشرك) الذى ورد فى الحلف

بالمشرك- وهو الخطَّاب الذى هو والد سيدنا عمر ﷺ- اجتهد بأنه يشمل الحلف بالمقدسات أيضا كالكعبة، مع العلم بأن كلام النبى ﷺ قد ورد فى الحلف بالمشرك كما أوضحناه عند البحث عن الحديث السابق، وعلى ذلك فقد كان كلام الرسول فى الضابطة التى أعطاها خاصاً بما إذا كان المحلوف به أمرا غير مقدس، ولكن ابن عمر اجتهد وجعله أعم منه ومن غيره.

وقد أوضحنا سابقا بأن النبى ﷺ كان يحلف بغير الله سبحانه كثيراً، فيجب أن نحمل قوله: (من حلف بغير الله فقد أشرك) على الحلف بالمشرك وأمثاله لا على الحلف بالمقدسات كالقرآن والكعبة والنبى، بدليل أن النبى إنما أعطى هذه الضابطة عند حلف عمر بأبيه المشرك.

فتطبيق هذا الحديث على الأعم من المشرك وغيره اجتهاد من ابن عمر، واجتهاده حجة لنفسه فقط لا لغيره.

وتسأل: لماذا اعتبر رسول الله ﷺ الحلف بالمشرك شركا؟

والجواب: لأن الحلف به نوع من التشييد بشخصيته والتعظيم له والتصديق لدينه الباطل وعقيدته المنحرفة، أو لأنه يحلف معتقداً أن الغير إلهاً.

وأما الحلف بالكعبة والقرآن والأنبياء والأولياء- فى غير القضاء والخصومات- فهو خارج عن تلك القاعدة العامة، وليس شركاً ولا حراماً.

الجواب الثانى:

وهنا جواب آخر أوضح من الجواب الأول وهو: إن قول النبى ﷺ: (من حلف بغير الله فقد أشرك) يشير إلى حلف خاصٍ وهو الحلف بالأصنام- كاللات والعزى- فقط ولا يعم الإنسان المشرك فضلا عن المقدسات.

ويؤيد هذا الجواب ما رواه النسائى فى سننه أن النبى ﷺ قال: (من حلف فقال فى حلفه: باللات

والعزى فليقل: لا إله إلا الله).

وما رواه- فى نفس المصدر- أن النبى ﷺ قال: (لا تحلفوا بآبائكم ولا بأمهاتكم ولا بالأنداد).

إن الحديث الأول يدل على أن رواسب الجاهلية كانت باقية فى بعض النفوس، فكانوا يحلفون بأصنامهم المعبودة من دون الله، فأمرهم النبى ﷺ بقوله: (لا إله إلا الله) من أجل القضاء على تلك الرواسب الجاهلية.

ويستفاد مما رواه الإمام أحمد إمام الحنابلة أن قوله ﷺ: (من حلف بغير الله فقد أشرك) كان حديثا مستقلا، فجاء ابن عمر رضى الله عنهما وأدخل اجتهاده الشخصى- فى عموم الحلف بالأب وبالمقدسات- فى سياق الحديث، لم يكن الحلف بالآباء ولا المقدسات داخلاً فيه، وإن أدخلهما فيه ابن عمر.

الحديث الذى رواه إمام الحنابلة هو هذا:

[عن ابن عمر قال: كان يحلف أبى، فنهاه النبى، قال: (من حلف بشئ دون الله فقد أشرك)].

فإنك ترى حديث النبى ﷺ مستقلا عن مقالة ابن عمر، ولم يأت بـ (واو) العاطفة أو (فاء) التفريع، بل قال: (فنهاه النبى، قال...) مما يدل على أن الحديث صدر فى وقت آخر، بصورة مستقلة.

أيها القارئ الكريم: لقد تلخَّص من كل ما سبق:

١- إن الحلف بغير الله لا مانع منه شرعا، وقد صدر ذلك من الله تعالى فى القرآن الكريم ومن رسول الله ﷺ وخليفته الرابع أمير المؤمنين على عليه السلام والمسلمين.

٢- إن الحلف بغير الله لا يصح- ولا نقول: لا يجوز- فى القضاء والخصومات، بل لابد من الحلف بالله جل جلاله أو بإحدى صفاته، وقد ثبت بالدليل الخاص ولا علاقة له بهذا الموضوع.

٣- إن الحديثين اللذين استدل بهما الوهابيون- على حرمة الحلف بغير الله- لا علاقة لهما بما نحن فيه من الحلف بالمقدسات الإسلامية- كالقرآن والكعبة

والأنبياء والأئمة والأولياء- بل هى خاصة بالحلف بالأمور غير المقدسة كالآباء المشركين والأصنام المعبودة فى الجاهلية.

وهكذا يتعرى الوهابيون من الأقنعة (الإسلامية!!) المزيفة التى يلبسون بها آراءهم الشاذة وأفكارهم الباطلة.. والحمد لله رب العالمين.

الفصل السادس

النذر للصالحين

والصلاة بمساجدهم

من المسائل التى يثيرها الوهابيون كثيراً- فى كتبهم وغيرها- مسألة إقامة الصلاة والنذر والدعاء عند روضات أولياء الله الصالحين وإضاءة المصابيح عندها. وللجواب على هذه المسألة نقول:

أولاً: الصلاة فى مساجد الصالحين:

يقول مؤسس الوهابية فى رسالة (زيارة القبور):

(لم يذكر أحد من أئمة السلف أن الصلاة عند القبور وفى مشاهدها مستحبة، ولا أن الصلاة والدعاء هناك أفضل، بل اتفقوا كلهم على أن الصلاة فى المساجد والبيوت أفضل منها عند قبور الأولياء والصالحين).

وجاء فى الجواب المنسوب إلى علماء المدينة:

(أما التوجه إلى حجرة النبى ﷺ عند الدعاء فالأولى منعه، كما هو معروف من معتبرات كتب المذاهب، ولأن أفضل الجهات جهة القبلة).

وقد تجاوزت هذه المسألة- على مر الزمان- مرحلة المنع إلى مرحلة الشرك، حتى أنهم اليوم يعتبرون ذلك شركاً، وكل من يفعل ذلك مشركا.

طبعا مما لا شك فيه أن الصلاة لصاحب الروضة وعبادته، أو جعله قبلة فى الصلاة يعتبر شركا، ولكن ليس على وجه الأرض مسلم يفعل ذلك عند روضات الأنبياء والأولياء، فليس هناك من يعبد صاحب الروضة أو يتوجه إليه فى الصلاة، لهذا فإن فكرة الشرك هذه ليست سوى وهماً وخيالاً يتخبط فيه الوهابيون.

إن هدف المسلمين من إقامة الصلاة والدعاء عند روضات الأولياء هو التبرك بذلك المكان الذى

احتضن حبيباً من أحباء الله، فهم يعتقدون أن ذلك المكان يتمتع بمنزلة سامية لكونه يضم جسد عزيز من أعزاء الله، ولذلك فالصلاة والدعاء هناك يعود بثواب أكثر على فاعله(١).

والسؤال الذى تجب الإجابة عليه هو: هل دفن الأولياء فى مكان ما، يمنح قدسية خاصة لذلك المكان أم لا؟.

فإن ثبت ذلك- بدليل من القرآن الكريم أو الأحاديث- كانت إقامة الصلاة والدعاء عند روضات قادة الإسلام مستحبة ومقرونة بثواب أكثر، وحتى لو لم يثبت ذلك فلا يمكن القول بحرمة الصلاة والدعاء فى ذلك المكان، بل يكون كسائر الأماكن الأخرى

(١) والدليل على ذلك هو منع رسول الله ﷺ أصحابه من النزول والشرب فى ديار ثمود- محل النقمة والبلاء-، وأمره لهم بالنزول والشرب عند بئر الناقة- محل الفضل والعطاء-.

D:\كتب\الوهابية\doc٢٥.

التى يجوز فيها إقامة الصلاة والدعاء حتى لو لم تتمتع بأية فضيلة.

فحديثنا الآن يدور حول هذا الموضوع بالذات، هل أن لمشاهد الأولياء ومدفنهم شرفاً وفضيلة خاصة؟.

وهل هناك ما يدل عليه فى القرآن أو الأحاديث؟.

الجواب فيما يلى:

أولاً: فى قصة أصحاب الكهف، سبق أن ذكرنا فى الجزء الأول بأن المؤمنين الموحدين قالوا- فى شأن مدفنهم-:

﴿لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِداً﴾ (الكهف: ٢١).

إن الهدف الذى دعاهم إلى اتخاذ مدفنهم مسجداً إنما كان من أجل أداء الفرائض الدينية فيه، يقول الزمخشرى والنيسابورى فى تفسير الآية: يصلى فيه المسلمون ويتبركون بمكانهم.

إن أولئك هكذا كانوا يتفكرون: إن هذا المكان صار ذا كرامة وشرف بسبب احتضانه لأجساد

مجموعة من عباد الله الصالحين، ولذا لابد من التبرك به باتخاذه مسجداً للصلاة والعبادة لله سبحانه، لنيل الثواب الأكثر.

إن القرآن الكريم يذكر هذا الموضوع عن أولئك الموحدين من دون أى رد أو نقد، بل بسكوت تام، ولو كان عملهم هذا خلافا للشريعة، أو نوعا من اللهو والباطل أو الشرك، لما سكت القرآن عنهم، بل ردَّ عليهم، كما هو شأنه فى المعتقدات الباطلة.

ثانياً: إن القرآن الكريم يأمر حجاج بيت الله الحرام بأن يقيموا الصلاة عند مقام إبراهيم الخليل- عليه السلام- وهى الصخرة التى وقف عليها سيدنا إبراهيم لبناء الكعبة- فيقول سبحانه:

﴿وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ (البقرة: ١٢٥).

إن كل من يتلو هذه الآية يفهم منها- بوضوح- أن الصلاة هناك إنما وجبت بسبب مقام النبى إبراهيم،

وأن مقام سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام هو الذى منح الفضيلة والكرامة لذلك المكان، وترى ملايين المسلمين يتخذون من مقام إبراهيم مكاناً للصلاة والدعاء.

فإذا كان الأمر كذلك بالنسبة إلى مقام إبراهيم- عليه السلام- ألا ينبغى أن يكون كذلك بالنسبة إلى مثوى رجال الله وقادة الإسلام؟!.

ألا تكون الصلاة عند روضاتهم أفضل من الأماكن الأخرى؟!.

صحيح أن الآية قد نزلت بشأن مقام إبراهيم الخليل، ولكن: ألا يمكن أن نستنتج منها حكما عاما؟!.

ذكر السمهودى فى وفاء الوفا جـ٤ ص ١٣٧٦: لقد سأل المنصور العباسى مالك بن أنس -إمام المالكية- وهما فى مسجد رسول الله ﷺ وآله فقال: يا أبا عبد الله أستقبل القبلة وأدعو أم أستقبل رسول الله؟.

فقال مالك: لم تصرف وجهك عنه وهو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم إلى الله يوم القيامة؟! بل استقبله واستشفع به فيشفعك الله.

يستفاد عن هذا الحوار أن الدعاء عند روضة رسول الله- ﷺ وآله- كان خالياً من أى إشكال، وأن سؤال المنصور من إمام المالكية إنما كان عن الدعاء إلى جهة القبلة أم إلى جهة روضة الرسول ﷺ وآله، ويفتى مالك بن أنس رضي الله عنه بأن التوجه إلى روضة الرسول إنما هو كالتوجه إلى القبلة.

ثالثاً: لو راجعنا أحاديث المعراج لانكشفت لنا هذه الحقيقة بصورة أكثر حيث ذكر البزار والطبرانى والبيهقى والقسطلانى فى المواهب والإمام أحمد فى مسنده وصاحب السيرة الحلبية والنبهانى فى جواهر البحار أن المصطفى ﷺ نزل فى خمسة أماكن هى:

١- **يثرب:** لما بلغوا أرضاً بيضاء ذات نخل، قال جبريل ﷺ: انزل فصلِّ هنا، ففعل. فقال جبريل:

صليت بطيبة وإليها المهاجر.

٢- **مدين:** لما بلغ مدين قال جبريل: انزل فصلِّ. ففعل ﷺ. فقال جبريل: صليت بمدين حيث عاش شعيب عليه السلام.

٣- **طور سيناء:** لما بلغ طور سيناء قال جبريل: انزل فصل. ففعل ﷺ. فقال جبريل عليه السلام: صليت بطور سيناء حيث ناجى الله موسى عليه السلام.

٤- **بيت لحم:** لما بدت أرض لها قصور، قال جبريل: انزل فصل. ففعل ﷺ. فقال: صليت ببيت لحم حيث ولد عيسى عليه السلام.

٥- **قبر موسى** عليه السلام: لما مر ﷺ على روضة موسى، وهو يصلى فى روضته عند الكثيب الأحمر، قال جبريل عليه السلام: انزل فصل. ففعل.

هذا النزول المبارك يفصل فى قضية زيارة روضات الصالحين، والدعاء فى الأماكن التى ارتبطت بهم..

فلماذا هذه الأماكن بالذات؟.

الجواب: إن الأرض تبارك بمن يلامسها من الصالحين، والدليل على ذلك أنه لولا هجرة المصطفى ﷺ للمدينة ووجود روضته الشريفة بها، لتساوت مع غيرها من الأماكن، وما كانت قبلة تهفو إليها قلوب وأفئدة المحبين والعاشقين، فالمكان الذى سيعيش فيه صالح (يثرب)، والمكان الذى عاش فيه صالح (مدين)، والمكان الذى حدثت فيه كرامة لصالح (طور سيناء)، والمكان الذى ولد فيه صالح (بيت لحم)، والمكان الذى دفن فيه صالح (قبر موسى)، يستحب الدعاء فيه، والدعاء فيه مقبول.. ومن السنة أن الإنسان إذا زار روضة نبى أو ولى أن يصلى فيه، أى: يدعو الله تعالى، معتقداً أن تلك الأماكن يستجاب فيها الدعاء، كما ورد فى صحيح السنة فى أحاديث الإسراء.

قال الإمام أبو العزائم رضي الله عنه:

إذا كان جبريل الأمين بحجة
دعا المصطفى فى قوله البرهان
ألا انزل على قبر الكليم وصل يا
ضيا الأنبيا والأمر فيه بيان
وفى بيت لحم فانزلن صل داعيا
وهل بعد هذا حجة برهان

رابعاً: لقد بلغت السيدة هاجر أم سيدنا إسماعيل بن الخليل مرتبة عالية عند الله تعالى بسبب صبرها وتحملها المتاعب فى سبيله سبحانه، مما أدى إلى أن جعل الله موضع أقدامها محلا للعبادة، وأوجب على حجاج بيته الحرام أن يسعوا كما سعت هاجر بين جبلى الصفا والمروة، وهذا ما يعترف به ابن القيم تلميذ ابن تيمية فى كتاب جلاء الأفهام ص ٢٢٨.

ونتساءل: إذا كان صبر هاجر على المكاره وتحملها المتاعب فى سبيل الله تعالى قد منح الكرامة لموضع أقدامها، وأوجب الله على المسلمين أن يعبدوه

سبحانه فى ذلك المكان بالسعى بين الصفا والمروة، فلماذا لا تكون روضة النبى -ﷺ وآله- مكاناً مباركاً ومقدساً، فى حين أنه تحمل أنواع المصاعب والمصائب والمكاره من أجل إصلاح المجتمع وإرشاده؟.

خامساً: إذا كانت الصلاة عند القبر محرمة فى الشريعة الإسلامية، فلماذا قضت السيدة عائشة رضى الله عنها عمرها وحياتها بالصلاة فى البيت الخاص بها عند روضة رسول الله ﷺ وآله.

إن معنى قول رسول الله ﷺ وآله على فرض صحة الحديث: (لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد) هو أنهم كانوا يعبدون أنبياءهم ويسجدون على قبورهم، أو يجعلون قبورهم قبلة لهم، وكلا الأمرين مخالفان للشريعة المقدسة.

ولكن الوهابيين يستدلون بهذا الحديث على حرمة الصلاة عند روضات أولياء الله سبحانه، ولو كان هذا

الاستدلال صحيحاً فلماذا قضت السيدة عائشة- راوية هذا الحديث- ما يقرب من خمسين عاما من عمرها بالصلاة والعبادة فى البيت الذى دفن فيه الرسول وصاحبيه؟!!.

سادساً: لو لم تكن لروضة رسول الله ﷺ وآله القدسية والشرف فلماذا أصر أبو بكر ومن بعده عمر رضى الله عنهما على أن يدفنا بجوار روضته الشريفة؟!.

ولماذا أوصى الإمام الحسن بن على رضى الله عنهما بأن يدفن عند روضة جده المصطفى ﷺ، فإن حال الأعداء دون ذلك فليدفن فى البقيع؟!.

وأية علاقة بين هذا الحديث وسيرة المسلمين القائمة على الصلاة لله باتجاه القبلة بجوار روضة رسول الله ﷺ وآله، لدرك المزيد من الثواب والفضيلة؟!!.

سابعاً: إن السيدة فاطمة الزهراء رضى الله عنها

وأرضاها التى روى عن النبى فى أحاديث صحيحة أخرجها البخارى أن رضاها هو رضى الله ورسوله، وأن غضبها هو غضب الله ورسوله- كانت تزور روضة عمها حمزة فى كل جمعة- أو فى الأسبوع مرتين- وكانت تبكى وتصلى عند روضته. يقول البيهقى فى سننه والحاكم فى المستدرك:

(كانت فاطمة رضى الله عنها تزور قبر عمها حمزة كل جمعة فتصلى وتبكى عنده).

أيها القارئ الكريم: إن هذه الأدلة- بمجموعها وبالإضافة إلى سيرة المسلمين الجارية على الصلاة والدعاء فى الأماكن التى دفن فيها أولياء الله وأحباؤه- تؤكد أن الصلاة والدعاء عند هذه الروضات قد تمتاز بفضيلة أكثر وثواب أكبر، وأن الهدف إنما هو التبرك بذلك المكان المبارك وأداء الفريضة فيها لرجاء القبول من الله سبحانه.

ولو فرضنا عدم وجود دليل- من القرآن

والأحاديث- على شرافة هذه الأماكن وفضيلة الصلاة والدعاء فيها، فلماذا تكون الصلاة محرمة فيها؟!.

ولماذا لا تدخل هذه الأماكن ضمن إطار القانون الإسلامى العام الذى يعتبر الأرض كلها محلاً لعبادة الله، حيث يقول رسول الله ﷺ وآله فيما أخرجه البخارى والإمام أحمد فى مسنده: (جعلت لى الأرض مسجداً وطهوراً).

ثانيا: الإضاءة عند روضات الصالحين:

إن مسألة الإضاءة عند روضات أولياء الله- والتى يدعى الوهابيون حرمتها- ليست ذات أهمية كبرى، لأن الدليل الوحيد الذى يستدلون به هو حديث ضعيف ذكره النسائى عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ وآله لعن زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج.

وهذا الحديث- وأمثاله- يختص بما إذا كانت

الإضاءة تضييعاً وتبذيراً للمال أو تشبهاً ببعض الأمم والشعوب والأديان الباطلة، كما أشار إليه العلامة السندى- فى شرحه على هذا الحديث- حيث قال: (والنهى عنه لأنه تضييع مال بلا نفع) (السنن للنسائى: ج٣ ص٧٧ طبعة مصر، وج٤ ص٩٥ طبعة بيروت، شرح الجامع الصغير: ج٢ ص١٩٨).

وأما إذا كان الهدف من الإضاءة والإنارة هو تلاوة القرآن والدعاء والتضرع إلى الله وإقامة الصلاة وغيرها من المستحبات والواجبات والمنافع المشروعة، فهذا مما لا إشكال فيه قطعاً، بل إن الإضاءة فى هذه الأماكن ولهذه الأهداف مصداق لقوله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى البِرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ العِقَابِ﴾ (المائدة: ٢).

فكيف تكون حراما؟!.

بل لاشك أن الإضاءة مستحبة شرعاً، ومحبوبة

عقلاً.

ثالثا: النذر للصالحين:

قبل كل شئ نذكر تعريفا عن النذر فنقول:

النذر معناه أن يلزم الإنسان نفسه بأداء شئ معين إذا تحقق هدفه وقضيت حاجته، فيقول: لله على أن.. (ويذكر نذره) إذا كان.. (ويذكر حاجته).

مثلا يقول: لله على أن أختم القرآن إذا نجحت فى الامتحانات الدراسية.

هذا هو النذر الشرعى، ويجب أن يكون لله فقط، فإذا قال الناذر: نذرت لفلان، ففى قوله مجاز، والمعنى: نذرت لله على أن يكون ثوابه لفلان.

وثواب النذر يقع على ثلاثة أقسام:

١- أن يكون الثواب لنفس الإنسان الناذر.

٢- أن يكون لشخص حى.

٣- أن يكون لشخص ميت.

فقد يخصص الإنسان الناذر ثواب نذره لنفسه، أو لشخص حى- واحد كان أو أكثر- أو لشخص ميت- واحد كان أو أكثر-.

وهذه الأقسام الثلاثة كلها جائزة، ويجب على الناذر الوفاء بنذره إذا قضيت حاجته.

وقد مدح الله تعالى الإمام عليا والسيدة وفاطمة وسيدنا الحسن وسيدنا الحسين سلام الله عليهم بقوله: ﴿يوفون بالنذر﴾ (الإنسان: ٧).

أيها القارئ الكريم: إن النذر سنة معروفة بين كافة المسلمين فى العالم كله، وخاصة فى البلاد التى تحتضن روضات أولياء الله وعباده الصالحين.

وقد تعارف بين المسلمين النذر لله وإهداء ثوابه لأحد أولياء الله وعباده الصالحين.

حتى جاء ابن تيمية فزعم حرمة ذلك، وشن الهجوم على المسلمين حيث يتعارف هذا النذر بينهم أكثر من غيرهم، نظرا لكثرة روضات أولياء الله فى

بلادهم المحروسة، فاتهمهم بالشرك والانحراف وقال:

(من نذر شيئا للنبى أو غيره من النبيين والأولياء من أهل القبور، أو ذبح ذبيحة، كان كالمشركين الذين يذبحون لأوثانهم وينذرون لها، فهو عابد لغير الله فيكون بذلك كافرا).

ثم جاء محمد بن عبد الوهاب- بعد خمسة قرون تقريبا- فجعل يحيى بدعه ومفترياته.

لقد جهلا- أو تجاهلا- أن المقياس العام هو القصد والنية القلبية فـ (الأعمال بالنيات).

إذا كان مجرد العمل الظاهرى دليلاً على النية، فإن كثيراً من مناسك الحج وفرائضه تشبه- فى ظاهرها- أعمال عبدة الأصنام، فقد كانوا يطوفون حول أصنامهم ويقبلونها، ونحن نطوف حول الكعبة المشرفة ونقبل الحجر الأسعد، ونذبح الذبائح ونقرب القرابين فى منى يوم عيد الأضحى، فهل كفرنا وأشركنا بالله بأداء هذه المناسك؟!!.

إن المقياس هو النية القلبية، ولا يصح التسرع فى الحكم وإصدار الفتوى لمجرد عمل ظاهرى.

إن كل من ينذر لأحد أولياء الله، إنما يقصد- فى قلبه- النذر لله وإهداء الثواب لذلك الولى الصالح، ليس إلا.

ومن حسن الحظ أن العلماء والمفكرين- من الشيعة والسنة- قد تصدوا لأباطيل ابن تيمية ونظرائه.

فهذا الخالدى فى كتابه صلح الإخوان يرد على ابن تيمية ويقول:

(إن المسألة تدور مدار نيات الناذرين، وإنما الأعمال بالنيات، فإن كان قصد الناذر الميت نفسه والتقرب إليه بذلك لم يجُز، قولا واحداً، وإن كان قصده وجه الله تعالى وانتفاع الأحياء- بوجه من الوجوه- به وثوابه لذلك المنذور له- سواء عين وجهاً من وجوه الانتفاع، أو أطلق القول فيه وكان

هناك ما يطّرد الصرف فيه فى عرف الناس، أو أقرباء الميت، أو نحو ذلك - ففى هذه الصورة يجب الوفاء بالنذور).

ثم ذكر ما صرح به علماء عصره، ومن قارب عصره حول هذه المسألة.

وقال العزامى- فى كتاب فرقان القرآن-:

(ومن استخبر حال من يفعل ذلك من المسلمين، وجدهم لا يقصدون بذبائحهم ونذورهم للأموات- من الأنبياء والأولياء- إلا الصدقة عنهم وجعل ثوابها إليهم، وقد علموا أن إجماع أهل السنة منعقد على أن صدقة الأحياء نافعة للأموات، واصلة إليهم، والأحاديث فى ذلك صحيحة مشهورة.

فمنها: ما صح عن سعد بن عبادة أنه سأل النبى ﷺ وآله (قال: يا نبى الله إن أمى افتلتت، أى: ماتت، وأعلم أنها لو عاشت لتصدقت، فإن تصدقت عنها أينفعها ذلك؟.

قال ﷺ وآله: نعم.

فسأل النبى: أى الصدقة أنفع يا رسول الله؟

قال: الماء.

فحفر بئرا وقال: هذه لأم سعد.

لقد أخطأ محمد بن عبد الوهاب فادعى أن المسلم إذا قال: هذه الصدقة للنبى أو للولى، فاللام بنفسها هى اللام الموجودة فى قولنا: (نذرت لله)، يراد منها الغاية، فالعمل لله، بينما لو قال: للنبى، يريد بها الجهة التى يصرف فيها الصدقة من مصالح النبى ﷺ وآله فى حياته وبعد انتقاله.

وفى هذا الصدد يقول العزامى- بعد ذكر قصة سعد-:

"اللام" فى (هذه لأم سعد) هى اللام الداخلة على الجهة التى وجهت إليه الصدقة، لا على المعبود المتقرب إليه، وهى كذلك فى كلام المسلمين، فهم سعديون لا وثنيون!.

وهى كاللام فى قوله تعالى: ﴿إنما الصدقات للفقراء﴾ لا كاللام فى قوله سبحانه: ﴿رب إنى نذرت لك ما فى بطنى محررا﴾ أو فى قول القائل: صليت لله ونذرت لله، فإذا ذبح للنبى أو الولى أو نذر الشئ له فهو لا يقصد إلا أن يتصدق بذلك عنه، ويجعل ثوابه إليه، فيكون من هدايا الأحياء للأموات المشروعة المثاب على إهدائها، والمسألة مبسوطة فى كتب الفقه، وفى كتب الرد على الرجل ومن شايعه.

وهكذا ظهر لك- أيها القارئ- جواز النذر للأنبياء والأولياء، ومن دون أن يكون فيه شائبة شرك، فيثاب به الناذر إن كان لله وذبح المنذور باسم الله، فقول القائل: (ذبحت للنبى) لا يريد أنه ذبحه للنبى- ﷺ وآله- بل يريد أن الثواب له، كقول القائل: ذبحت للضيف، أو ذبحت للمريض، بمعنى أن النفع والفائدة له، فهو السبب فى حصول الذبح.

ويوضح ذلك ما روى فى سنن أبى داود عن ثابت

ابن الضحاك قال:

(نذر رجل على عهد رسول الله ﷺ أن ينحر إبلاً بـ (بوانة) فأتى رسول الله ﷺ وآله فأخبره فقال النبى: (هل كان فيها وثن يعبد من أوثان الجاهلية).

قالوا: لا. قال: (فهل كان فيها عيد من أعيادهم؟) قالوا:لا.

قال ﷺ وآله للسائل: (أوف بنذرك، فإنه لا وفاء لنذر فى معصية الله، ولا فيما لا يملك ابن آدم).

وروى أبو داود أيضا: أن امرأة أتت النبى ﷺ وآله فقالت: يا رسول الله إنى نذرت أن أذبح بمكان كذا وكذا، مكان كان يذبح فيه أهل الجاهلية.

فقال النبى: الصنم؟. قالت: لا. قال: الوثن؟ قالت: لا. قال: فِى بنذرك.

وعن ميمونة بنت كردم أن أباها قال لرسول الله ﷺ وآله:

(يا رسول الله إنى نذرت إن ولد لى ذكر أن أنحر

على رأس (بوانة)- فى عقبة من الثنايا- عدة من الغنم.

قال الراوى عنه: لا أعلم، إلا أنها قالت: خمسين. فقال رسول الله ﷺ وآله: هل من الأوثان شئ؟.

قال: لا. قال: فأوف بما نذرت به لله).

أرأيت أيها القارئ كيف يكرر النبى ﷺ وآله السؤال عن وجود الأصنام فى المكان الذى تذبح فيه الذبائح؟!.

إن هذا دليل على أن النذر الحرام هو النذر للأصنام، حيث كان ذلك عادة أهل الجاهلية. كما قال تعالى: ﴿وما ذبح على النصب ذلكم فسق﴾ (المائدة: ٣).

وكل من اطلع على أحوال الزائرين للعتبات المقدسة وروضات أولياء الله الصالحين يعلم جيدا أنهم ينذرون لله تعالى ولرضاه، ويذبحون الذبائح باسمه عز وجل، وانتفاع الفقراء بلحومها.

وختاما لهذا الفصل .. نذكر كلمة للخالدى- بعد أن ذكر ما رواه أبو داود فى سننه- قال: (وأما استدلال الخوارج بهذا الحديث على عدم جواز النذر فى أماكن الأنبياء والصالحين، زاعمين أن الأنبياء والصالحين أوثان - والعياذ بالله- وأعياد من أعياد الجاهلية، فهو من ضلالاتهم وخرافاتهم وتجاسرهم على أنبياء الله وأوليائه، حتى سموهم أوثاناً، وهنا غاية التحقير لهم، خصوصاً للأنبياء، فإن من انتقصهم- ولو بالكناية- يكفر ولا تقبل توبته- فى بعض الأقوال- وهؤلاء المخذولون بجهلهم يسمون التوسل بهم عبادة ويسمونهم أوثانا، فلا عبرة بجهالة هؤلاء وضلالاتهم) [صلح الإخوان، ص١٠٩].

وهذا يتعرى الوهابيون من الأقنعة الإسلامية المزيفة، التى يلبسون بها آراءهم الشاذة وأفكارهم الباطلة بخصوص الصلاة فى مساجد الصالحين والنذر لهم، وإيقاد السرج عند روضاتهم.. والحمد لله رب العالمين.

D:\كتب\الوهابية\doc٢٥.

وإلى الجزء الثالث من كتاب (موحدون لا قبوريون) لنواصل الحديث عن:

١- مشروعية الموالد.

٢- طلب المدد من الصالحين.

٣- التبرك والاستشفاء بالصالحين.

٤- اعتقاد القدرة الغيبية للصالحين.

سلسلة الفتوحات العزمية

(٢٦)

موحدون لا قبوريون

الجزء الثالث

لجنة البحوث والدراسات
بالطريقة العزمية

جميع حقوق الطبع والنشر والتصوير
والاقتباس والترجمة والنقل محفوظة

الطبعة الأولى

ذو الحجة ١٤٢٧هـ - يناير ٢٠٠٧م

عنوان الكتاب	موحدون لا قبوريون
المؤلف	لجنة البحوث والدراسات بالطريقة العزمية
الناشر	دار الكتاب الصوفى
عنوان الناشر	١١٤ ش مجلس الشعب- السيدة زينب
رقم التليفون	٠٢/٣٩٠١٠٣٠
رقم الإيداع	٢٠٠٦/١٨٦٠٤م
الترقيم الدولى	٩٧٧-٥٢٧٣-٧٣-٥

محتويات الكتاب

الموضوع **الصفحة**

الافتتاحـــــية: خطر الوهابية على الأمة الإسلامية	٤
الفصـــل السابع: مشروعية الموالد	٨
شبهات الوهابية والرد عليها	١٤
الفصـــل الثامن: طلب المدد من الصالحين	٣٧
مدد الخالق ومدد المخلوق	٤٩
شبهات طلب المدد	٦٣
الفصـــل التاسع: التبرك والاستشفاء بالصالحين	٧٤
التبرك بالنبى ﷺ وآله	٨٠
التبرك بآثار النبى ﷺ وآله	٨٧
الفصل العاشر: اعتقاد القدرة الغيبية للصالحين	١٠٢
جواز طلب الأعمال الإعجازية من أولياء الله الصالحين	١١٤
ابن تيمية يكذب الوهابية	١٢٤

الافتتاحية

خطر الوهابية على الأمة الإسلامية

الحمد لله رب العالمين، لم يخف عنا شيئا من دينه، ولم يترك شيئا رضيه أو كرهه إلا وجعل لـــه علمـــاً بادياً، وآية محكمة تزجر عنه أو تدعو إليه.. قد كفاكم مؤونة دنياكم، وحثكم على الشكر، وافتـــرض مـــن ألسنتكم الذكر، وأوصاكم بالتقوى، وجعلهـــا منتهـــى رضاه من خلقه،، واعلموا أنه من يتق الله يجعل لـــه مخرجاً من الفتن، ونوراً من الظلـــم، ويخلـــده فيمـــا اشتهت نفسه، وينزله منزل الكرامة عنـــده، فـــى دار اصطنعها لنفسه، ظلها عرشـــه، ونورهـــا بهجتـــه، وزوَّراها ملائكته، ورفقاؤها رسله.. فبادروا المعـــاد، وسابقوا الآجال، فإن الناس يوشك أن ينقطـــع بهـــم الأمل، ويرهقهم الأجل، ويسد عنهم باب التوبة.

والصلاة والسلام على ممد لطائف القلوب بأسرار الغيوب، ومشرق الفتاح لـــلأرواح، وســـور الحفـــظ للأشباح، مدينة مجلى ذاتك الأحدية، وروض تجلـــى

معانى أسمائك وصفاتك الربانية.. سيدنا ومولانا محمد.

اللهم صل وسلم وبارك عليه وآله، صلاة تشهد بها أرواحنا مكانته الأحمدية، وسرنا أنواره المحمدية، وبصائرنا مقام رسالته، وأبصارنا ظل هيكله، حتى تطمئن القلوب بحق اتباعه ﷺ وآله، وتنشرح الصدور بفهم أحواله ﷺ وآله، وجملنا يا إلهنا بحقيقة الاتباع لهديه ﷺ وآله، والتمسك بسنته ﷺ وآله.. وأعذنا يا إلهنا من البدعة المضلة التى تخرجنا عن أن نكون مسلمين، وعن الهوى القاطع الذى يخرجنا عن حظائر مشاهداته، وعن الحظ الحاجب لنا عن شهود أنواره.. آمين يا رب العالمين.

أما بعد:

بينا فى الجزء الأول والجزء الثانى من كتاب (موحدون لا قبوريون) أن أكبر الذرائع التى كفَّر الوهابيون الأمة بسببها هى زعمهم أن المسلمين قد عادوا إلى الشرك والوثنية بعبادة القبور، وهم يجمعون على تسمية مخالفيهم بالقبوريين، وقد وجدنا

أن شبهاتهم تنحصر فى عشر شبهات، قمنا بتفنيد شبهتين فى الجزء الأول من هذا الكتاب، وهما:

١- جواز بناء روضات الأولياء.

٢- وجواز بناء المساجد على المراقد.

وقمنا بتفنيد أربع شبهات فى الجزء الثانى، وهى:

١- مشروعية زيارة روضات الأنبياء والأولياء.

٢- مشروعية التوسل بالأنبياء والأولياء.

٣- مشروعية الحلف بحق الأنبياء والأولياء.

٤- النذر للصالحين والصلاة بمساجدهم.

وفى هذا الجزء (الثالث) سنقوم- بعون الله وتوفيقه- بتفنيد أربع شبهات أخرى، هى:

١- مشروعية الموالد.

٢- طلب المدد من الصالحين.

٣- التبرك والاستشفاء بالصالحين.

٤- اعتقاد القدرة الغيبية للصالحين.

هذه صرخة لبعث أمة، من نومة الغفلة ورقدة الجهالة، لتوحيد صفوفها، ونبذ اليهود- بأسماء إسلامية- المفرقين من بينها، ومعاملتهم بما يليق من

معاملة الأعداء .. حتى نستعيد مجد سلفنا الصالح.. فنسأل الله تعالى أن يجمع أمرنا، ويهدى ضالنا، ويوفقنا لما يحب ويرضى.

لجنة البحوث والدراسات

بالطريقة العزمية

الفصل السابع

مشروعية الموالد

لعل تجديد الذكرى بالمواليد والوفيات، والجرى على مراسم النهضات الدينية أو الشعبية العامة، والحوادث العالمية الاجتماعية، وما يقع من الطوارق المهمة فى المكان والزمان، واتخاذ تلك المناسبات أعياداً وأفراحاً أو مآتماً وأحزاناً، وإقامة الحفل السار أو التأبين من الشعائر المطردة، والعادات الجارية منذ القدم، دعمتها الطبيعة البشرية، وأسستها الفكرة الصالحة لدى الأمم الغابرة، عند كل ملة ونحلة قبل الجاهلية وبعدها.. وهلم جرا حتى اليوم.

هذه هى مراسم اليهود والنصارى والعرب، فى أمسها ويومها، وفى الإسلام وقبله، سجلها التاريخ فى صفحاته، وكأن هذه السنة نزعة إنسانية، نبعت من عوامل الحب والعاطفة، وتسقى من منابع الحياة، وتتفرع على أصول التبجيل والتجليل والتقدير والإعجاب، لرجال الدين والدنيا، أفذاذ الملأ وعظماء

الأمة، إحياء لذكراهم، وتخليداً لاسمهم، وفيها فوائد تاريخية واجتماعية، ودروس أخلاقية صافية راقية، لمستقبل الأجيال، وعظات وعبر، ودستور عملي صالح للناشئة الجديدة، وتجارب واختبارات تولد حنكة الشعب، ولا تخص جيلاً دون جيل، ولا فئة دون فئة أخرى.

ومن ثم فإن إحياء الذكريات الإسلامية واجب على علماء الأمة الإسلامية، من أجل تذكير الشباب المسلم خاصة، وجميع المسلمين عامة بالمواقف الرائعة للرسول ﷺ وأهل بيته وأصحابه خلال الهجرة النبوية، والإسراء والمعراج، وغزوة بدر، وغزوات أحد والخندق، والقادسية وأمثالها، وإن هذا التذكير مبدأ تربوى قرآنى ركز عليه القرآن ظاهراً حيث لا يخفى على القارئ المسلم لآيات القرآن الكريم.

فيقول عز وجل: ﴿تِلْكَ القُرَى نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَائِهَا﴾ (الأعراف: ١٠١). ويقول تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلاً مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ﴾ (الرعد: ٣٨). ويقول جل ذكره: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ القَصَصِ﴾ (يوسف: ٣). ويقول جل جلاله:

﴿فَاقْصُصِ القَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (الأعراف: ١٧٦).

ومعلوم أن القرآن ما بين ذكر وتذكرة وذكرى:

فالقرآن ذكر: نعبد الله به، ونتقرب إليه به، ونتشرف بتلاوته.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (الحجر: ٩). وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا القُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ (القمر: ١٧).

والقرآن تذكرة: فهو تنبيه وإخبار لما حدث فيمن سبق من الأمم لنتعظ ونعتبر به.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا المَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الجَارِيَةِ*لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ﴾ (الحاقة: ١١).

والقرآن ذكرى: فهو تلاوة وترديد ذكر الأنبياء والمرسلين والصالحين لإحياء ذكراهم، لأنه إحياء للقلوب وتكريم لهم وتشريف.

قال الله تعالى: ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى*أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ الذِّكْرَى﴾ (عبس: ٣-٤).

وقال تعالى: ﴿فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَى* سَيَذَّكَّرُ مَن

يَخْشَى﴾(الأعلى: ٩-١٠)..

وقال تعالى: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنفَعُ المُؤْمِنِينَ﴾(الذاريات: ٥٥).

وعلى هذا فإحياء ذكرى الصالحين، واجب بأمر من الله تعالى، وهذا شاهد من كلام الله فى الأمر بالذكر الحسن وإحياء الذكرى وتخليدها.

قال تعالى: ﴿وَاذْكُرْ فِي الكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَاناً شَرْقِياً﴾ (مريم: ١٦).

وقال تعالى: ﴿وَاذْكُرْ فِي الكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقاً نَّبِياًّ﴾ (مريم: ٤١).

وقال تعالى: ﴿وَاذْكُرْ فِي الكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصاً وَكَانَ رَسُولاً نَّبِياًّ﴾ (مريم: ٥١).

وقال تعالى: ﴿وَاذْكُرْ فِي الكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الوَعْدِ وَكَانَ رَسُولاً نَّبِياًّ﴾(مريم: ٥٤).

وقال تعالى: ﴿وَاذْكُرْ فِي الكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقاً نَّبِياًّ﴾(مريم: ٥٦).

قال تعالى: ﴿وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُوْلِي الأَيْدِي وَالأَبْصَارِ * إِنَّا أَخْلَصْنَاهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ * وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ المُصْطَفَيْنَ

الأَخْيَارِ﴾(ص: ٤٥- ٤٧).

قال تعالى: ﴿وَاذْكُرْ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الكِفْلِ وَكُلٌّ مِّنَ الأَخْيَارِ * هَذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ﴾(ص: ٤٨-٤٩).

وبالرجوع إلى آراء السادة المفسرين نجد أن هذه الآيات بصيغة الأمر من الله بذكر هؤلاء الأنبياء والصالحين كلما تلى كلام الله إلى يوم الدين، وهذا ولاشك تخليداً وإحياء لذكراهم، وأى تخليد أعظم وأجل من هذا، وإذا ما علمنا أنه أمر من الله يتحقق بالاقتداء بهم تنفيذاً لأمر الله تعالى: ﴿أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾ (الأنعام: ٩٠). يؤكد ذلك ما ورد عن المفسرين بقوله تعالى: ﴿هذا ذكر﴾ (ص: ٤٩). قال الإمام القرطبى: معناه "هذا ذكر جميل فى الدنيا وشرف يذكرون به فى الدنيا أبدا". وقال الإمام النسفى: معناه "أى هذا شرف وذكر جميل يذكرون به أبدا". وفى معنى قوله: ﴿وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ﴾ أى: مرجع، يعنى يذكرون فى الدنيا بالجميل ويرجعون فى الآخرة إلى مغفرة رب جليل".

وفى معنى ﴿إنا أخلصناهم بخالصة ذكرى الدار﴾

قيل: ﴿ذكرى الدار﴾ الثناء الجميل فى الدار، وهذا شئ قد أخلصهم به فليس يذكر غيرهم فى الدنيا بمثل ما يذكرون به، يقويه قوله: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِياً﴾ (مريم: ٥٠). ومعناه: أى جميع الملل يثنون عليهم.

إذن فالقرآن الكريم يضع أصلاً بارزاً من أصول التربية الدينية والاجتماعية والسياسية، بهذا المنهج التذكيرى.. ذلك أن الإنسان- والأمة أيضاً- الكل معرض للنسيان والسهو والغفلة، فلابد من تذكيره بما فيه خيره ومصلحته.

ولقد تأمل أئمة الإسلام- عدا (ابن تيمية وابن القيم وابن عبد الوهاب)- هذه الآيات وغيرها، فاستنوا سنة إحياء موالد الأنبياء والأولياء، مبينين للناس مآثرهم وما كانوا عليه من خلق وجهاد، وصبر وعزم، حتى يجد المسلم المعاصر فى حياة من مضى من أهل الفضل عبرة، ويكون له فيهم أسوة، فيطمئن قلبه، ويثبت فؤاده، ويزداد هديه.

رغم كل هذا البيان الواضح من القرآن بمداومة ذكر سير الصالحين، يسوء (ابن تيمية وابن القيم وابن

عبد الوهاب) تعظيم الرسول ﷺ خاصة وكافة الأنبياء والأولياء عامة، وتخليد ذكرياتهم، وإحياء مناسبات مواليدهم أو وفياتهم، ويعتبرون اجتماع الناس فى المجالس المقصودة لهذا الشأن شركاً وضلالاً فى هذا الصدد، ويستدلون على ذلك بحجج واهية:

شبهات الوهابية حول الموالد:

أولها: إن الذكريات التى ملأت البلاد الإسلامية باسم الأنبياء وأهل البيت والأولياء من نوع العبادة لهم، لأن فيها تعظيمهم، وتعظيمهم عندهم شرك، ولأجل ذلك يجعلون اجتماع الناس على سماع قراءة ما تيسر من القرآن، وقراءة الأخبار الواردة فى مبدأ أمر النبى ﷺ وما وقع فى مولده من الآيات، وقراءة شمائله الكريمة تعظيما لقدره ﷺ وإظهار الفرح والاستبشار بمولده، ثم مد الطعام لهم يأكلون ويشربون، وبعد ذلك ينصرفون، يرون هذا العمل منكراً عظيماً تجب عليهم إزالته باليد، فإذا سمعوا بإنسان عمل مولداً قبضوا عليه وعلى الحاضرين معه إلى أجل غير مسمى وفقا لقانون الطوارئ الوهابى.

ثانيها: إن عمل الموالد وإحياء الذكريات الإسلامية لم يؤثر عن الرسول ﷺ، وكل أمر لم يحدث فى عهده فهو بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة فى النار، ولم يفعلها من بعده ﷺ الصحابة رضوان الله عليهم فهى بدعة سيئة محرم فعلها، ويجب الإنكار عليها.

ثالثها: يزعم الوهابية أن فى الاحتفالات بالموالد بعض المنكرات كاختلاط النساء بالرجال والرقص والغناء.. وغير ذلك من البدع والمنكرات.

وللرد على شبهات وأباطيل إحياء ذكرى الصالحين نقول:

أولاً: إن الوهابية لم يعينوا حداً للتوحيد والشرك، وللعبادة على الأخص، ولذلك رموا كل عمل بالشرك، حتى أنهم تصوروا أن كل نوع من التعظيم عبادة وشركاً.

ولأجل ذلك جعلوا العبادة إلى جانب التعظيم، وتصوروا أن اللفظين معنى واحداً، ومما لاشك فيه أن القرآن يعظم فريقاً من الأنبياء والأولياء بعبارات صريحة، كما يقول فى شأن زكريا ويحيى عليهما

السلام: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَباً وَرَهَباً وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ (الأنبياء: ٩٠).

فلو أن أحداً أقام مجلساً عند روضات من عناهم الله وسمَّاهم فى هذه الآية، وقرأ فى ذلك المجلس هذه الآية المادحة، معظماً بذلك شأنهم، فهل اتبع غير القرآن؟. كما يقول فى شأن أهل بيت النبى ﷺ: ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيراً﴾ (الإنسان: ٨). فهل ترى لو اجتمع جماعة فى يوم ميلاد سيدنا على بن أبى طالب كرم الله وجهه وهو أحد الآل وقالوا: إن علياً يطعم الطعام للمسكين واليتيم والأسير، كانوا مشركين؟.

أو ترى لماذا يكون شركاً لو أن أحداً تلا الآيات المادحة لرسول الله ﷺ وآله فى حفلة عامة فى يوم مولده الشريف ﷺ كالآيات الآتية:

﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (القلم: ٤). ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً* وَدَاعِياً إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجاً مُّنِيراً﴾(الأحزاب: ٤٥-٤٦). ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ (التوبة: ١٢٨). ﴿إِنَّ

اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾ (الأحزاب: ٥٦).

فلو تلا أحد هذه الآيات المثنية على النبى، أو قرأ ترجمتها بلغة أخرى، أو سكب هذا المديح الإلهى القرآنى فى قالب الشعر وأنشد ذلك فى مجلس كان مشركاً؟!.

ثانياً: إن عمل المولد- وإن حدث بعد عهد النبى ﷺ وصحابته- ليس فيه مخالفة لكتاب الله ولا لسنة رسول الله ﷺ ولا لإجماع المسلمين، فلا يقول ذلك من له بقية من عقل ودين بأنه مذموم فضلاً عن كونه منكراً عظيماً، وكون السلف الصالح لم يفعلوه صحيح، ولكنه ليس بدليل، وإنما هو عدم دليل، ويستقيم الدليل على كونه ممنوعاً أو منكراً لو نهى الله تعالى عنه فى كتابه العزيز، أو نهى عنه رسول الله ﷺ فى سنته الصحيحة، والحقيقة أنه صلوات الله وسلامه عليه لم ينه عنه فيها.

قال الإمام الشافعى رضي الله عنه: ما أحدث وخالف كتاباً أو سنة أو إجماعاً أو أثراً فهو البدعة الضالة، وما أحدث من الخير ولم يخالف شيئاً من ذلك فهو المحمود.

وجرى الشيخ الإمام العز بن عبد السلام والنووى على ذلك، وأن الأثر على تقسيم البدعة إلى خمسة أقسام:

بدعة واجبة: كالرد على أهل الزيغ وتعليم النحو وطباعة المصحف وعلم أصول الفقه وتاريخه.

وبدعة مندوبة: كإحداث الربط والمدارس والمستشفيات والأذان على المنائر، وصنع إحسان لم يعهد فى الصدر الأول كالإسعاف ودار اليتامى والسجون.

وبدعة مباحة: كاستعمال السيارات والطائرات والتوسع فى المأكل والمشرب.

وبدعة مكروهة: كزخرفة القصور وتزويقها مما يعد إسرافاً.

وبدعة محرمة: وهى ما أحدث لمخالفة السنة، ولم تشمله أدلة الشرع العامة، ولم يحتوِ على مصلحة شرعية.

ثالثاً: إن مشروعية الاحتفال بالمولد لا يقصد بها إلا المولد الذى خلا من المنكرات المذمومة التى يجب الإنكار عليها، أما إذا اشتمل المولد على شئ مما

يجب الإنكار عليه كخلوة الرجال بالنساء وارتكاب المحرمات، وكثرة الإسراف مما لا يرضى به صاحب المولد، فهذا لاشك فى تحريمه ومنعه لما اشتمل عليه من المحرمات، لكن تحريمه يكون عارضياً لا ذاتياً.

ولتوضيح الأمر نقول: إن الأعمال الملصقة بالموالد تنقسم إلى ما يلى:

١- **أعمال مشروعة:** كالنية وشد الرحال والاجتماع والمواكب والذكر وتلاوة القرآن، والزيارة والصلاة فى المساجد، وإطعام الطعام للفقراء وسماع السيرة.

٢- **خدمات بريئة:** كالبيع والشراء وألعاب الأطفال، والملاهى وغيرها، فالذى أعطاها الترخيص هى المحليات والبلديات وتحرسها الشرطة، وإذا ساد الرأى أنها مخالفة فيجب إزالتها إما عن طريق وزارة الداخلية أو عن طريق البلديات بحجة إشغال الطريق، وإلا تركت فلا ضرر منها دينياً ولا قانونياً ولا اجتماعياً.

٣- **مخالفات شرعية وأمنية:** كالسرقة والنصب

والاحتيال والدجل والشعوذة، والبلطجة وعدم الانضباط، وهذه الأعمال لا توجد جهة رخصت بهذا، ولا دعت إليه، ولا يعتبر ضمن طقوس المولد، ولا يجب أن ينسب إلى الموالد، ولكنه كالذباب الذى يتجمع عند الجزارين لا يحرم اللحوم ولا يمكن الاحتراز منه بسهولة.. وكما هو معلوم لا يبطل عمل قوم بعمل الآخرين، ولا تفسد نية رجل بفساد نوايا الآخرين، وإلا نبطل الحج لوجود سرقة أو مخالفة شرعية فيه.

وإليكم أيها القراء الكرام: هذه المفاجأة من العيار الثقيل، وهى أن جميع الأمة- حتى الوهابية يحتفلون بالمولد- علموا بذلك أم لم يعلموا!!. ولبيان ذلك نقول:

إن عيد الأضحى ما هو إلا مولد عام وكبير فرضه الله على جميع المسلمين فى أنحاء الأرض، وزيادة للفائدة سنذكر الاحتفال بذكرى ذبح فداء سيدنا إسماعيل عليه السلام على ما يلى:

أولاً: ما سمى عيد الأضحى إلا لأن سيدنا إبراهيم عليه السلام ضحى بابنه فى سبيل الله، لكن الله فداه بذبح

عظيم لذلك سمى عيد الأضحية أو الأضحى، فالذبح يسمى فداء وهدى للحجيج، وأضحية عند غير الحجيج.

ثانياً: عيد الأضحى هو عيدان، ميلاد سيدنا إسماعيل عليه السلام أحدهما وهو صغير معرض لهلاك محقق لعدم وجود طعام ولا شراب، والثانى عندما استسلم لوالده وقال له: ﴿يا أبت افعل ما تؤمر ستجدنى إن شاء الله من الصابرين﴾ (الصافات: ١٠٢). ففداه الله بذبح عظيم ومنها أصبحت نسك الحج.

ثالثاً: عيد الأضحى للمسلمين جميعاً فى أنحاء العالم، وهو مشاركة ومتابعة لحجاج بيت الله الحرام.

رابعاً: هو فرحة بالحجاج لما أكرمهم الله به من العفو والمغفرة لخروجهم من ذنوبهم كيوم ولدتهم أمهاتهم، لما قاموا به من تكرار مواقف سيدنا آدم وأمنا حواء، وسيدنا إبراهيم وأمنا هاجر وسيدنا إسماعيل عليهم السلام.

خامساً: ومما يؤكد أن العيد احتفال بميلاد سيدنا إسماعيل عليه السلام، أن خطبة العيد فى جميع بقاع

الأرض لا تخرج عن حادثة الأضحية ونجاة سيدنا إسماعيل عليه السلام.

سادساً: الهدى أو الأضحية سواء فى الحج أو فى غيره صورة وتكرار وتقليد لفعل سيدنا إبراهيم عليه السلام.

سابعاً: عيد الأضحى وعيد الفطر فيهما إحياء ليلتى العيد وخاصة بالتكبير والتهليل والصلاة على سيدنا رسول الله ﷺ بأصوات عالية، كذلك باقى أيام عيد الأضحى بعد كل صلاة تكبير وتهليل وصلاة على رسول الله ﷺ وآله وصحبه وتابعيه إلى يوم الدين. القائل فى الحديث: (زينوا أعيادكم بالتكبير والتهليل).

ثامناً: التكبير والتهليل والصلاة على رسول الله ﷺ وآله وصحبه وتابعيه إلى يوم القيامة هذا يكون أيام عيد الأضحى بعد كل صلاة، ومعناها أنه كل عام مرة خلال أيام عيد الأضحى جميعاً، وهذا احتفال بأصوات عالية من جميع المسلمين، وهذا رغم أنه احتفال من احتفالات العيد إلا أنه احتفال برسول الله ﷺ وباقى أتباعه وهو كل عام فى عيد الأضحى بصورة خاصة، إذن هو تكريم وحفاوة واحتفال بالأمة

الإسلامية ونبيها ﷺ، ثم إن هذه الصلاة النبوية هى من وضع السادة الأئمة الأوائل رضى الله عنهم ولكن معناها هو الاحتفال والتكريم.

تاسعاً: إن تكرار عيد الأضحى كل عام يثبت ويؤكد أن الاحتفال بمولد سيدنا إسماعيل وإحياء ذكراه بأمر من الله ورسوله ﷺ بعد انتقاله إلى الرفيق الأعلى، وهو يعتبر إحياء ذكرى ميلاده عند ذبحه عليه السلام.

عاشراً: ومما سلف وضح لنا أن عيد الأضحى مجملا هو احتفال بالأنبياء والصالحين، ومولد لسيدنا إسماعيل عليه السلام ويكرر سنويا.

فهو احتفال بسيدنا آدم وأمنا حواء عليهما السلام وموقف عرفات والمزدلفة والطواف الأول.

واحتفال بسيدنا إبراهيم وسيدنا إسماعيل عليهما السلام، ولهما قصة ذبح الهدى والأضحية ورمى الجمرات بمنى.

وسيدتنا هاجر عليها السلام لها السعى بين الصفا والمروة.

وسيدنا ومولانا محمد ﷺ له تقبيل واستلام الحجر

الأسعد، واستلام الركنين والصلاة عند مقام إبراهيم عليه السلام.. وهذا الاحتفال له جائزة من الله لدرجة أنه ورد فى الحديث أن يوم العيد يوم الجائزة ففيه تغفر الذنوب، ويعود على المضحى ثواب عظيم كما ورد فى الحديث أن الأضحية المقبولة يكتب لصاحبها الثواب بعدد شعرها حسنات، علاوة على أن إحياء ليلة العيد إحياء لقلب المحتفل.. هذا كله ببركة الاحتفال بهذه المناسبة وأصحابها.

يا للعجب!! إن الوهابيين يعظمون شخصياتهم وأمراءهم أكبر تعظيم، تعظيماً يعتبرون جزءاً منه بدعة وشركاً إذا كان للنبى أو لمنبره ومحرابه- ﷺ وآله-!!.

إن الوهابية- بهذه العقائد الجافة- تشوه سمعة الإسلام أمام الرأى العام العالمى، وتعرفه ديناً عارياً عن كل عاطفة، وفاقداً للمشاعر الإنسانية، وناقصاً عن كل تكريم واحترام، ورافضاً لتكريم عظمائه وقادته، وبهذا تُنفِّر الناس من الإسلام وتتركهم فى رفض واشمئزاز منه.

تماماً.. بعكس الإسلام الذى جعله الله ديناً سهلاً

سمحاً يتجاوب مع الفطرة البشرية ويتماشى مع العاطفة الإنسانية، ويجذب- بجماله وروعته- الشعوب والأمم إلى اعتناقه.

والعجب من هؤلاء الوهابيين.. كيف يحرِّمون الاحتفال بالنبى- ﷺ وآله- وبيوم ميلاده المبارك، ذلك النبى الذى أسدى إلى البشرية عامة أعظم العطاء الزاخر الدائم، ويعدُّون الاحتفاء به والاحتفال بميلاده شركاً، ولكنهم يقيمون الاحتفالات الضخمة تشييداً لرجالهم وأمرائهم، وينفقون- فى هذا السبيل- ملايين الريالات، تقديرا لخدماتهم- كما يزعمون-.

أنظر إلى العدد ١٠٢ من مجلة الفيصل- التى تصدر فى طباعة أنيقة جداً فى السعودية- فهو يحتوى على تقرير مفصل عن الاحتفالات الكبرى التى أقامتها الوهابية بمناسبة عودة الأمير سلطان من الرحلة الفضائية فى مركبة ديسكفرى.

ويحتوى هذا العدد على صور كثيرة تنبئ عن حجم المبالغ الطائلة التى صرفت فى تلك الاحتفالات، وقد نشرت الكلمات والقصائد التى ألقيت فى تلك الاحتفالات، وتقرأ فيها المدح المفرط والثناء المسرف

D:\كتب\الوهابية\٢٦doc.

لآل سعود عامة وللأمير خاصة!!.

حتى قرأ أحد المنافقين قوله تعالى: ﴿يَا مَعْشَرَ الجِنِّ وَالإِنسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ فَانفُذُوا لاَ تَنفُذُونَ إِلاَّ بِسُلْطَانٍ﴾ (الرحمن: ٣٣)، وقال: إن قوله تعالى: ﴿بسلطانٍ﴾ يقصد به الأمير سلطان بن عبد العزيز!!.

بالله عليك- أيها القارئ- هل يستحق أمير- لم يفعل شيئا سوى أنه رافق مجموعة من الأجانب الغربيين فى رحلة فضائية أعدها الأمريكيون- هل يستحق هذا الاحتفاء والتكريم وصرف الأموال الطائلة، وهدر الطاقات والنشاط فيما لا فائدة فيه. ولا يستحق رسول الله- ﷺ وآله- الذى أخرج الناس من الظلمات إلى النور، وحلّق بهم فى سماء الكمالات المعنوية والفضائل النفسية والصفات العالية، وأنقذهم من كل سوء وانحطاط وضلال وضياع وانحراف؟!!.

ألا يستحق رسول الإسلام أن تخلد ذكرى مولده الشريف، وتُعدَّد مناقبه وفضائله، وإنجازاته العظيمة، وعطاؤه الزاخر، وخدماته الجليلة، وجهاده وجهوده

وغير ذلك، حتى تعرف الأجيال- على امتدادها- ما أسداه هذا النبى العظيم من خدمة، وما قدمه من عطاء، وما تحمل من عناء فى سبيل هداية البشرية؟!.

وهل التكريم إلا الاحتفاء والاحتفال به، وهل الاحتفال إلا الفرح به ونشر قيمه الفاضلة، والحث على الاقتداء به، والأخذ بهديه، والمحافظة على آثاره؟!.

وكيف لا يجوز مدح النبى- ﷺ وآله- وإلقاء القصائد فى فضله وعظمته، فى حين توافق الوهابية على نشر كتاب (عبق الورود فى فضائل آل سعود) وكتاب (الممتاز فى مناقب ابن باز)؟

بل وقام كبير مرتزقتهم فى مصر (محمد حامد الفقى) مؤسس جماعة أنصار السنة المحمدية فى ٤ شوال ١٣٦٩هـ بطبع كتاب عنوانه (أزهار من رياض سيرة الإمام العادل حضرة صاحب الجلالة مولاى الملك المعظم عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود، لمناسبة الاحتفال بذكرى مرور

خمسين عاماً على دخول جلالته الرياض فى ٤ شوال ١٣١٩هـ) وذكر فى الكتاب (٨٣) منقبة وفضيلة للملك عبد العزيز. والملاحظ أنه أطلق على عبد العزيز آل سعود خمسة أسماء حسنى هى: (العادل، صاحب الجلالة، المولى، الملك، المعظم) فى حين أنهم لا يقولون (سيدنا) على أشرف خلق الله ﷺ وآله، والملاحظ أيضاً أنه أصدر هذا الكتاب بمناسبة دخول عبد العزيز الرياض، ولو احتفل المسلمون بمناسبة دخول النبى ﷺ المدينة، أو فتح مكة، أو خيبر لعُدوا ذلك بدعة منكرة.

ما هذا التناقض بين القول والعمل الذى يقع فيه الوهابيون دائما؟!.

لماذا يمنعون إقامة الاحتفالات بمولد النبى الأكرم، بحجة أنه لم يرد فى فعل الصحابة ذلك، ولكنهم يقيمون أعظم الاحتفالات والمهرجانات لرجالهم السياسيين؟! وليس أدل على ذلك من العيد الوطنى السعودى وهو احتفال بمناسبة جلوس الملك عبد العزيز على العرش.. قال تعالى: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ

آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ* اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ (البقرة: ١٥-١٦).

لماذا يمنعون الاحتفال بموالد الأولياء وقد أقاموا يوم ٢١ ربيع الثانى ١٤٠٠ هجرية احتفالاً كبيراً بالرياض لمولد ابن عبد الوهاب استمر أسبوعاً كاملاً- كما هو الشأن فى الاحتفال بالموالد عند الصوفية- تحت رعاية الشيخ عبد العزيز بن باز، وقد شد الرحال لحضور هذا المولد كثير من أهل التكفير والتشريك والتبديع من أنحاء العالم الإسلامى، وقد نشر ذلك الاحتفال بمجلة الدعوة فى عددها الصادر عن شهر جمادى الآخرة ١٤٠٠هـ بالصحيفة رقم (١٤)؟!!.

لماذا يرى الوهابيون احتفال المسلمين بميلاد الرسول ﷺ والصالحين بدعة منكرة لا أساس لها من الدين، فى الوقت الذى يحتفلون بعيد ميلاد (كوندا ليزا رايس) وزيرة الخارجية الأمريكية فى الأراضى المقدسة- كما نشرت ذلك صحيفة أخبار اليوم

القاهرية عدد ٢٠٠٥/١١/١٤م- فكيف تجيز الوهابية الاحتفال بميلاد كوندى فى البلد الحرام، وتحرم الاحتفال بمولد الرسول الكريم؟ وهل فعل ذلك الرسول والصحابة فقلدتهم الوهابية؟!!.

أيها القارئ الكريم: إن المسلمين درجوا من قديم الأيام على الاحتفال بميلاد النبى، يقول الديار بكرى فى كتابه تاريخ الخميس:

(ولا يزال أهل الإسلام يحتفلون بشهر مولده ﷺ ويعملون الولائم، ويتصدقون فى لياليه بأنواع الصدقات ويظهرون السرور، ويزيدون فى المبرات، ويعتنون بقراءة مولده الكريم، وظهر عليهم من كراماته كل فضل عميم).

وهكذا أخى الكريم، عرضنا للعديد من الأدلة القرآنية التى تجيز الاحتفال بموالد الصالحين أو وفياتهم، وهذا اعتراف من المحتفلين بعبودية المحتفى به لأنه ولد وانتقل، والإله لم يلد ولم يولد وله الخلود، إلا أن الوهابية تنصب نفسها حكماً على قلوب ونوايا العباد، فإذا قال المحتفل: إننى لا أعبد الولى، قالوا:

لا، أنت تعبد الولى، وهذا شئ مضحك، فلأول مـــرة فى تاريخ الإسلام نرى بعض الناس يأتون بنوايا من عندهم يفترضونها، ثم يفرضونها، ثم يقيمـــون بهـــا الحجة على الآخرين، على اعتبار أن مـــا فرضـــوه وافترضوه صحيح؟!!.

فيا أتباع الوهابية: قليلا من التفكر والموضوعية! قليلا من الفهم والمعرفة!

ويبقى السؤال: ما هى أدلة إحياء المولد من السنة الشريفة؟. والجواب كما يلى:

أولاً: جاء أنه يخفف عن أبى لهب كل يوم الاثنين بسبب عتقه لثويبة جاريته لما بشرته بولادة المصطفى ﷺ، ويقول فى ذلك الحافظ شمس الدين محمـــد بـــن ناصر الدين الدمشقى:

إذا كان هـــذا كافرا جاء ذمُّـــــه
وتبَّت يداه فى الجحيـــــم مخلدا
أتى أنه فى يـــــوم الاثنين دائماً
يخفف عنـــــه للسرور بأحمدا
فما الظن بالعبد الذى كان عمره

بأحمد مسروراً ومات مـــوحدا

وهذه القصة رواها البخارى فى الصحيح فى كتاب النكاح، ونقلها الحافظ ابن حجر فى الفتح، ورواهـــا الإمام عبد الرزاق الصنعانى فى المـــصنف ج٧ ص ٤٧٨، وابن كثير فى السيرة النبوية من البدايـــة ج١ ص ٢٢٤، وابن الدَّيبع الشيبانى فى حدائق الأنـــوار ج١ ص ١٣٤، والحافظ البغوى فى شرح السنة ج٩ ص ٧٦، وابن هشام، والسهيلى فى الروض الأنـــف ج٥ ص١٩٢. والعامرى فى بهجة المحافل ج١ ص ٤١، والبيهقى، وهى وإن كانت مرسلة إلا أنها مقبولة لأجل نقل البخارى لها واعتماد العلماء مـــن الحفـــاظ لذلك، ولكونها فى المناقب والخصائص لا فى الحلال والحرام، وطلاب العلم يعرفون الفرق بين الاستدلال بالحديث بين المناقب والأحكام، وأما انتفـــاع الكفـــار بأعمالهم ففيه كلام بين العلماء ليس هذا محل بسطه، والأصل فيه ما جاء فى الصحيح من التخفيف عـــن أبى لهب بطلب رسول الله ﷺ وآله.

ثانياً: إنه ﷺ كان يعظم يوم مولـــده ويـــشكر الله

تعالى فيه على نعمته الكبرى عليه وتفضله عليه بالوجود لهذا الوجود، إذ سعد به كل موجود، وكان يعبر عن ذلك التعظيم بالصيام، كما جاء فى الحديث عن أبى قتادة: أن رسول الله ﷺ سئل عن صوم يوم الاثنين؟ فقال: (فيه ولدت، وفيه أنزل على) رواه الإمام مسلم فى الصحيح فى كتاب الصيام. وهذا فى معنى الاحتفال به، إلا أن الصورة مختلفة ولكن المعنى موجود سواء كان ذلك بصيام، أو إطعام طعام، أو اجتماع على ذكر، أو صلاة على النبى ﷺ، أو سماع شمائله الشريفة.

ثالثا: إن النبى ﷺ كان يلاحظ ارتباط الزمان بالحوادث الدينية العظمى التى مضت وانقضت، فإذا جاء الزمان الذى وقعت فيه كان فرصة لتذكرها وتعظيم يومها لأجلها ولأنه ظرف لها.

وقد أصَّل ﷺ هذه القاعدة بنفسه، كما صرح فى الحديث الذى أخرجه البخارى ومسلم أنه ﷺ لما وصل إلى المدينة ورأى اليهود يصومون يوم عاشوراء سأل عن ذلك فقيل له: إنهم يصومون لأن

الله نجىَّ نبيهم وأغرق عدوهم، فهم يصومونه شكراً لله على هذه النعمة، فقال ﷺ: (نحن أولى بموسى منكم). فصامه وأمر بصيامه.

رابعاً: يؤخذ من قوله ﷺ- الذى رواه مسلم وأبو داود والترمذى والنسائى وابن ماجة فى فضل يوم الجمعة وعد مزاياه- (وفيه خلق آدم). تشريف الزمان الذى ثبت أنه ميلاد لأى نبى كان من الأنبياء عليهم السلام، فكيف باليوم الذى ولد فيه أفضل النبيين وأشرف المرسلين؟.

ولا يختص هذا التعظيم بذلك اليوم بعينه بل يكون له خصوصاً ولنوعه عموماً مهما تكرر، كما هو الحال فى يوم الجمعة، شكراً للنعمة، وإظهاراً لمزية النبوة، وإحياء للحوادث التاريخية الخطيرة ذات الإصلاح المهم فى تاريخ الإنسانية، وجبهة الدهر وصحيفة الخلود.

كما يؤخذ تعظيم المكان الذى ولد فيه نبى من طلب جبريل عليه السلام من النبى ﷺ بصلاة ركعتين ببيت لحم، ثم قال له: (صليت ببيت لحم حيث ولد عيسى)

كما جاء فى حديث شداد بن أوس الذى رواه البزار وأبو يعلى والطبرانى، قال الحافظ الهيثمى فى مجمع الزوائد: ورجاله رجال الصحيح ج١ ص ٤٧، وقد نقل هذه الرواية الحافظ ابن حجر فى الفتح ج٧ ص ١٩٩ وسكت عنها.

خامساً: إن الموالد أمر استحسنه العلماء والمسلمون فى جميع البلاد، وجرى به العمل فى كل صقع، فهو مطلوب شرعا للقاعدة المأخوذة من حديث ابن مسعود الموقوف: (ما رآه المسلمون حسناً فهو عند الله حسن، وما رآه المسلمون قبيحاً فهو قبيح عند الله قبيح).

سادساً: إن المولد اشتمل على: اجتماع، وذكر، وصدقة، ومدح وتعظيم للجناب النبوى، فهو سنة، وهذه أمور مطلوبة شرعاً وممدوحة، وجاءت الآثار الصحيحة بها وبالحث عليها.

سابعاً: نجد أنه ﷺ قد تكرر منه أن أخذ الصحابة رضوان الله عليهم عدة مرات ذاهباً إلى البقيع ثم صلى على موتى البقيع صلاة الجنازة فى هذا الجمع،

وكذلك فعل مع شهداء أحد زارهم وصلى عليهم بعد دفنهم بسنة وبثلاث وبسبع، ونأخذ من هذا المظهر إحياء ذكرى، وتكريم جماعى سنوى بسُنَّة لا يمكن إنكارها.

وهكذا يتعرى الوهابيون من الأقنعة الإسلامية المزيفة التى يلبسون بها آراءهم الشاذة وأفكارهم الباطلة فى تحريم الموالد للأنبياء والصالحين.. والحمد لله رب العالمين.

الفصل الثامن

طلب المدد من الصالحين

نداء أولياء الله والاستغاثة بهم، وطلب المدد منهم فى الشدائد والمكاره، من المسائل التى وقع الاختلاف فيها بين الوهابيين والمسلمين، فالسنة الإسلامية قائمة بين المسلمين على الاستغاثة بالأنبياء وأولياء الله، وندائهم بأسمائهم عند الشدائد والمصاعب والأخطار المحتملة، سواء كانت الاستغاثة عند روضاتهم الشريفة أو فى مكان آخر، ولا يرى المسلمون بأساً فى هذه الاستغاثة، ولا شركاً ولا مخالفة للدين، فى حين يتعصب الوهابيون ضد هذه الظاهرة تعصباً شديداً، ويتذرعون ببعض الآيات القرآنية- التى لا علاقة لها بالمسألة أبداً- لتلبيس باطلهم بالحق.

لقد تسرع ابن تيمية- وأتباعه- فى الحكم، فأنكروا أن يكون الصحابة والتابعون قد طلبوا حاجة من النبى ﷺ وآله، فهم يقولون فى رسالة الهدية السنية ص ١٦٢ طبعة المنار فى مصر:

D:\كتب\الوهابية\٢٦doc.

(ولم يكن أحد من سلف الأمة- فى عصر الصحابة ولا التابعين ولا تابعى التابعين- يتخيرون الصلاة والدعاء عند قبور الأنبياء ويسألونهم، ولا يستغيثون بهم لا فى مغيبهم ولا عند قبورهم).

لكن ما لفت انتباهنا رأى ابن باز وتابعه ابن العثيمين، فى طالب المدد والعون، أو المتوسل والمستغيث بالصالحين بأنه مشرك، حيث قالا فى كتاب (إعصار التوحيد يحطم وثن الصوفية) ص ٥٣: (من كان يصلى ويصوم ويأتى بأركان الإسلام إلا أنه يستغيث بالأموات والغائبين وبالملائكة ونحو ذلك فهو مشرك، وإذا نصح ولم يقبل وأصر على ذلك حتى مات فهو مشرك شركاً أكبر يخرجه عن ملة الإسلام، فلا يُغسَّل، ولا يصلى عليه الجنازة، ولا يدفن فى مقابر المسلمين، ولا يدعى له بالمغفرة، ولا يرثه أولاده ولا أبواه ولا إخوته الموحدون، ولا نحوهم ممن هو مسلم لاختلافهم فى الدين).

وقالا- أى ابن باز وابن العثيمين- ص ٦١: (الاستعانة والاستغاثة بغير الله من الأموات والغائبين والأصنام ونحوها شرك بالله عز وجل، وهكذا

الاستغاثة والاستعانة بغير الله من الأحياء فيما لا يقدر عليه إلا الله شرك أكبر يخرج من ملة الإسلام).

سبحانك يا الله.. فابن باز هذا وتابعه أفتيا بجواز الاستغاثة والاستعانة بأمريكا وفرنسا وإنجلترا، لتحرير الكويت، وكان نداؤهم: مدد يا بوش، نظرة يا تاتشر، أغثنا يا ميتران!!.

ولما كان هذا الأمر يخص الملايين من المسلمين المحبين للصالحين، فقد استعنا بالله فى الرد عليهم وتفنيد هذا الافتراء.

وبداية نقول: لعل الإنسان الجاهل بتاريخ الصحابة والتابعين ينخدع بهذا الكلام ويتصور صدقه وصحته، ولكن سرعان ما يثبت له كذب هذا الادعاء وبطلانه إذا قام بنظرة خاطفة إلى التاريخ، وقرأ بعينه توسل الصحابة وغيرهم بالنبى، والاستغاثة به- ﷺ وآله-. وإليك بعض النماذج من ذلك كما ذكرها السمهودى فى وفاء الوفا فى الجزء الثانى والرابع:

النموذج الأول: أصاب الناس قحط فى عهد عمر ابن الخطاب، فجاء رجل إلى روضة النبى ﷺ وآله فقال: يا رسول الله استسق الله لأمتك فإنهم قد هلكوا.

فأتاه رسول الله ﷺ وآله فى المنام فقال: ائت عمر، فأقرءه السلام وأخبره إنهم مُسْقَون).

ثم يقول السمهودى بعد ذكر هذه القضية:

(ومحل الاستشهاد طلب الاستسقاء منه ﷺ وهو فى البرزخ، ودعاؤه لربه فى هذه الحالة غير ممتنع، وعلمه بسؤال من يسأله قد ورد، فلا مانع من سؤال الاستسقاء وغيره منه، كما كان فى الدنيا).

ويروى السمهودى **النموذج الثانى** أيضا عن الحافظ أبى عبد الله محمد بن موسى بن النعمان، بسند ينتهى إلى الإمام على أمير المؤمنين عليه السلام.

(أن أعرابيا جاء إلى المدينة بعد ثلاثة أيام من دفن النبى ﷺ وآله، فرمى بنفسه على روضة النبى وحثى من ترابه على رأسه وقال: يا رسول الله قلت فسمعنا قولك، ووعيت عن الله سبحانه ما وعينا عنك، وكان فيما أنزل عليك: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّاباً رَّحِيماً﴾ وقد ظلمت نفسى وجئتك تستغفر لى)، وهذه الرواية ذكرها أيضاً ابن عساكرفى تاريخه، والحافظ أبو الفرج ابن الجوزى فى كتابه (مثير

الغرام الساكن)، وابن كثير ٦٩١/١ فى تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّاباً رَّحِيماً﴾ (النساء: ٦٤).

وللدخول فى مناقشة طلب المدد من الصالحين نسأل عدة أسئلة كما يلى:

السؤال الأول: ما معنى المدد وأهميته؟

والجواب: بداية لقد بتنا نجد أنفسنا فى زمان، المسلمون فيه بأمسِّ الحاجة إلى المعونات الروحية والإمدادات النورانية، لاسيما وقد انهارت أفكار أصحاب النظريات المادية، وارتبط التقدم المادى باليأس من الحياة، حيث نرى أعلى نسبة دخل للفرد فى العالم بالسويد، وبها أيضاً أعلى نسبة انتحار، والناس ينتظرون بشغف ولهف البديل الذى يؤمِّن لهم حياة سعيدة، لأن الإنسان مكون من جسم مادى وروح معنوية، ولكل غذاؤه، والدين الإسلامى غنى بالأمور المادية والروحانية والنورانية، ومفاهيمه واقعية تعالج جميع الأحوال، فى أى زمان ومكان.

وكلمة (مدد) يختلف معناها باختلاف نية قائلها، ومقصوده القلبى، وسبب قولها، فقد ورد فى (لسان العرب) عن معنى كلمة مدد: مددنا القوم، أى: صرنا لهم أنصاراً ومدداً.

وفى (المعجم الوسيط) مَدَّ الجيش، أى: أعانه بمدد يقويه، ومد الشىء، أى: زاد فيه، ومد فلانا، أى: أعانه وأغاثه، واستمد القومُ الأميرَ، أى: طلب منه مدداً ومعونة.

فإذا قال المسلم: مدد يا الله، أى: أعنى وأمدنى من رحمتك، وانصرنى على أعدائك، وزودنى بالرحمات والبركات، وأمدنى بالمقدرة على طاعتك، ومحاربة نفسى والشيطان بمعونة مددك.

وإذا قال المسلم: مدد يا أولياء الله، فالأمر يتوقف على حالة الولى، هل هو حى أم منتقل.

فإذا كان الولى حياً فيكون المدد معناه: طلب دعائه، وإرشاده، وروحانيته، وتوجيهه وتربيته، وبركة صلاحه وتقواه، وسره مع الله، وعلمه الذى علمه الله، وما هو من هذا السبيل.

أما إذا كان الولى منتقلاً فيكون المدد من روحه

الحى بخصائصه فى برزخه السامع المدرك، الذى له ما يشاء عند ربه، ويكون المدد معناه: طلب التوسل به إلى الله، والاستشفاع به إليه تعالى فى قضاء الحوائج، ودفع الجوائح، والتماس بركة مقامه عند الله، والاستمداد من مدد الله وسره: ﴿وَلَلآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلاً﴾ (الإسراء: ٢١).

والسؤال الثانى: ما الفرق بين مدد الأحياء ومدد الأموات؟

الجواب: الوهابيون لا يجيزون التوسل والمدد من الأموات بزعم أنه خطاب لمعدوم لعدم قدرة الميت على الإجابة، ويجيزونه من الأحياء القادرين على الإجابة، ونقول لهم: إنه يجوز طلب المدد والاستغاثة بالصالحين أحياء ومنتقلين، لأن الموت ليس من العدم للأدلة التالية:

أولاً: من الكتاب:

نزل فى حق الصالحين، قوله تعالى: ﴿وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ

يُرْزَقُونَ﴾ (آل عمران: ١٦٩). وقوله تعالى بلسان مؤمن قومه: ﴿يا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ* بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ المُكْرَمِينَ﴾ (يس: ٢٦-٢٧).

ما نزل فى حق الكفار من قوله تعالى: ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُواً وَعَشِياً وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ العَذَابِ﴾ (غافر: ٤٦).

ثانياً: من السنة:

روى أحمد والسيوطى وابن كثير والقرطبى، أن النبى ﷺ أتى قليب بدر وخاطب المشركين بقوله تعالى: ﴿أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقّاً فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقّاً﴾ (الأعراف: ٤٤)، فقال له الصحابة: إنك تدعو أمواتا، فقال: (ما أنتم بأسمع منهم ولكن لا يجيبون).

وروى البخارى فى صحيحه فى باب كيفية فرض الصلاة وملاقاة النبى ﷺ ليلة الإسراء والمعراج بالأنبياء، وتكلمه معهم سلام الله عليهم.

وفى سنن النسائى وابن ماجة وأبو داود وأحمد قال ﷺ: (أكثروا علىَّ من الصلاة فإن صلاتكم معروضة

علىَّ، قالوا: يا رسول الله وكيف تعرض صلاتنا وقد أرمت؟، قال: إن الله تعالى قد حرم علـــى الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء، فنبى الله حى يرزق).

فإذا كان الأنبياء والشهداء والأولياء أحياء يرزقون ويشهدون الصلاة والسلام ممن يصلى ويسلم علـــيهم من قريب أو بعيد، فكيف لا يشهدون نداء من يناديهم، واستغاثة من يستغيث بهم؟!.

ولا فرق فى التوسل وطلب المدد مـــن الأنبيـــاء وغيرهم من الأولياء بين كونهم أحياء أو أمواتا، لأنهم فى كلتا الحالتين أسباب عادية لا يخلقون شيئاً وليس لهم تأثير فى شئ، وإنما الخلق والإيجاد والتـــأثير لله وحده لا شريك له فى كل ذلك.

أما الوهابية الذين يتظاهرون بالدفاع عن التوحيد، ويجوزون التوسل بالأحياء دون الأموات، فقد دخـــل الشرك فى توحيدهم من حيـــث لا يـــدرون لكـــونهم اعتقدوا تأثير الأحياء، مع أنه لا تأثير فى الحقيقة إلا لله.

ويجب أن يحمل قول المسلم: (يا حسين أدركنى)، و(يا بدوى المدد)، و(يا رفاعى نظرة) على المجـــاز

العقلى، كما يحمل عليه قول القائـــل: (هـــذا الطعـــام أشبعنى)، (وهذا الماء أروانى)، (وهذا الدواء شفانى) فالمشبع والمروى والشافى الحقيقى هـــو الله وحـــده، وإنما تلك أسباب عادية ينسب إليها الفعل لما يرى من حصوله بعدها فى الظاهر، وهو المسمى عند علمـــاء البيان بالمجاز العقلى، وهو إسناد الفعل إلى غير مـــا هو له، من سبب أو غيره، والقرينة عليه هنا ظـــاهر حال المسلم، فإن كون المنادى مسلماً، ويعتقد ويقـــر بأن من عدا الله تعالى لا يملك لنفسه ولا لغيره نفعـــاً ولا ضراً إلا بأقدار الله تعالى، يكفى قرينه على ذلك.

يقول الإمام المجدد السيد محمد ماضى أبو العزائم رضي الله عنه:

لقد وضع الأسباب ربك حكمـــة
ليشهد فيها يظهـــــــر التبيـــان
فمن شهد الأسباب تفعل فهو فى
ضلال مبيـــــن قاله القـــــرآن
ومن شهد الأسباب تنبـــى بأنها
أواسط فيها الفضل والإحســـان

وهذا شهود العارفيـــن بربهم
لقد خصَّهم فضلاً به الرحمـــن

وقد يحمل طلب المدد بمعنى طلب الـدعاء مـن الروح فى عالم الطهر والنور، وقد قرر شيخ السلفية (ابن القيم) فى كتابه (الـروح): (أن لـلأرواح قـوة وطاقة وقدرة لا يتصورها البشر، حتـى أن روحـا واحدة عظيمة تؤثر فى جيش كامل)، ونحن نثبت ذلك القول، تنزهاً عن تكفير المسلمين!!.

والمتوسل، والمستشفع، وطالـب المـدد، كلهـم معترف بذنوبه، مقر بعيوبـه، متجـرد مـن حولـه وقدرته، فهو لا يرى نفسه أهلاً للمثول فى الحـضرة العلية بما عليه من الأوزار والأوضار، وبخوفه مـن أن تكون طاعاته مدخولة مردودة، فهـو يرجـو أن يتقبله الله ويغفر له بتجرده من ظلمة علمه وعمله، ثم ببركة من يعتقد فيه من أهل الله، فهو كما يتوجه إلى الله بخوفه من نفسه، يتوجه إلى الله تعالى برجائه فى حبه بغيره، وبهذا يجمع أطـراف الخيـر جميعـاً، والخوف والرجـاء لا يخطئـه أحـدهما بـإذن الله،

والأعمال أولاً وأخيراً بالنيات، ولكل امرئ ما نوى.

ولا يشترط أبداً فيمن تتخذه وسـيلة إلـى الله، أن يكون أفضل منك، أو من غيرك من المسلمين، فقـد صح أن النبى ﷺ لما استأذنه سيدنا عمر فى العمرة، قال ﷺ له: (لا تنسنا يا أخى من دعائك). وكـذلك صح أن النبى ﷺ أذن لسيدنا عمر وغيره أن يطلـب الدعاء من أويس القرنى رضـى الله عنهمـا. وفـى الحديث الصحيح: (رب أشعث أغبر ذى طمرين لـو أقسم على الله لأبره). وقد طلـب ﷺ مـن أمتـه أن تدعوا له بالوسيلة والفضيلة والدرجة العالية الرفيعـة والمقام المحمود. وفى هذه المسائل كلها طلب الأعلى ممن هو دونه على علاته، طاعـة لقولـه تعـالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى البِرِّ وَالتَّقْوَى﴾ (المائدة: ٢).

وبهذا يندفع اعتراض الوهابية حين يقولون: لعـل الذى نتوسل به إلى الله يكون كذا وكذا، أو كذا وكذا، وهبنى أحسنت الظن برجل مستور الحال، أو غيـر ذى بال، فالله يجزنى على حسن ظنى، ويجزيه على سوء فعله.

والمدد بالمعنى الذى ذكرناه موجود حساً ومعنـى

فى حياتنا، فلا يستطيع أحد أن ينكر أن الإنسان يستعين بالطائرة والباخرة والسيارة والقطار لقضاء الحوائج الدنيوية، والانتقال بواسطتها من بلد إلى آخر، هذا وإن الطيارين والبحارة يستدلون على وجهة سفرهم بواسطة قطعة معدنية يقال لها: (البوصلة) ترشدهم إلى الجهة المطلوبة، ولا ينكر ذلك الوهابية، فهل الاستعانة بالمعدن تخرج عن الملة؟ أم أن الاستعانة بالمعدن أفضل من الاستعانة بالصالحين؟!!.

السؤال الثالث: ما الفرق بين مدد الخالق ومدد المخلوق؟

والجواب: الفرق بين إمداد الله تعالى للناس، وإمداد الأنبياء والأولياء لهم واضح ظاهر، فالله سبحانه يمد من يشاء من عباده، من خزائن فضله ورحمته بالمعونة والإغاثة والنصرة على الأعداء متى شاء، وكيفما شاء، ولا يتوقف عطاؤه تعالى على إذن أحد أو رضاه.

وأما حضرات الأنبياء والأولياء، فلا يكون إمدادهم للطالبين إلا بإذن الله ومشيئته ورضاه، وهو بالحقيقة

مستمد من أمداد الله تعالى، فما عند الولى من الإمداد المعنوى إنما هو مما أعطاه الله من أسرار ليقوم بواسطتها بخدمة ومساعدة المسلمين فى جميع ما يرضى الله تعالى ويخدم دينه.. ولمزيد البيان نقول:

أولاً: مدد الملائكة الكرام

فى القرآن الكريم آيات ترجع بعض الأعمال لله سبحانه، وتأتى آيات أخرى لترجع نفس هذه الأعمال للملائكة الكرام، تسخيراً منه سبحانه، ومثال ذلك:

(١) **توفى الأنفس:** قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ﴾ (النحل: ٧٠). ويقول: ﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ المَوْتِ﴾ (السجدة: ١١). فالتوفى فى الأولى راجع إلى الله، وفى الثانية راجع لملك الموت بأمر الله وإذنه سبحانه، والتوفى لا يعنى الإماتة بل يعنى الأخذ والقبض.

(٢) **الحفظ:** قال تعالى: ﴿فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظاً وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ (يوسف: ٦٤). ويقول: ﴿لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ (الرعد: ١١). وعلى هذا فإن الله تعالى قد أمد

الملائكة بأسرار يحفظون بها عباد الله بتسخير منه عز وجل، فهو فعال لما يريد، والمعترض على ذلك فهو ساقط الاعتبار.

(٣) كتابة الأعمال: قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي المَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ﴾ (يس: ١٢). وقال تعالى: ﴿مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْه رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ (ق: ١٨)، وقال تعالى: ﴿كِرَاماً كَاتِبِينَ﴾ (الانفطار: ١١)، فالملائكة عندها المقدرة لمعرفة وكتابة أفعال العباد بتسخير وعلم منه سبحانه، وغير ذلك من الأمثلة كثير.

ثانياً: مدد الأنبياء عليهم السلام

من المعلوم أن حضرات الأنبياء أرفع درجة عند الله من حضرات الملائكة، وهذا يستلزم أن يكون للأنبياء المقدرة على حمل أسرار أعظم من الأسرار التى تحملها الملائكة، وفيما يلى نعرض بعض الأمثلة:

(١) تصريف الرياح: قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْراً بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ﴾ (الأعراف:

٥٧) وقال سبحانه: ﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ﴾ (الأنبياء: ٨١). ومن كانت الرياح تجرى بأمره تسخيراً من الله لو سلطها على الجبال لقلبت الصخور، ولو أرسلها على مدينة لدمرتها بإذن الله تعالى.. ويجوز للمظلومين أن يطلبوا المدد والعون منه لوجود هذه القوة الخارقة معه، بل إن الله تعالى أنزل عليه العطاء وفوضه فى قسمته فقال تعالى: ﴿هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (ص: ٣٩).

(٢) الخلق: قال تعالى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيراً﴾ (الفرقان: ٢)، وقال فى حق سيدنا عيسى عليه السلام: ﴿وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْراً بِإِذْنِي﴾(المائدة: ١١٠).

(٣) شفاء المرضى: قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ (الشعراء: ٨٠)، وقال سبحانه فى حق عيسى عليه السلام: ﴿وَتُبْرِئُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ بِإِذْنِي﴾(المائدة:١١٠).

(٤) إحياء الموتى: قال تعالى: ﴿فَاللَّهُ هُوَ الوَلِيُّ وَهُوَ يُحْيِي المَوْتَى﴾ (الشورى: ٩)، وقال فى حق

سيدنا عيسى: ﴿وَإِذْ تُخْرِجُ المَوْتَى بِإِذْنِي﴾ (المائدة: ١١٠) وعلى هذا، فأى شئ يريد الله أن يجريه على أيدى عباده، فيكون بإذنه، من إحياء وإماته وإمداد لأنها فى الحقيقة منه.

وقد قال الله فى حق سيدنا نوح عليه السلام: ﴿قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلامٍ مِّنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ﴾ (هود: ٤٨). ذكر صاحب صفوة التفاسير، أى: وخيرات عظيمة عليك وعلى ذرية من معك من أهل السفينة.

ونقول: إن هذه الخيرات والبركات التى أعطاها الله تعالى لسيدنا نوح عليه السلام، لابد أن يستفيد بها من حوله من المؤمنين، فهذه الاستفادة، ولو جرت على يديه فإنها فى الحقيقة من الله تعالى، وكذلك من يفيض الله عليه من البركات، فصحبته تعكس تلك البركات والخيرات على جليسه، كما قال ﷺ: (مثل الجليس الصالح، والجليس السوء، كمثل صاحب المسك وكير الحداد، لا يعدمك من صاحبك المسك، إما أن تشتريه أو تجد ريحه، وكير الحداد يحرق بيتك أو ثوبك، أو تجد منه ريحاً خبيثاً) (رواه البخارى، فى الفتح

الكبير، ج٣/ ص١٢٨).

ثالثاً: مدد حضرة المصطفى ﷺ وآله.

من المعلوم أن سيدنا محمداً ﷺ هو أرقى من جميع الأنبياء والمرسلين والملائكة، وبهذا يكون المدد المعطى له من الله أرقى وأعظم من جميع الأمداد من سائر الخلق، وقد أثنى الله عليه بقوله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ (الأنبياء: ١٠٧) وقال ﷺ فى حديث رواه البخارى: ﴿إنما أنا قاسم والله معطى﴾.

وقال سبحانه فى حقه ﷺ: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ (التوبة: ١٢٨).

فما دام حضرة النبى ﷺ حاملاً الرحمة الإلهية للعالمين، فهذا يعنى أنه يمد الخلق بإذن الله بأمداد الرحمة والرأفة التى أعطاها إياه مولاه سبحانه.

ومما قال سبحانه أيضا فى حقه ﷺ: ﴿وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا﴾ (التوبة: ٤٠). وأيده أيضا بإمدادات لن يذوقها أو يراها منكر العطاء الإلهى لخواص خلقه، قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِّنْهُمْ

يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ (الجمعة: ٢). فمن شاء الله أن يزكيه يقتبس من أخلاقه ﷺ العظيمة الخيرة ليصبح ممن أفلح، لقوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا﴾ (الشمس: ٩).

وقال تعالى: ﴿قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ﴾ (المائدة: ١٥). والنور هو المدد من الله تعالى، فحضرة النبى ﷺ يحمل مدداً نورانياً، وقد جعله الله مداراً للإمداد يمد من آمن من العباد، وواسطة لتلقى الرحمات والبركات.

وطلب المدد من رسول الله ﷺ ما هو إلا اقتداء بما أمر الله به الصحابة الكرام من طلب استغفار الرسول ﷺ لهم فى قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّاباً رَّحِيماً﴾ (النساء: ٦٤). فالسائل يسأل ربه أولاً، ثم يطلب المدد ممن هو أرفع منه، اعترافاً بتقصيره، وبأنه ليس أهلاً لإجابة دعائه، وبهذا يكون ملتزما بالكتاب والسنة حالاً ومقالاً، فقول القائل: مدد يا رسول الله، أى: استغفر لى، وعلمنى

مما علمك الله بإذن الله، واشملنى بالرحمة والرأفة والنور حتى تزكو نفسى فأكن من المفلحين.

رابعاً: مدد الورثة والأولياء

معلوم أن العلاجات على نوعين: منها ما هو ظاهر، ومنها ما هو باطن، والعلاجات الباطنية، أى: القلبية، هى من اختصاص ورثة حضرات الأنبياء عليهم السلام، وهم من كَمُلَ إيمانهم، وقد حض الله المؤمنين على مصاحبة هؤلاء الرجال، والاستفادة مما أعطاهم الله من فضله وإمداده، والاقتداء بهم للوصول إلى ما وصلوا إليه، أوللتشبه بهم، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ (التوبة: ١١٩).

فالصحبة تعكس هذه الفوائد النورانية كالمرآة من قلوب حاملى الأمداد النورانية إلى قلوب الطالبين المستمدين بإذن الله وعونه سبحانه، وهو مثل مساعدة الناس بعضهم بعضاً فى شتى الأمور الحياتية والمعاشية، وليس فى ذلك ما يخالف الإسلام.

وقد ظهر لنا من خلال آيات الله تعالى أنه بحكمته

سبحانه قد سخر الخلائق بعضها لبعض، وليفيد بعضها بعضا بإذن الله، فكل نوع يفيد نوعه، فالشمس تعكس ضوءها على القمر فى الليل، والقمر يعكس نوره على الأرض، ويقال لهذه الظاهرة: مدد انعكاسى.

فطلب المريد المدد من شيخه ما هو إلا انعكاس قلب الولى الكامل- الذى هو أفضل عند الله من الشمس والقمر- على قلب المريد، فما وجه المخالفة الشرعية والعقلية فى ذلك؟.

وإذا ثبت الاستمداد بين الجمادات فيما بينها، فكيف ينتفى بين المخلوقات البشرية، وإذا كان القرآن أثبت المدد للكافرين فقال: ﴿وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الغَيِّ﴾ (الأعراف: ٢٠٢). فكيف لا يكون المدد مثبتاً للصالحين؟!.

ولننظر فى المقدمة التى أوردها ابن عابدين فى رسالته: (الفوائد المخصصة بأحكام كىّ الحمصة) حيث ذكر رسالتين للشيخ حسن الشرنبلى الوفائى، والثانية للشيخ عبد الغنى النابلسى، ثم قال: (فأردت أن أذكر حاصل ما فى هاتين الرسالتين.. مستعيناً بالله

تعالى، مستمداً من مدد هذين الإمامين الجليلين).. فهذا الإمام الجليل ابن عابدين، الذى لا يخفى على أحد من طالبى العلم الشريف مكانته العلمية، يستمد من أمداد الصالحين، وهو يعلم يقينا أن الذى أمد هؤلاء الأكارم إنما هو الله سبحانه، وهو يطلب مدد ربه بواسطة صلاح وتقوى الكرام.

وقال المحدث الورع الفقيه الإمام ابن أبى جمرة الأندلسى فى كتابه (بهجة النفوس ج٣ ص٦٢، ٦٣) فى معرض شرحه لحديث الإفك: (ولهذا المعنى جعل عليه السلام لقيا المؤمن لأخيه المؤمن ببشاشة الوجه صدقة، لأن المؤمن يستمد من أخيه بحسب ما يظهر على ظاهره، كما أن أهل البواطن يستمد بعضهم من بعض بحسب ما يكون فى بواطنهم). والأمثلة على ذلك تطول.

ولا تفتنا الخارقة التى حصلت لأمير المؤمنين سيدنا عمر رضي الله عنه، الذى كشف الله عن بصره فرأى الجيش الإسلامى، وهو على منبر رسول الله ﷺ فى المدينة المنورة، يخطب الجمعة، فنادى سارية قائد الجيش، وقد كاد يقع هو وجنوده فى كمين نصبه

الأعداء لهم، فصاح محذراً: يا سارية الجبل، يا سارية الجبل، فسمع سارية النداء، والتجأ إلى الجبل، ونجا هو ومن معه.

والقصة مشهورة يرويها الخلف عن السلف، وهذا ما يعرف بالكشف ورفع حجاب المسافات الوارد فى قول النبى ﷺ: (اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله عز وجل) (رواه البخارى).

وكما وصل الصوت بقدرة الله تعالى من رجل إلى رجل على هذا البعد الشاسع، إذ جعل الله فى صوته مدداً مده من البعد مداً، فالله سبحانه قادر أن يوصل طلب الأمداد من رجل إلى آخر مهما بعدت بينهما المسافات.

السؤال الرابع: ما هى أدلة جواز طلب المدد؟

أولاً.. روى البخارى فى صحيحه من حديث ابن عباس رضى الله عنهما، أن النبى ﷺ ذكر فى قصة هاجر أم إسماعيل عليهما السلام أنها لما أدركها وولدها العطش جعلت تسعى فى طلب الماء، فسمعت

صوتاً ولا ترى شخصاً فقالت: (أغث إن كان عنك غوث).

فلو كانت الاستغاثة بغير الله شركا لما طلبت الغوث، ولما ذكر النبى ﷺ ذلك لأصحابه ولم ينكره، ولما نقلته الصحابة بعده وذكره المحدثون.

ثانياً.. روى البزار وأبو نعيم وابن حجر والحافظ العراقى والهيثمى والسيوطى والزرقانى وابن حبان وابن أبى حاتم وصححه الألبانى الوهابى، قال ﷺ: (حياتى خير لكم تحدثون ويحدث لكم، ووفاتى خير لكم، تعرض علىَّ أعمالكم فإن وجدت خيراً حمدت الله، وإن وجدت غير ذلك استغفرت لكم)، وهذا دليل واضح على جواز طلب المدد من رسول الله على الدوام، حتى لا يقول وهابى: إنه ﷺ مات، ومدده فى حياته فقط.

ثالثاً.. روى الطبرانى فى الكبير والمتقى الهندى فى كنز العمال عن عتبة بن غزوان أنه قال: قال رسول الله ﷺ: (إذا أضل أحدكم شيئاً أو أراد غوثاً وهو بأرض ليس بها أنيس، فليقل: يا عباد الله أغيثونى، يا عباد الله أغيثونى، فإن لله تعالى عباداً لا

يراهم).

يقول جهلة الوهابيين: إن المقصود بعباد الله هم الملائكة أو مسلمو الجن أو رجال الغيب، وهؤلاء على حد زعمهم أحياء، ومن ثم فلا يستدل بهذا الحديث على الاستغاثة بالأموات، ونرد عليهم بما يلى:

أ- لا صراحة فى الحديث أن المقصود بعباد الله من ذكرهم الوهابيون لا غير، بل إن النص عام غير مقيد بفئة من عباد الله دون فئة.

ب- الحديث يفيد نداء الغائب غير المرئى الذى لم يجوزه جهلة الوهابيين كنداء الميت تماماً بتمام، قال تعالى: ﴿فَلاَ أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ* وَمَا لاَ تُبْصِرُونَ﴾ (الحاقة: ٣٨-٣٩)، فى إشارة إلى العوالم المرئية وغير المرئية.

جـ- الإغاثة هنا ليست كإغاثة الله لخلقه، وإنما هى تعليم وتعريف وإرشاد ومساعدة بإذن الله.

رابعاً.. روى أبو داود والترمذى والنسائى وابن ماجة والحاكم والبزار والنووى والطبرانى، عن عبد الله بن مسعود ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: (إذا انفلتت

دابة أحدكم فى أرض فلاة (أى: صحراء واسعة) فليناد: يا عباد الله أحبسوا علىَّ دابتى، فإن لله فى الأرض حاضراً، (أى: عبادا لا يراهم الناس عادة وظفهم الله لخدمة المؤمنين) سيحبسه عليكم) وهذا الحديث ذكره ابن تيمية إمام الوهابية فى كتاب (الكلم الطيب).

ومن هذه الأحاديث يتبين أن الله سبحانه قد خص عباداً بأسرار وإمدادات ليخدموا بها المؤمنين، مهما كان بين الداعى والمجيب من مسافات شاسعة، وذلك كله بأمر الله، وفى هذه الأحاديث أيضاً حجة ورد على من يقول: لا يجوز طلب المدد من عباد الله.

وهل يعقل أن إماماً جليلاً كأحمد بن حنبل ﷺ- الذى يزعم الوهابية أنهم ينتمون إليه- قد جهل ما يجوز وما لا يجوز للمؤمن فعله؟!!، فقد روى ابن مفلح الحنبلى فى كتابه (الآداب الشرعية) قول الإمام أحمد: (حججت خمس حجج فضللت (أى: أضعت الطريق) وكنت ماشياً، فجعلت أقول: يا عباد الله دلونا على الطريق، فلم أزل أقول ذلك حتى وقفت على الطريق).

السؤال الخامس: ما هى شبهات طلب المدد؟

الشبهة الأولى: يستدل الوهابيون فى إبطال المدد بقوله تعالى: ﴿وَأَنَّ المَسَاجِدَ للَّه فَلاَ تَدْعُوا مَعَ اللَّه أَحَداً﴾ (الجن: ١٨) ولكن أيها القارئ الكريم لابد أن تطلع على الآيات القرآنية التى يستدل بها الوهابيون على رأيهم الشاذ، ثم نتناول تلك الآيات بالبحث والتشريح- إن شاء الله تعالى- كى تعرف تفسيرها الصحيح، وبذلك نرد عليهم من نفس القرآن الكريم الذى زعموا أنهم يستدلون به، قبل كل شئ، نذكر بعض تلك الآيات:

﴿لَهُ دَعْوَةُ الحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ لاَ يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيْءٍ﴾ (الرعد: ١٤).

﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ﴾ (فاطر: ١٣).

﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ﴾ (الأعراف: ١٩٤).

﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِ فَلاَ يَمْلِكُونَ

كَشْفَ الضُّرِّ عَنكُمْ وَلاَ تَحْوِيلاً﴾ (سبأ: ٢٢).

﴿أُوْلَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الوَسِيلَةَ﴾ (الإسراء: ٥٧).

﴿وَلاَ تَدْعُ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لاَ يَنفَعُكَ وَلاَ يَضُرُّكَ﴾ (يونس: ١٠٦).

﴿إِن تَدْعُوَهُمْ لاَ يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ﴾ (فاطر: ١٤).

﴿وَمَنْ أَضَلُّ ممَّن يَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ مَن لاَّ يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ﴾ (الأحقاف: ٥).

بهذه الآيات يستدل الوهابيون على حرمة الاستغاثة بأولياء الله ودعائهم وندائهم بعد وفاتهم، وأن ذلك عبادة لهم وشرك بالله، فإذا قال رجل- عند روضة رسول الله ﷺ وآله -أو فى مكان آخر-: (يا محمد) فقد عبده بهذا النداء والدعاء.

الجواب: مما لاشك فيه أن لفظ الدعاء فى -اللغة العربية- معناه: النداء، وقد يستعمل فى معنى العبادة، إلا أنه لا يمكن- بأى وجه- أن نعتبر الدعاء والعبادة لفظين مترادفين فى المعنى، فلا يمكن أن نقول: كل دعاء عبادة، وذلك للأمور التالية:

الأول: لقد استعمل القرآن المجيد لفظ الدعاء فى

مواضع عديدة، ولا يمكن القول بأن مقصوده منه: العبادة، فمثلاً.. يقول تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلاً وَنَهَاراً﴾ (نوح: ٥). فهل يصح أن يقال: إن النبى نوحا عليه السلام قصد من كلامه هذا أنه عبد قومه ليلاً ونهاراً ؟!.

واقرأ قوله تعالى- عن لسان إبليس فى خطابه للمذنبين يوم القيامة-: ﴿وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلاَّ أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي﴾ (إبراهيم: ٢٢). هل هناك من يحتمل أن معنى دعاء الشيطان للمذنبين هو عبادته لهم؟!. مع العلم أن العبادة- إذا تحققت- تكون من المذنبين للشيطان لا من الشيطان لهم.

فى هاتين الآيتين- وآيات أخرى مماثلة لسنا فى حاجة إلى ذكرها- جاء لفظ الدعوة فى غير معنى العبادة، ولهذا لا يمكن القول بأن الدعاء والعبادة لفظان مترادفان، وأن من دعا أحد الأنبياء أو الأولياء فقد عبده وأشرك بالله، كلا، لأن الدعوة - والدعاء- أعم من العبادة وغيرها.

وعلى اصطلاح أهل المنطق، بين الدعاء والعبادة عموم وخصوص من وجه، فالاستغاثة بأولياء الله-

مع الاعتقاد بقدرتهم المستمدة من قدرة الله- دعاء لا عبادة، وبعض الفرائض الدينية كالركوع والسجود- المقرونين بألوهية من تركع وتسجد له- عبادة لا دعاء، والصلاة- مثلاً- دعاء وعبادة.

الأمر الثانى: إن معنى الدعاء- فى الآيات التى استدل بها الوهابيون- ليس مطلق النداء، بل معناه النداء على وجه يكون مرادفاً للعبادة، لأن جميع هذه الآيات إنما نزلت فى شأن عبدة الأصنام الذين كانوا يعتقدون بأنها آلهة صغيرة قد فُوّض إليها بعض شؤون الكون، ولها الاستقلال فى التصرف، فمن الواضح أن كل دعاء ونداء لهذه الأصنام- سواء كانت آلهة كبيرة أو صغيرة، مع الاعتقاد بأنها مالكة الشفاعة والمغفرة- يعتبر شركاً وعبادة لها.

وأوضح دليل على أن عبدة الأصنام كانوا يدعون أصنامهم باعتقاد ألوهيتها هو قوله تعالى: ﴿فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مِن شَيْءٍ﴾ (هود: ١٠١).

إذن: لا علاقة بين الآيات المذكورة وهذه المسألة إطلاقاً، لأن البحث حول استغاثة إنسان بإنسان آخر

من دون الاعتقاد بربوبيته وألوهيته، ولا بمالكيته للرزق والمغفرة والنفع والضر، ولا باستقلاله في التصرف في أمور الكون والدنيا والآخرة، باعتبار أنه عبد صالح ووجيه عند الله، قد اصطفاه الله للنبوة أو للإمامة، ووعد باستجابة دعائه في حق من يدعو له، كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّاباً رَّحِيماً﴾ (النساء: ٦٤).

الأمر الثالث: إن في الآيات- التي استدل بها الوهابيون- دليلاً على أن المقصود من الدعاء هو العبادة لا مطلقاً.

تأمل قوله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ (غافر: ٦٠).

لقد ذكر سبحانه لفظ (ادعوني) ثم اتبعها بلفظ (عبادتي) مما يدل- دلالة واضحة- على أن المقصود من ادعوني-هنا-: عبادة الله وترك عبادة غيره، ولهذا كان المشركون يستكبرون عن دعائه وعبادته سبحانه.

وقد جاءت في القرآن الكريم آيتان بمعنى واحد، استعمل في إحداها لفظ (العبادة) وفي الثانية لفظ (الدعوة).

فالأولى قوله سبحانه: ﴿قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لاَ يَمْلِكُ لَكُمْ ضَراًّ وَلاَ نَفْعاً﴾ (المائدة: ٧٦).

والثانية هي قوله سبحانه: ﴿قُلْ أَنَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ مَا لاَ يَنفَعُنَا وَلاَ يَضُرُّنَا﴾ (الأنعام: ٧١).

ويقول سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ﴾ (الأعراف: ١٩٧).

في هذه الآية جاء بلفظ تدعون وفيها دلالة واضحة على أن هذه الدعوة هي دعوة الأصنام، وكان المشركون يعتقدون بأنها آلهة من دونه تضر وتنفع، ولهذا رد الله عليهم بقوله: ﴿مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ﴾.

وجاء هذا المعنى في آية مماثلة بلفظ (تعبدون) وهي قوله سبحانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لاَ يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقاً﴾ (العنكبوت: ١٧).

وفي آية أخرى جاءت الكلمتان متقارنتان بمعنى واحد، وهي قوله عز وجل: ﴿قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ (غافر: ٦٦).

أيها القارئ الكريم: أرجو منك أن تقوم بمراجعة المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم مادة: (عبد) و(دعا) كى ترى بعينك كيف جاء لفظ العبادة- فى آية- و(الدعوة والدعاء) -فى آية أخرى- بمعنى واحد ومضمون واحد، مما يدل- أوضح دلالة- على أن المقصود من الدعوة والدعاء- فى هذه الآيات- هى العبادة، لا مطلق النداء والدعاء.

فإذا تأملت الآيات التى تضمنت لفظ (الدعاء والدعوة) بمعنى العبادة، لرأيت أن تلك الآيات تتحدث عن الصراع بين الإيمان والكفر، بين عبادة الله وتوحيده والإيمان بألوهيته وربوبيته وبين عبادة الطاغوت والأنداد والأصنام، والاعتقاد بمالكيتها للرزق والمغفرة والشفاعة والنفع والضر.

فاستدلال الوهابيين بهذه الآيات- على حرمة نداء الأنبياء والأولياء والاستغاثة بهم- يدعو إلى الاستغراب والتعجب، نظراً لعدم علاقتها بهذه المسألة إطلاقا.

الشبهة الثانية: يحتج الوهابيون على طلب المدد، ويسندون اعتراضهم وإنكارهم بالحديث الذى روى

فى سنن الترمذى، قال ﷺ: (إحفظ الله يحفظك، إحفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشىء لم ينفعوك إلا بشىء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشىء، لم يضروك إلا بشىء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف).

وللرد على هذه الشبهة نقول:

أولاً.. المقصود بالحديث النهى عن الغفلة برؤية الأسباب تفعل.

ثانياً.. معنى الحديث: إذا سألت مسئولاً سؤالاً فاسأل الله أن يوفقه للإجابة، وإذا استعنت بمستعان فاسأل الله أن يعينه، لقوله تعالى: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ﴾ (النحل: ٤٣). ولقوله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى البِرِّ وَالتَّقْوَى﴾ (المائدة: ٢)، أى: أن بالحديث كلام محذوف، يفهمه العرب أهل البلاغة واللغة.

ثالثاً.. الحديث أثبت للأمة النفع والضر ولكن بإذن

الله، وهو ما لا يتعارض مع المدد الذى ذكرناه.

رابعاً.. هذا الحديث لا يدل على عدم جواز التعامل مع الأنبياء والأولياء بطلب العلم العرفانى بواسطة ما أمدهم الله تعالى، إنما يدل على الأفضل والأكمل بالنسبة إلى الأصفياء الذين وصلوا إلى درجة كمال الإيمان، وهو أن يسأل أمثالهم الله لا غير فى كل الأمور التى قد تعترض حياتهم، فالحديث للخاصة وليس للعامة، والدليل على ذلك ما جاء فى مسند الإمام أحمد ج٤/ ص٣٣٤ قال ابن الفراسى، أن والده الفراسى- وهو صحابى- كان محتاجاً للمال، فجاء يسأل النبى ﷺ هل يسأل الناس مالاً، وهو ﷺ يعلم علم اليقين أن الرزاق هو الله تعالى، وإنما عمل بما لا ينافى الإيمان من تعاطى الأسباب الدنيوية، فقال لرسول الله ﷺ: أسأل؟ قال النبى ﷺ: (لا، وإن كنت سائلاً لابد فاسأل الصالحين).

وجواب النبى ﷺ: (لا) يدل على الأصل الوارد فى الحديث الأول، وهو: (إذا سألت فاسأل الله)، ثم أشار ﷺ إلى من لم يصل بعد إلى مقام التسليم والتوكل، وأرشده إلى الصواب بقوله ﷺ: (وإن كنت

سائلاً لابد، فاسأل الصالحين).

يقول الإمام المجدد أبو العزائم رضي الله عنه:

وإن كان أهل الجهل لم يتوسلوا
بميت ولكن مالهم برهان
توسل بمحبوب إلى الله موقنا
بنيل العطايا يمنح الحنان
ولا تلتفت للمنكرين إذا ادعوا
عليك بشرك فالهوى خسران
يلبيك رب العرش عند سؤاله
بصفوته والمنعم الديان
إذا كان جبريل الأمين بحجة
دعا المصطفى فى قوله برهان
ألا انزل على قبر الكليم وصل يا
ضيا الأنبيا والأمر فيه بيان
وفى بيت لحم فانزلن صل داعيا
وهل بعد هذا حجة برهان

وختاما:

ذكر فضيلة السيد محمد زكى إبراهيم فى كتاب (قضايا الوسيلة والقبور) قصة تقول: وقد شاعت فى الناس قصة هذا المتمسلف الوقح، الذى أتى إلى الناقة وقد بركت على ركبتيها، فقال لها: (بحق النبى تقومى، حلفتك بالنبى، توسلت إليك به.. إلخ) فلم تنهض، فأخذ عصاه وضربها بقوة فنهضت.. فنظر إلى من معه، وقال: هكذا تكون العصا فى يدى، أنفع من محمد فى قبره، فكيف تتوسلون به؟!.

ونقول لكبير كهنة المعبد الوهابى الذى فعل ذلك: أقسم عليها بالله ألف مرة متوسلا، فلن تقوم، واضربها بالعصا ستقوم، وعندها قل: إن عصاك أنفع من الله.. نستغفره ونتوب إليه من فعل هذا الجاهل، الذى لو رآه أبو جهل الأول لاستحى منه.. لأن قانون اتخاذ الأسباب لا يمكن إنكاره عند أصحاب العقول، أما أهل التسليم والتفويض فيعلمون يقيناً أن قيام الناقة بحق النبى ﷺ جائز.. ولا حرج فيه.

الفصل التاسع

التبرك والاستشفاء بالصالحين

يتعين علينا أن نعلم أن التبرك ليس إلا توسل إلى الله سبحانه وتعالى بذلك المتبرك به، سواء كان شخصاً أو أثراً أو مكاناً.

– أما الأشخاص فلاعتقاد فضلهم وقربهم من الله سبحانه وتعالى، مع اعتقاد عجزهم عن جلب خير أو دفع شر إلا بإذنه سبحانه وتعالى.

– وأما الآثار فلأنها منسوبة إلى هؤلاء الأشخاص فهى مشرفة بشرفهم، ومكرمة ومعظمة محبوبة لأجلهم.

وأما الأمكنة فلا فضل لها لذاتها من حيث هى أمكنة، وإنما لما يحل فيها ويقع من خير وبر كالصلاة والصيام وجميع العبادات مما يقوم به عباد الله الصالحين، إذ تتنزل فيها الرحمات وتحضرها الملائكة وتغشاها السكينة، وهذه هى البركة التى تطلب من الله فى الأماكن المقصودة لذلك.

وهذه البركة تطلب للتعرض لها فى أماكنها بالتوجه إلى الله تعالى ودعائه واستغفاره، وتذكر ما وقع فى تلك الأماكن من حوادث عظيمة ومناسبات كريمة، تحرك النفوس وتبعث فيها الهمة والنشاط للتشبه بأهلها أهل الفلاح والصلاح.

وتعتقد الوهابية بأن التبرك بآثار أولياء الله شرك بالله، وتعتبر الذى يُقبِّل محراب رسول الله ﷺ وآله ومنبره مشركاً وإن لم يأت بذلك بنية العبادة، بل كانت المحبة والمودة تجاه النبى الكريم هى الدافع له إلى التبرك والاستشفاء بآثاره ﷺ وآله.

إن المنع من التبرك بآثار الرسول الأكرم وتقبيل ضريحه المقدس ومنبره الشريف هو من أشد الإجراءات التى يتخذها الوهابيون ضد المسلمين، وقد استخدموا مجموعة من الشرطة الإرهابيين من البدو الأجلاف باسم (الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر!!) ووزعوهم فى مسجد رسول الله ﷺ للحيلولة دون تقبيل ضريحه المقدس ومنبره الشريف ومحراب مسجده المبارك، وهؤلاء الوهابيون يستدبرون الروضة الشريفة بأقفيتهم ويواجهون

المسلمين الحجاج بكل خشونة وصلافة ويمنعونهم عن التبرك والتقبيل، وطالما أمسكوا بأيديهم العصا أو الأسلاك الغليظة، وطالما أراقوا- فى هذا السبيل- دماء الأبرياء وهتكوا الأعراض والنواميس فى حرم النبى -ﷺ وآله- زعماً منهم أن التبرك والتقبيل عبادة لصاحب الروضة الشريفة.

إن هؤلاء الغرباء عن الإسلام أخطأوا فى فهم العبادة ومفهومها، ولهذا تاهوا فى متاهات الضلال والباطل، فاعتبروا كل احترام للميت عبادة له، مع العلم أن تقبيل الضريح المقدس والتبرك بالآثار النبوية إنما هو سبيل الله سبحانه، لأن المسلمين لا يكرمون النبى الأكرم ولا يتبركون به وبآثاره إلا لأنه رسولُ الله ونبيُّه الحبيب المصطفى، الذى شرفه الله على كل الأنبياء والمرسلين، وفضله على الخلق أجمعين، فكل تكريم وتعظيم للأنبياء أو لأولياء الله إنما هو تعظيم لله سبحانه، وليست حقيقة التوحيد إلا أن يكون كل شئ لله ومن أجله وفى سبيله، وعند ذلك يكون الله هو المبدأ كما يكون هو المنتهى.

وسوف نتحدث فى الكتاب القادم عن العبادة

ومفهومها بالضبط والتحقيق.

أما حديثنا اليوم فهو بخصوص مسألة البحث عن التبرك بآثار الصالحين، لذلك يجب أن نعرض المسألة على كتاب الله وسنة رسوله- ﷺ - وآله كى يتجلى الحق بأجلى مظاهره.

وسوف نكتفى من القرآن الكريم بآية واحدة، وهى عن لسان النبى يوسف عليه السلام:

﴿اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيراً﴾ (يوسف: ٩٣). إن النبى يوسف أرسل قميصه إلى أبيه، وقال لإخوانه: إذهبوا بقميصى هذا وألقوه على وجهه حتى يعود إليه بصره.

يقول تعالى: ﴿فَلَمَّا أَن جَاءَ البَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيراً﴾ (يوسف: ٩٦).

فهذه الآية صريحة بجواز التبرك بآثار النبى حتى لنبى آخر، فهذا النبى يعقوب يتبرك بقميص النبى يوسف عليهما السلام، ومن الواضح أن الشفاء من الله سبحانه، فهو المؤثر فى الأشياء، إلا أن التبرك بالقميص صار وسيلة للشفاء، كما يكون الدواء كذلك بإذن الله تعالى.

يا ترى.. إذا كان تبرك النبى يعقوب بقميص ابنه يوسف يقع أمام النجديين وأتباع محمد بن عبد الوهاب ماذا كانوا يحكمون عليه؟ بالكفر؟ بالشرك؟ بالذنب؟ وهو النبى المعصوم عن الخطأ والاشتباه!.

إن تبرك المسلمين بضريح رسول الله وآله الطاهرين وبآثارهم، لا يختلف عن تبرك النبى يعقوب بقميص ابنه يوسف عليهما السلام.

وإن نظرة خاطفة فى سيرة المسلمين- بدءاً من الصحابة وإلى هذا اليوم- تكشف لنا عن السنة المتبعة لديهم تجاه التبرك بالنبى ﷺ وآثاره الشريفة طوال التاريخ، والأحاديث التى أمر فيها ﷺ بالتبرك به بلغت حد التواتر، وقد أقر عليها ﷺ أصحابه، وقد انعقد الإجماع على أنه ﷺ لا يقر على باطل، فمن هذه الأحاديث التى أمر فيها بالتبرك به:

عن طلق بن على قال: خرجنا وفداً إلى رسول الله ﷺ فبايعناه وصلينا معه وأخبرناه أن بأرضنا بيعة لنا، فاستوهبناه من فضل طهوره بماء، فتوضأ وتمضمض ثم صبه لنا فى إداوة، وأمرنا فقال: (اخرجوا فإذا أتيتم أرضكم فاكسروا بيعتكم وانضحوا مكانها بهذا

الماء واتخذوها مسجدا) قلنا: إن البلد بعيد والحر شديد والماء ينشف، قال: (مدوه من الماء فإنه لا يزيده إلا طيباً) هذا الحديث رواه النسائى فى كتاب المساجد، والتبريزى فى المشكاة رقم ٧١٦، والطبرانى فى الكبير جـ٨ ص ٢٩٩، وهذا الحديث من الأصول المعتبرة المشتهرة الدالة على مشروعية التبرك برسول الله وبآثاره وبكل ما هو منسوب إليه، فإنه ﷺ أخذ وضوءه ثم جعله فى إناء، ثم أمرهم أن يأخذوه معهم إجابة لطلبهم، وتحقيقاً لمرادهم، فلابد أن هناك سراً قوياً متمكناً فى نفوسهم دفعهم إلى طلب هذا الماء بخصوصه والمدينة مملوءة بالمياه.

بل وبلادهم مملوءة بالماء، فلم هذا التعب والتكلف فى حمل قليل من الماء من بلد إلى بلد مع بعد المسافة وطول السفر وحرارة الشمس؟!.

نعم، كل ذلك لم يهمهم لأن المعنى الذى يحمله هذا الماء يهون عليهم كل مشقة، ألا وهو التبرك به وبآثاره وبكل ما هو منسوب إليه ﷺ، وهو لا يوجد فى بلدهم ولا يتوافر على كل حال عندهم، بل ويتأكد لهم رضاه ﷺ، عن فعلهم بجوابه لهم- لما قالوا: إن

الماء ينشف لشدة الحر- إذ قال لهم: (مدوه من الماء)، فبين لهم أن بركته التى حلت فى الماء لا تزال باقية مهما زادوا فيه فهى مستمرة متصلة.

ولمزيد بيان نفصل التبرك بالنبى إلى قسمين:

الأول، التبرك بالنبى ﷺ وآله.

والقسم الثانى، هو التبرك بآثاره ﷺ وآله.

أما عن القسم الأول فنقول:

أولاً: التبرك بعرقه الشريف ﷺ وآله:

من الأحاديث التى أذن فيها ﷺ بالتبرك به ما رواه مسلم فى كتاب الفضائل فى باب طيب عرقه ﷺ بالتبرك به، عن أنس بن مالك قال: كان النبى ﷺ يدخل بيت أم سليم فينام على فراشها وليست فيه، قال: فجاء ذات يوم فنام على فراشها وأتت فقيل لها: هذا النبى نائم فى بيتك على فراشك، قال: فجاءت وقد عرق واستنقع عرقه على قطعة أديم على الفراش، ففتحت عتيدتها- والعتيدة هى: الصندوق الصغير تجعل المرأة فيه ما يعز من متاعها- فجعلت تنشف ذلك العرق وتعتصره فى قواريرها، ففزع النبى ﷺ

فقال: ما تصنعين يا أم سليم؟ فقالت: يا رسول الله، نرجو بركته لصبياننا، قال: أصبت.

ثانياً: التبرك بتقبيل يدى النبى- ﷺ وآله- ورجليه

روى أبو داود عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أنه كان فى سرية من سرايا رسول الله ﷺ، قال: فحاص النبى حيصة فكنت فيمن حاص، قال: فلما برزنا قلنا: كيف نصنع وقد فررنا من الزحف وبؤنا بالغضب؟ فقلنا: ندخل المدينة فنتثبت فيها ونذهب لا يرانا أحد، قال: فدخلنا فقلنا: لو عرضنا أنفسنا على رسول الله ﷺ، فإن كانت لنا توبة أقمنا، وإن كان غير ذلك ذهبنا، قال: فجلسنا لرسول الله ﷺ قبل صلاة الفجر، فلما خرج قمنا إليه فقلنا: نحن الفرارون، فأقبل إلينا فقال: (بل أنتم العكارون) قال: فدنونا فقبلنا يده، فقال: (أنا فئة المسلمين) هذا الحديث رواه أيضاً البخارى فى الأدب المفرد باب تقبيل اليد.

وروى أبو داود ج٢ ص٦٤٧ عن أم أبَّان بنت الوازع بن زارع عن جدها زارع- وكان فى وفد عبد

القيس- قال: لما قدمنا المدينة فجعلنا نتبادر من رواحلنا فنقبل يد رسول الله ﷺ ورجله، قال: وانتظر المنذر الأشج حتى أتى عيبته فلبس ثوبه ثم أتى النبى ﷺ، فقال له: (إن فيك خلتين يحبهما الله: الحلم والأناة، قال: يا رسول الله، أنا أتخلق بهما أم الله جبلنى عليهما؟ قال: بل الله جبلك عليهما، قال: الحمد الله الذى جبلنى على خلتين يحبهما الله ورسوله) وهذا الحديث رواه أيضاً مسلم، والترمذى، وابن ماجة، وأحمد.

ثالثاً: التبرك بسؤر النبى ﷺ وآله:

روى الشيخان والإمام مالك فى الموطأ، واللفظ للبخارى عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: أتى النبى ﷺ بقدح فشرب منه وعن يمينه غلام أصغر القوم والأشياخ عن يساره فقال: (يا غلام أتأذن لى أن أعطيه الأشياخ؟) قال: ما كنت لأوثر بنصيبى منك أحداً يا رسول الله فأعطاه إياه.

وروى أبو داود ج١ ص٥٢٧، ومسلم فى كتاب الصيام الحديث رقم ١٥٤، عن أم هانئ قالت: لما

كان يوم فتح مكة جاءت فاطمة فجلست عن يسار رسول الله ﷺ وأم هانئ عن يمينه، قالت: فجاءت الوليدة بإناء فيه شراب فناولته، فشرب منه ثم ناوله أم هانئ فشربت منه فقالت: يا رسول الله لقد أفطرت وكنت صائمة فقال لها: (أكنت تقضين شيئا؟) قالت: لا، قال: (فلا يضرك إن كان تطوعا). رواه الترمذى، ورواه أبو داود فى مسنده عن شعبة وحماد بن سلمة وفيه: أما أنى كنت صائمة ولكن كرهت أن أرد سؤرك، ورواه الإمام أحمد بهذه الزيادة أيضاً، ورواه الدارمى نحو ما روى أبو داود. ورواه الطبرانى كما فى المجمع ج٣ ص١٥٩.

رابعاً: التبرك بموضع لامسه فم النبى ﷺ:

روى الإمام أحمد عن أنس رضي الله عنه أن النبى ﷺ دخل على أم سليم وفى البيت قربة معلقة فشرب من فيها- أى من فم القربة- وهو نائم، قال: أنس: فقطعت أم سليم فم القربة فهو عندنا).

والمعنى: أن أم سليم قطعت فم القربة الذى هو موضع شربه ﷺ واحتفظت به فى بيتها للتبرك بأثر

النبى ﷺ، ورواه الطبرانى وفيه البراء بن زيد ولم يضعفه أحمد وبقية رجاله رجال الصحيح.

وروى أبو داود فى مسنده ج٢ ص١٢٥ عن أم سليم قالت: رأيت رسول الله ﷺ شرب من فى قربة فقطعتها، وقلت: لا يشرب منها أحد بعده. وهذا الحديث أيضاً رواه الترمذى فى الشمائل، وابن ماجة فى سننه.

خامساً: التبرك بفضل وضوئه ﷺ وآله:

روى الستة واللفظ للبخارى فى الصلاة فى الثوب الأحمر، عن أبى جحيفة رضي الله عنه قال: (رأيت رسول الله ﷺ فى قبة حمراء أدم، ورأيت بلالاً أخذ وضوء رسول الله ﷺ، ورأيت الناس يبتدرون ذلك الوضوء، فمن أصاب منه شيئاً تمسح به، ومن لم يصب منه شيئا أخذ من بلل يد صاحبه) وروى البخارى فى كتاب الأشربة فى باب البركة والماء المبارك عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال: قد رأيتنى مع النبى ﷺ وقد حضرت العصر وليس معنا ماء غير فضلة، فأتى النبى ﷺ به وأدخل يده فيه وفرج

أصابعه ثم قال: (حى على الوضوء، البركة من الله) فلقد رأيت الماء ينفجر من بين أصابعه، فتوضأ الناس وشربوا، فجعلت لا آلو ما جعلت فى بطنى منه، فأيقنت أنه بركة.

قلت لجابر: كم كنتم يومئذ؟ قال: ألفا وأربعمائة.

سادساً: التبرك بشعر النبى ﷺ وآله:

روى مسلم عن أنس قال: (لقد رأيت رسول الله ﷺ والحلاق يحلقه وأطاف به أصحابه، فما يريدون أن تقع شعرة إلا فى يد رجل).

وروى الشيخان وغيرهما واللفظ للبخارى عن أنس أن رسول الله ﷺ لما حلق رأسه كان أبو طلحة أول من أخذ من شعره.

وروى البخارى عن ابن سيرين قال: قلت لعبيدة ابن عمر أحد كبار التابعين المخضرمين – أسلم قبل وفاته ﷺ ولم يره– وعندنا من شعر النبى ﷺ ما أصبناه من قبل أنس أو من قبل أهل أنس، فقال: لئن تكن عندى شعرة منه أحب إلىَّ من الدنيا وما فيها.

سابعاً: التبرك بلباس النبى- ﷺ وآله- والاستشفاء به:

عن أسماء بنت أبى بكر: أنها أخرجت جبة طيالسة كسروانية لها لبنة ديباج وفرجاها مكفوفان بالديباج، وقالت: هذه جبة رسول الله ﷺ كانت عند عائشة فلما قبضت قبضتها، وكان النبى ﷺ يلبسها، فنحن نغسلها للمرضى يستشفى بها.. هذا الحديث رواه مسلم فى كتاب اللباس والزينة ص٣، الحديث رقم (١٠).

وذكر الحافظ ابن عبد البر فى الاستيعاب أن سعدان بن الوليد السامرى روى عن عطاء بن أبى رباح عن ابن عباس قال: لما ماتت فاطمة بنت أسد أم على بن أبى طالب ألبسها رسول الله ﷺ قميصه واضطجع فى قبرها، فقالوا: ما رأيناك صنعت ما صنعت بهذه، فقال: (إنه لم يكن أحد بعد أبى طالب أبر بى منها، إنما ألبستها قميصى لتكسى من حلل الجنة، واضطجعت ليهون عليها).

القسم الثانى.. مظاهر التبرك بآثار النبى ﷺ وآله

أولاً: التبرك بآنية النبى ﷺ وآله:

عن أبى بردة قال: قدمت المدينة فلقينى عبد الله بن سلام فقال لى: انطلق إلى المنزل فأسقيك فى قدح شرب فيه رسول الله ﷺ، وتصلى فى مسجد صلى فيه النبى ﷺ، فانطلقت معه فسقانى وأطعمنى تمراً وصليت فى مسجده.. هذا الحديث رواه البخارى فى كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة.

ثانياً: التبرك بموضع قدم النبى ﷺ وآله:

جاء فى الحديث عن أبى مجلز أن أبا موسى كان بين مكة والمدينة فصلى العشاء ركعتين، ثم قام فصلى ركعة أوتر بها فقرأ فيها بمائة آية من النساء، ثم قال: ما ألوت أن أضع قدمى حيث وضع رسول الله ﷺ قدميه، وأنا أقرأ بما قرأ به رسول الله ﷺ. (هذا الحديث رواه النسائى جـ٣ ص ٢٤٣).

ثالثاً: التبرك بمنبر النبى ﷺ وآله:

قال القاضى عياض فى الشفا: رؤى ابن عمر

رضى الله عنهما واضعا يده على مقعد النبى ﷺ من المنبر ثم وضعها على وجهه.

وعن أبى قسيط والعتبى كان أصحاب رسول الله -ﷺ وآله- إذا خلا المسجد حسوا على رمانة المنبر التى تلى القبر بميامينهم ثم يستقبلون القبلة يدعون.

قال الملا على قارى شارح الشفا رواه ابن سعد عن عبد الرحمن بن عبد القارى (جـ٣ ص ٥١٨).

وروى ذلك ابن تيمية أيضا فى اقتضاء الصراط المستقيم ص ٣٦٧ عن الإمام أحمد وأنه رخص فى التمسح بالمنبر والرمانة، وذكر أن ابن عمر وسعيد ابن المسيب ويحيى بن سعيد من فقهاء المدينة كانوا يفعلون ذلك.

رابعاً: التبرك بقطيفة وبثوب النبى ﷺ:

روى ابن أبى شيبة فى مسنده قال: حدثنا محمد بن بشر أخبرنا أيوب بن النجار أخبرنا أبو عبد الله الجنينى عن جده المزنى أنه كانت عنده قطيفة رسول الله ﷺ، فلما استخلف عمر بن عبد العزيز أرسل إليه فأتاه بها فى أديم، فجعل يمسح بها وجهه لبركتها.

وروى الإمام الحافظ عبد الله بن المبارك فى كتاب الزهد- ج١ ص٢٦٤- عن ابن لهيعة عن محمد بن عبد الرحمن بن نوفل أنه حدث عن عروة بن الزبير أن ثوب رسول الله ﷺ الذى كان خرج فيه للوفد رداؤه ثوب حضرمى طوله أربعة أذرع وعرضه ذراعان وشبر، وهو عند الخلفاء قد أخلق فطووه بثوب يلبسونه يوم الفطر والأضحى.

خامساً: التبرك بنعل النبى ﷺ وآله:

قال الحافظ ابن حجر فى الإصابة ج٢ ص٧٢: كانت قلادة نعل النبى ﷺ عند أحفاد الصحابى سليمان السلمى، ومات آخرهم دون وارث سنة خمس وعشرين وستمائة، وأخذ الأشرف بن العادل موجوده فجعله فى أوقاف المدرسة الأشرفية بدمشق، قلت: ومن جملتها النعل المذكورة. وقد ذكرها الذهبى وغيره، ويعبرون عنها بالأثر الشريف، انتهى كلام الحافظ ابن حجر.

فأنت أيها القارئ ترى حرص أهل المدينة قديماً على الاحتفاظ بنعل النبى ﷺ واحتذاء حذوها،

واحتفاظ أبناء ذلك الصحابى بقلادة النعل الشريفة مدة تزيد على ستة قرون، وارتضاء علماء الأمة لذلك ونقلهم له فى مصنفاتهم وتعظيمهم لها، إذ كانوا يسمونها الأثر الشريف.

سادساً: التبرك بروضة النبى ﷺ وآله:

قال الحافظ العراقى أخبرنى الحافظ أبو سعيد العلائى قال: رأيت فى كلام ولد أحمد بن حنبل فى جزء قديم عليه خط ابن ناصر وغيره من الحفاظ أن الإمام أحمد سئل عن تقبيل قبر النبى ﷺ وتقبيل غيره، فقال: لا بأس بذلك، فأريناه ابن تيمية فصار يتعجب من ذلك ويقول: عندى أحمد جليل يقول هذا؟ قال: وأى عجب فى ذلك.

وفى كتاب العلل والسؤلات لعبد الله بن أحمد بن حنبل: سألت أبى عن الرجل يمس منبر النبى ﷺ يتبرك بمسه ويقبله، ويفعل بالقبر مثل ذلك رجاء ثواب الله تعالى، قال: لا بأس به.

وفى وفاء الوفا للعلامة السمهودى ص ١٤٠٥ أن ابن عساكر روى من تحفته من طريق طاهر بن

يحيى الحسينى بسنده إلى على ﷺ قال: لما رمس رسول الله ﷺ جاءت فاطمة رضى الله عنها فوقفت على قبره ﷺ، وأخذت قبضة من تراب القبر ووضعت على عينيها وبكت وأنشأت تقول:

ماذا على من شم تربة أحمد

ألا يشم مدى الزمان غواليا

صُبت علىَّ مصائب لو أنها

صُبت على الأيام صرن لياليا

إن هذا التصرف من السيدة الزهراء لا يدل إلا على جواز التبرك بروضة رسول الله وتربته الطاهرة.

وفى أسد الغابة لابن الأثير جـ١ ص٢٨: أن بلالاً مؤذن رسول الله أقام فى الشام فى عهد عمر بن الخطاب فرأى فى منامه النبى ﷺ وآله وهو يقول له: (ما هذه الجفوة يا بلال؟ أما آن لك أن تزورنى يا بلال؟)

فانتبه حزيناً وجلاً خائفاً، فركب راحلته وقصد المدينة، فأتى روضة النبى ﷺ وآله فجعل يبكى

عندها ويمرغ وجهه عليها، فأقبل الحسن والحسين عليهما السلام فجعل يضمهما ويقبلهما.. إلى آخر الخبر.

وروى المتقى الهندى فى كنز العمال جـ٢ ص ٢٤٨، والسمهودى فى الوفا جـ٢، ص١٣٦١، عن أمير المؤمنين على كرم الله وجهه قال: إن أعرابياً قدم علينا بعد ما دفنا رسول الله ﷺ وآله بثلاثة أيام فرمى بنفسه على قبر النبى، وحثا من ترابه على رأسه وقال: يا رسول الله قلت فسمعنا قولك، ووعيت عن الله سبحانه فوعينا عنك، وكان فيما أنزل الله عليك: ﴿ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤك..﴾ وقد ظلمت وجئتك تستغفر لى. فنودى من القبر: (قد غفر لك).

سابعاً: التبرك بتراب المدينة المنورة:

ورد فى الصحيحين البخارى ومسلم وأخرج أبو داود وابن ماجة وأحمد حديث: (كان النبى ﷺ إذا اشتكى الإنسان أو كانت به قرحة أو جرح قال بأصبعه هكذا، ووضع سفيان سبابته بالأرض ثم

رفعها وقال: (بسم الله تربة أرضنا، بريق بعضنا، يشفى سقيمنا بإذن ربنا).

لعل البعض يقول: لقد اتفقنا على جواز التبرك بالنبى ﷺ وبآثاره، فما دخل التبرك بالأولياء والصالحين بذلك؟.

وللجواب على هذا السؤال نذكر عدة أمثلة على جواز التبرك بالأولياء والصالحين، وبآثارهم، فنقول:

أولاً: التبرك بتقبيل يد الصالحين:

قال القاضى عياض فى الشفا ص٤٩: عن الشعبى قال: صلى زيد بن ثابت على جنازة أمه ثم قربت له بغلته ليركبها، فجاء ابن عباس بركابه، فقال زيد: خل عنه يا ابن عم رسول الله ﷺ: فقال: هكذا نفعل بالعلماء، فقبل زيد يد ابن العباس وقال: هكذا أمرنا أن نفعل بأهل بيت نبينا.

هذا الخبر أورده الحافظ ابن حجر فى الإصابة بصيغة الجزم.

وروى أحمد والطبرانى عن عمير بن إسحاق قال: رأيت أبا هريرة لقى الحسين بن على فقال له: اكشف

عن بطنك حيث رأيت رسول الله ﷺ يقبل منه، فكشف عن بطنه فقبله.

وروى الإمام أحمد عن عبد الرحمن بن رزين أنه نزل المدينة وهو وأصحابه يريدون الحج، قيل لهم: ها هنا سلمة بن الأكوع صاحب رسول الله ﷺ فأتيناه فسلمنا عليه ثم سألناه، فقال: بايعت رسول الله ﷺ بيدى هذه وأخرج لنا كفه، وقال: قمنا إليه فقبلنا كفه جميعاً.

ورواه البخارى فى الأدب المفرد فى باب تقبيل اليد، وفى مجمع الزوائد للهيثمى جـ٨ ص٤٢ أنه رواه الطبرانى بسند رجاله ثقات.

وروى عبد الرزاق فى الجامع، والخرائطى فى مكارم الأخلاق، وابن عساكر فى التاريخ، والبيهقى فى السنن: عن تميم بن سلمة قال: لما قدم عمر الشام استقبله أبو عبيدة بن الجراح فصافحه وقبل يده، ثم خلوا يبكيان، فكان تميم يقول: تقبيل اليد سنة.

ثانياً: التبرك بثياب الصالحين:

قال مالك فى من أوصته أمه أن يكفنها فى ثوب

معين: أحب إلىَّ أن يكفن أمه فى الثوب الذى أوصت أن تكفن فيه، قال ابن رشد: قول مالك: (أحب إلىَّ) ليس على ظاهره، بل هو الواجب عليه إذا أوصت بذلك تبركاً لأنها حجت فيه أو كانت تشهد به الصلوات، لأن من أوصى بقربة وجب أن تنفذ وصيته، وقال ابن بطال: ينبغى التبرك بثياب الصالحين.

ثالثاً: التبرك بصحيح البخارى:

قال الحافظ ابن حجر فى مقدمة فتح البارى ج١ ص٢٤: ذكر الإمام القدوة أبو محمد بن أبى جمرة فى اختصاره للبخارى قال: قال لى من لقيته من العارفين عمن لقى من السادة المقر بالفضل أن صحيح البخارى ما قرىء فى شدة إلا فرجت، ولا ركب به فى مركب فغرق.

وقال الشيخ اللكنوى فى مقدمة تحفة الأحوذى ص١١٦: قال الحافظ ابن كثير: وكتاب البخارى الصحيح يستسقى بقراءته الغمام، وأجمع على قبوله وصحته أهل الإسلام.

رابعاً: التبرك بمس روضة الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه:

ذكر العلامة المحدث زاهد الكوثرى فى مقالاته ص٣٧٦ أنه قرأ فى كتاب الحكايات المنثورة للحافظ الضياء المقدسى الحنبلى أنه سمع الحافظ عبد الغنى المقدسى يقول: إنه خرج فى عضده شئ يشبه الدمل فأعيته مداواته فمسح به قبر الإمام أحمد فبرىء ولم يعد إليه.

والكتاب المذكور بخط الحافظ المذكور ومن خطه نقلت، وهو بظاهرية دمشق برقم ٩٨.

والخلاصة: إن من يراجع كتب الصحاح والسنن والمسانيد والتواريخ، يرى أن الصحابة والتابعين كانوا يتبركون بكل ما يرتبط بالنبى ﷺ وآله ويستشفعون بروضه بوضع الخد عليها، وشم تربته، والبكاء عنده، بل والتبرك بعصاه وملابسه، والصلاة فى الأماكن التى صلى فيها النبى – ﷺ – وآله أو مشى فيها.

وهذه الروايات على حد من الكثرة والتواتر بحيث

يستحيل عند العقل أن تكون موضوعة ومجعولة، وكيف تكون كذلك وقد رواها الشيخان: البخارى ومسلم، وغيرهما من أعلام الحديث.

فماذا تقول الوهابية تجاه هذه الأحاديث المتواترة لفظا ومعنى؟.

وما هو موقفهم من هذه الحقيقة الساطعة؟!.

ولماذا هذه الضجة العمياء التى تثيرها حول التبرك بضريح رسول الله- ﷺ وآله- والذى جرت عليه سيرة السلف من الصحابة والتابعين، دون أن يروا أى استنكار أو استقباح أو منع أو تحريم من النبى- ﷺ وآله- أو من حوله من الصحابة؟!

ولماذا لا يتركون المسلمين ليقبلوا ضريح رسول الله- ﷺ وآله- ويتبركوا به، ويعبروا عن مشاعرهم وعواطفهم تجاه نبى الله؟!.

ولماذا تسمح الوهابية بطباعة وبيع كتاب: (السحب الوابلة على ضرائح الحنابلة)، وتمنع الكتب الأخرى التى تتحدث عن ضرائح غير الحنابلة، أم أن الحنابلة من جنس آخر يختلف عن باقى الأمة ؟!!.

أفلا يعلمون أن النهى عن التبرك بالضريح النبوى

الطاهر وآثار رسول الله كان من دأب الأمويين لاسيما مروان بن الحكم.

تعال واقرأ أخى الكريم ما يرويه الحاكم فى المستدرك عن داود بن صالح، قال: (أقبل مروان فوجد رجلاً واضعاً وجهه على القبر، فأخذ برقبته ثم قال: هل تدرى ما تصنع؟.

فأقبل عليه فإذا هو أبو أيوب الأنصارى فقال: نعم إنى لم آت الحجر، إنما جئت رسول الله ولم آت الحجر، سمعت رسول الله يقول: (لا تبكوا على الدين إذا وليه أهله، ولكن أبكوا على الدين إذا وليه غيرُ أهله).

إن هذا الحديث يعطينا خُبراً بأن المنع عن التوسل بالروضات الطاهرة إنما هو من بدع الأمويين وضلالاتهم، منذ عهد الصحابة، ولم تسمع أذن الدنيا قط صحابيا ينكر ذلك، غير- وليد بيت أمية- مروان بن الحكم).

وترى أن أبا أيوب الأنصارى يرد على مروان- لمّا قال له: هل تدرى ما تصنع؟- بقوله: نعم إنى لم آت الحجر، إنما جئت رسول الله ولم آت الحجر..

أى: إن الهدف من التوسل والتبرك هو رسول الله- ﷺ وآله- الذى نعتقد بعدم الفرق بين حياته وانتقاله- من هذه الجهة- وإلا فالتراب والحجر لا قيمة لهما، إلا أن الحجر والتراب حول روضة رسول الله- ﷺ وآله- قد اكتسبا القيمة والشرف بذلك.

أيها القارئ الكريم: إن البخارى قد عقد فى صحيحه- الذى يعتبر أصح الكتب عند أهل السنة- باباً سمّاه: باب ما ذكر من درع النبى ﷺ وعصاه وسيفه وقدحه وخاتمه، وما استعمل الخلفاء بعده من ذلك- مما لم يذكر قسمته- ومن شعره ونعله وآنيته مما يتبرك أصحابه وغيرهم بعد انتقاله إلى الرفيق الأعلى.

فإذا وقف الوهابى على هذه الأحاديث الهائلة- التى تجاوزت المائة- فلا مناص له من قبول الحق والاعتراف به، إن كان ممن يستمع القول فيتبع أحسنه، وإلا فإن يوم الفصل كان ميقاتا.

وفى الختام نوجه سؤالاً للوهابية وذيولها:

D:\كتب\الوهابية\٢٦doc.

ما حكم من حكم بالكفر على من مسّ وقبَّل آثار الأنبياء والأولياء؟.

أنت أيها القارئ الكريم ترى أن أجلاء العلماء قد أباحوا مسّ روضات الأنبياء والأولياء وتقبيلها، فأين هذا من الكفر الذى تدعيه الوهابية والشرك الذى يصفون به الناس؟ إن فى ذلك خروجهم عن نهج الشريعة الإسلامية، وخرقاً لقواعدها التى أجمع عليها المسلمون من عهد الرسول ﷺ إلى اليوم، فمن المعلوم أن للمنهيات درجات كما أن للمأمورات درجات، فالخروج بمنهى من درجته إلى درجة أخرى خرق للشريعة وقلة فهم مقاصدها الأساسية، فلو لم ير العلماء أن المس والتقبيل أمر سهل قريب لما اختلفوا فيه بين الكراهة والجواز، بل والاستحباب كما يفهم من كلام الإمام أحمد، فإذا جاء من جاء، وقال: إن هذا الأمر الذى كرهه البعض وأجازه البعض، ليس مكروهاً ولا حراماً وإنما هو كفر ومن جنس الشرك، فإنا نرد عليه قوله ونقول: إنه قد خرق الإجماع وهدم الشريعة، لأنه جعل كماليات الشريعة

وتحسيناتها وآدابها أساساً من أسسها فقلب الوضع وشذ عن الجماعة.

لاشك أن الاستغراق فى المحبة يحمل على الإذن فى ذلك، والمقصود من ذلك كله الاحترام والتعظيم للأنبياء والأولياء، والناس تختلف مراتبهم فى ذلك كما كانت تختلف فى حياته ﷺ، فأناس حين يرونه لا يملكون أنفسهم بل يبادرون إليه ﷺ، وأناس فيهم أناة يتأخرون، والكل محل خير.

وختاما: يقول السيد عز الدين ماضى أبو العزائم رضي الله عنه فى كتابه (أيها القرنيون هلا فقهتم): إن روضات الأنبياء والأولياء وأحبابهم روضات جنان يتبرك بها، أما قبور الوهابية وذيولهم فهى حفائر نيران يصطلى بها.

الفصل العاشر

اعتقاد القدرة الغيبية للصالحين

مما لاشك فيه أن الإنسان لا يطلب حاجته من أحد إلا إذا تأكد من قدرة ذاك على قضاء حاجته وتلبية طلبه.

وهذه القدرة على قسمين:

الأول: القدرة المادية الظاهرية، بأن تطلب الماء من إنسان، فيملأ لك الإناء ماء ويناولك.

الثانى: القدرة الغيبية المستقلة عن المادة، والخارجة عن المجارى الطبيعية، كأن يعتقد الإنسان- مثلاً- بأن الإمام علىّ بن أبى طالب كرم الله وجهه قادر على قلع باب خيبر -الذى يعجز الإنسان عن قلعه عادة- بقوة غيبية تتفوق على قدرة البشر.

أو يعتقد بأن النبى عيسى عليه السلام قادر بدعائه على شفاء المريض الذى صعب علاجه، من دون استعمال دواء أو إجراء عملية جراحية.

إذا عرفت هذا.. فاعلم أن الاعتقاد بهذه القدرة

الغيبية- إذا كان مستنداً إلى قدرة الله وإذنه وإرادته- هو كالاعتقاد بالقدرة المادية الطبيعية، وليس شركاً بالله سبحانه، لأن الله الذى وهب القدرة المادية لشخص قادر أن يهب القدرة الغيبية لشخص آخر، دون الاعتقاد بكون المخلوق خالقاً أو مستغنياً عن الله تعالى.

ويعتقد الوهابيون بأنه لو طلب إنسان حاجة من أحد أولياء الله- حياً كان أم منتقلاً- كأن يشفى مريضه، أو يعيد عليه مفقوده، أو يقضى ديونه أو غير ذلك، فقد آمن بوجود قدرة غيبية عند من دعاه وسأله، بحيث يستطيع أن يخرق بها القوانين الطبيعية الحاكمة فى هذا الكون، والاعتقاد بهذه القدرة لغير الله إعتقاد بألوهية ذلك الغير، وطلب الحاجة منه مع هذا الاعتقاد شرك بالله سبحانه.

مثال ذلك: لو طلب الإنسان- العطشان فى الصحراء- ماء من خادمه، فإن طلبه هذا ليس طلباً لخرق القوانين الطبيعية، فهو جائز وليس شركاً.

أما لو طلب نفس هذا الطلب من نبى أو إمام يرقد تحت التراب، أو يعيش فى بلدة أخرى ومكان آخر،

أو كان غائباً عن الأبصار، فقد أشرك بالله تعالى، لأنه يعتقد بأن ذلك النبى أو الإمام يستطيع أن يهيئ الماء، خارج نطاق القوانين والأسباب الطبيعية، أى: بالقدرة الغيبية، وهذا اعتقاد بألوهية ذلك المدعو: النبى أو الإمام.

وقد صرح بهذا الرأى الكاتب الوهابى (أبو الأعلى المودودى) حيث قال فى كتابه (المصطلحات الأربعة) ص١٨:

(إن التصور الذى لأجله يدعو الإنسان الإله ويستغيثه ويتضرع إليه هو- لاجَرَم- تصوُّر كونه مالكاً للسلطة المهيمنة على قوانين الطبيعية).

وللرد على هذا الكلام نقول:

إن الخطأ الذى ارتكبه المودودى- ونظراؤه- هو أنه تصوَّر بأن الاعتقاد بالسلطة الغيبية لغير الله شرك به سبحانه مطلقاً، ولم يفرق- أو لم يرد أن يفرق- بين الاعتقاد بالقدرة الغيبية المستمدة من الله والمعتمدة عليه، وبين القدرة المستقلة عنه سبحانه، حيث إن الشرك هو الاعتقاد الثانى لا الأول، والأولياء

والأنبياء لا يفعلون الأشياء الخارقة للعادة إلا بأمر من الله تعالى الذى يطلعهم على غيب الشؤون، كما قال العبد الصالح لموسى عليه السلام: ﴿وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي﴾ (الكهف: ٨٢).

ويكشف لنا الإمام المجدد السيد محمد ماضى أبو العزائم رضي الله عنه حقيقة هذا الأمر بجلاء فى كتابه (الصوفية والتصوف) فيقول: (العارف قد يخبر عن الغيب، ويدل على إمكانه وجوه إجمالية:

أحدها: لما رأينا الإنسان قد يعرف الغيب حال المنام، لم يبعد أن يقع مثله فى اليقظة كما هو مدون فى سير الأولياء والصالحين.

ثانيها: حصول ذلك لكثير بيننا فى اليقظة، كحادثة عمر (يا سارية الجبل) وغيرها.

ثالثها: أن الحوادث الأرضية مستندة إلى الحركات السماوية المستندة إلى النفس، التى هى عالمة بالكليات والجزئيات، فتلك النفس هى السبب لهذه الحوادث الأرضية، فيلزم من عملها بذاتها علمها بجميع هذه الحوادث، لما ثبت أن العلم بالسبب يقتضى العلم بالمسبب، ثم دلنا على أن النفس الناطقة جوهر مجرد،

لها أن تنتقش بما فى العالم النفسانى من النفس، بحسب الاستعداد، وزوال الحائل، فلا يبعد أن يكون بعض الغيب ينتقش فيه من ذلك العالم).

أيها القارئ الكريم: إن القرآن الكريم يذكر- بصراحة تامة- أسماء أشخاص كانت لهم القدرة الغيبية، وكانت إرادتهم تتحكم على قوانين الطبيعة وتغيِّر مجراها.

وإليك أسماء بعض من أشار إليهم القرآن:

أولاً- القدرة الغيبية للنبى يوسف عليه السلام:

قال سيدنا يوسف عليه السلام لإخوته:

﴿اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيراً﴾ (يوسف: ٩٣).

﴿ ٠٠٠فَلَمَّا أَن جَاءَ البَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيراً﴾ (يوسف: ٩٦).

إن ظاهر هذه الآية يدل على أن النبى يعقوب عليه السلام استعاد بصره الكامل بالقدرة الغيبية التى استخدمها سيدنا يوسف عليه السلام من أجل ذلك، ومن الواضح أن استعادة سيدنا يعقوب بصره لم يكن من

الله بصورة مباشرة، بل تحققت بإذنه سبحانه بواسطة النبى يوسف عليه السلام.

إن النبى يوسف كان السبب فى عودة بصر أبيه كاملة، ولولا ذلك لما أمر إخوانه بأن يذهبوا بقميصه ويلقوه على وجه أبيه، بل كان يكفى أن يدعو الله تعالى لذلك فقط.

إن هذا تصرف غيبى صدر من أحد أولياء الله- سيدنا يوسف- وغير المجرى الطبيعى بإذنه سبحانه، ولا يقدر على التصرف إلا من منحه الله السلطة الغيبية.

ثانياً- القدرة الغيبية للنبى موسى عليه السلام:

لقد منح الله سبحانه القدرة الغيبية للنبى موسى عليه السلام فضرب بعصاه الحجر، فانفجرت منه اثنتا عشرة عيناً، بعدد قبائل بنى إسرائيل، كما قال سبحانه:

﴿فَقُلْنَا اضْرِب بِّعَصَاكَ الحَجَرَ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْناً﴾ (البقرة: ٦٠)

واستخدم سيدنا موسى عليه السلام قدرته الغيبية مرة

أخرى عندما ضرب بعصاه البحر ليفتح- فى عمق البحر وعلى أرضه- اثنتى عشر طريقاً يابساً لبنى إسرائيل، كى يمروا فيه ويعبروا البحر، فتراكمت المياه كالجبال على أطراف هذه الطرق من دون أن تتدحرج قطرة منها فى الطريق!.

قال تعالى: ﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ البَحْرَ فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ العَظِيمِ﴾ (الشعراء: ٦٣).

فى هذين الموقفين لا يمكن أن نتجاهل دور النبى موسى عليه السلام فى تفجير العيون وفتح الطرق على أرض البحر، وأنه استفاد من قدرته الغيبية، فتحقق كل ذلك بإذن الله وإرادته سبحانه.

ثالثاً- السلطة الغيبية للنبى سليمان عليه السلام:

لقد كان النبى سليمان عليه السلام يتمتع بقدرات غيبية متعددة، وقد عبر عن تلك المواهب والمنح الإلهية العظيمة بقوله- كما فى القرآن الكريم-: ﴿وأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ﴾ (النمل: ١٦).

وقد جاء تفصيل الحديث عن تلك المواهب

والقدرات الإلهية الممنوحة له، فى كل من سورة النمل من الآية ١٦ إلى ٤٤، وسورة سبأ آية ١٢، وسورة الأنبياء آية ٨١، وسورة ص من الآية ٣٦ إلى ٤٠.

إن التأمل فى هذه الآيات يكشف لنا عن جانب من المواهب العظيمة والقدرات الغيبية التى منحها الله لعبده ونبيه سليمان عليه السلام، وقبل أن تفتح القرآن لتقرأ الآيات المشار إليها، نذكر لك الآن بعض تلك الآيات، كى تتجلى لك عظمة تلك السلطة الغيبية وترى بعينك أن القرآن الكريم يثبت القدرة الغيبية لبعض عباد الله تعالى.

لقد كانت للنبى سليمان عليه السلام السلطة على الجن والطيور، وكان يعرف منطق الطير ولغات الحشرات، يقول الله تعالى: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ* وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ* حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لاَ يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لاَ

يَشْعُرُونَ* فَتَبَسَّمَ ضَاحِكاً مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ﴾ (النمل: ١٦-١٩). إلى آخر الآيات.

أيها القارئ الكريم: ولو قرأت - فى القرآن الحكيم- قصة الهدهد الذى أرسله سيدنا سليمان عليه السلام مبعوثاً إلى ملكة سبأ، حاملاً رسالة منه إليها، لاستولت عليك الدهشة والحيرة من القدرة الغيبية التى كانت له، لهذا نرجو منك التأمل فى الآيات من ٢٠ إلى ٤٤ من سورة النمل، كى تتأكد أكثر من بطلان مذهب الوهابية وتناقضه مع القرآن.

هذا وقد كانت للنبى سليمان- بتصريح القرآن الكريم- السلطة على الريح، تجرى بأمره حيث يشاء، قال تعالى: ﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ﴾ (الأنبياء: ٨١). إن ما يلفت الانتباه- فى هذه الآية- هو قوله سبحانه: ﴿تَجْرِي بِأَمْرِهِ﴾ حيث يدل على سلطة سليمان الغيبية على الريح، وتحكمه فى مسيرها ومجراها.

رابعاً- النبى عيسى عليه السلام والقدرة الغيبية:

يمكننا أن نتعرف على جانب من القدرة الغيبية التى كانت للنبى عيسى عليه السلام من خلال التأمل فى الآيات القرآنية التى تتحدث عنه وعنها، ومنها قوله تعالى- عن لسان عيسى-: ﴿أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فيه فَيَكُونُ طَيْراً بِإِذْنِ اللَّه وَأُبْرِئُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ وَأُحْيِي المَوْتَى بِإِذْنِ اللَّه وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ (آل عمران: ٤٩)، لقد تكرر قوله: ﴿بإذن الله﴾ مرتين فى هذه الآية، تأكيداً على أن التصرفات الغيبية التى يقوم بها أولياء الله إنما هى بالاستمداد من قدرة الله تعالى وإرادته، ولهذا ترى سيدنا عيسى عليه السلام يعتبر تصرفاته كلها رهينة بإذن الله تعالى، وهكذا غيره من الأنبياء والأولياء قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ (الرعد: ٣٨).

ولكنك ترى فى الوقت نفسه أن النبى عيسى ينسب

كل أعماله الغيبية إلى نفسه الشريفة فيقول: (أخلق) (أنفخ) (أبرئ) (أحى) (أنبئكم) بصيغة المتكلم وحده.

هذا وليس سادتنا الأنبياء يوسف وموسى وعيسى وسليمان عليهم الصلاة والسلام هم فقط الذين كانت لهم القدرات الغيبية، بل هناك مجموعة من الأنبياء الذين كانوا ولا يزالون يملكون تلك القدرة، وهذا البحث يتطلب كتابا مستقلا.

خامساً: الملائكة والقدرة الغيبية:

إن الملائكة يتمتعون بالسلطة الغيبية أيضاً، فهذا القرآن الكريم يصف جبرئيل بقوله: ﴿شديد القوى﴾ (النجم: ٥) ويصف بعض الملائكة بقوله: ﴿فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْراً﴾ (النازعات: ٥) وغيرهما من الآيات التى تصرح- أو تشير- بأن الملائكة تتولى إدارة شئون العالم، من قبض الأرواح، وحراسة الناس، والمحافظة عليهم، وكتابة الأعمال ﴿كِرَاماً كَاتِبِينَ﴾ (الانفطار: ١١)، ومبيدات الأمم الطاغية، وغير ذلك من مسؤوليات هذا الكون.

إن كل من له إلمام بالقرآن الكريم- حتى ولو كان

قليلاً- يعلم بأن للملائكة قدرات غيبية، وأنها تقوم بتصرفات إعجازية بإذن الله وقوته.

فلو كان الاعتقاد بالسلطة الغيبية يستلزم الاعتقاد بالألوهية، لكان كل واحد من الأنبياء والملائكة إلهاً من دون الله سبحانه، وهذا واضح البطلان.

فما هو الحل؟

ما هو الحل والقول الفصل؟.

الجواب: لقد ذكرنا أن الحل والقول الفصل هو فى الفرق والتمييز بين القدرة المستقلة والقدرة المكتسبة، فالاعتقاد بالقدرة المستقلة- لغير الله- يستلزم الشرك به سبحانه، بينما الاعتقاد بالقدرة المكتسبة- فى أى مجال- هو التوحيد بذاته.

إلى هنا تبين لك- أيها القارئ- أن الاعتقاد بالقدرة الغيبية لدى أولياء الله تعالى لن يرافقه الشرك بل هو التوحيد بعينه، بشرط أن تعتبر تلك القدرة مسندة إلى القدرة الأزلية لله تعالى.

كما تبين لك بأنه ليس معنى التوحيد أن تُسند الأفعال الطبيعية إلى الإنسان، وتُسند الأفعال الغيبية

إلى الله تعالى، بل إن حقيقة التوحيد هى أن تسند كل الأفعال إليه تعالى، وتعتبر القوى والطاقات والقدرات نابعة منه، وتابعة إليه جل جلاله.

جواز طلب الأعمال الإعجازية من أولياء الله تعالى:

والآن.. آن الأوان كى نتحدث عن الركن الثانى- فى هذا الفصل- وهو جواز طلب الأعمال الإعجازية الغيبية من أولياء الله تعالى.. ونسأل:

- هل يجوز أن تطلب من أحد أولياء الله عملاً إعجازياً؟

- وهل يعتبر هذا الطلب شركاً؟

فى البداية نقول: مما لا يختلف فيه اثنان هو أن (لكل معلول علة، ولكل مسبَّب سبب) فكل شئ لا يمكن أن يكون له وجود إلا بسبب، فالحياة حياة الأسباب والمسببات، وبالتالى: لا توجد فى العالم ظاهرة دون أن يكون لها سبب.

كذلك معجزات الأنبياء وكرامات الأولياء ولا

تحدث بدون سبب، بيد أن السبب ليس سبباً مادياً طبيعياً، بل هو غيبى ما ورائىّ فوق التصور.

فمثلا: إذا تحولت عصا موسى إلى ثعبان، وأحيى عيسى الموتى، وانشق القمر لرسول الله ﷺ وآله، وسبحت حبات الرمال فى يده، وغير ذلك من معجزات الأنبياء.. فإن كل هذه لم تحدث بلا سبب، ولكن السبب- كما قلنا- ليس مادياً ملموساً نراه بأعيننا، لا أنها حدثت بلا سبب أبداً.

بعد هذه الكلمة الخاطفة.. نتحدث الآن عن الموضوع المطروح على بساط التحقيق وهو: طلب الأعمال الاستثنائية والإعجازية من أولياء الله.

إن الوهابية- الضالة المضلة- تدعى أن طلب الأعمال الخارقة للطبيعة شرك بالله سبحانه، ولكن طلب الأعمال المادية الطبيعية ليس كذلك، فما هو رأى الإسلام حول هذا الإدعاء؟

الجواب: هذا القرآن الكريم خير دستور نتحاكم إليه، ترى فى مواضع متعددة منه التصريح بأنه قد طلب من الأنبياء- وغيرهم- القيام بأعمال إعجازية

D:\كتب\الوهابية\٢٦doc.

خارجة عن إطار القوانين الطبيعية المادية.

فمثلا: طلب قوم سيدنا موسى عليه السلام منه أن يوفر لهم الماء والمطر وينقذهم من الجفاف الذى كانوا يعانون منه، وصدر الأمر من الله تعالى بتلبية طلبهم قال سبحانه: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الحَجَرَ﴾ (الأعراف: ١٦٠).

فإن قال قائل: لا مانع من طلب المعجزة من الإنسان الحى، والبحث إنما هو حول الطلب من الميت.

والجواب: إن الحياة والموت لا يغيران حقيقة التوحيد والشرك، بأن يكون الشىء توحيداً فى حال الحياة وشركاً فى حال الممات، أو بالعكس، بل تبقى الحقيقة ثابتة على كل حال.

نعم.. يمكن أن يكون للحياة والموت أثر فى فائدة الطلب أو عدمها، أما حقيقة التوحيد والشرك فلا تؤثران فيهما.

ويحدثنا القرآن الكريم أن النبى سليمان عليه السلام طلب من الحاضرين عنده أن يحضر أحدهم عرش بلقيس،

بقدرة ما ورائية غيبية وخارقة للطبيعة، فقال لهم- كما فى القرآن الكريم-: ﴿أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ* قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ*قَالَ الَّذِي عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِراً عِندَهُ قَالَ هَذَا مِن فَضْلِ رَبِّي﴾ (النمل: ٣٨-٤٠).

فإذا صح مذهب الوهابيين- فى حرمة طلب الأعمال الخارقة من أحد إلا الله- لكان طلب النبى سليمان عليه السلام من الحاضرين- بإحضار عرش بلقيس بقوة ما ورائية- كفراً وشركاً!!.

وكان طلب المعجزة ممن يدعى النبوة- فى أى عصر ومصر- كفراً وشركاً، وقد كان الناس يطالبون كل من يدعى النبوة- صادقاً كان أم كاذباً- بالمعجزة الخارقة للطبيعة، دليلاً على صدق دعواه واتصاله بالعالم الأعلى، ولم يطلبوا ذلك من الله الذى بعثه، بل كانوا يقولون: ﴿إِن كُنتَ جِئْتَ بِآيَةٍ فَأْتِ بِهَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ (الأعراف: ١٠٦).

وهذه عادة كل الشعوب والأمم فى العالم، حيث تريد التمييز بين النبى الصادق والمتنبئ الكاذب، فتطالبه بالمعجزة الدالة على قدرته الغيبية، وكان الأنبياء- بدورهم- يدعون الناس لمشاهدة معجزاتهم الدالة على صدقهم.

وقد سجل القرآن الكريم بعض ما دار بينهم وبين الأمم من حوار حول هذا الموضع، دون أن ينتقدهم على طلبهم المعجزة من الأنبياء، مما يدل على موافقته لهذا الطلب.

ولنذكر مثالاً: لو أن أمة- تبحث عن الحق- جاءت إلى النبى عيسى عليه السلام وقالت له: (إن كنت صادقاً فى دعوى النبوة فأبرئ هذا الأعمى ورد إليه بصره، واشف هذا الأبرص) فإن هذه الأمة لا تعتبر مشركة، بل تعد من الأمم الراقية التى تبحث عن الحقيقة، وتمدح على ذلك.

والآن لو فرضنا وفاة النبى عيسى عليه السلام بالرغم من أنه حى يرزق كما قال تعالى: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ

مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلاَّ اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِيناً* بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾ (النساء: ١٥٧). وتقول الأحاديث: إن النبى عيسى عليه السلام سوف يعود إلى الأرض بعد ظهور الإمام المهدى المنتظر- عجَّل الله ظهوره- ليكون ردءاً له وظهيراً.

ولكن لو فرضنا وفاته.. وطلبت أمُته من روحه الطاهرة أن يبرئ الأكمة والأبرص، فلماذا تعتبر مشركة، مع العلم أن انتقال النبى وحياته لا يؤثران فى التوحيد والشرك؟!.

ألسنا نعتقد جميعاً أن سيدنا موسى عليه السلام ليلة الإسراء والمعراج ردد سيدنا محمداً- صلى الله عليه وآله- عدة مرات لتخفيف الصلاة من خمسين إلى خمس، فهل نفعنا سيدنا موسى عليه السلام بعد انتقاله أم لا ؟!!.

وخلاصة القول: إن القرآن الكريم يصرح بأسماء بعض الأولياء الصالحين الذى اصطفاهم الله ووهبهم القدرة الغيبية لتنفيذ الأعمال الماورائية الخارقة للطبيعة، وكان هؤلاء يستخدمون هذه القدرة فى الأوقات المناسبة، كما كان هناك أشخاص يأتون إليهم

ويطلبون منهم الاستفادة من هذه القدرة.

وهكذا ظهر لك- أيها القارئ الكريم- أن آيات القرآن الكريم صريحة فى رد مذهب الوهابية وإبطال آرائها الشاذة.

فلو قال الوهابيون: إن طلب المعجزة من أولياء الله شرك.

قلنا: لماذا طلب سليمان- وغيره- ذلك؟!.

فإن قالوا: إن طلب الحاجة من أولياء الله - بطريقة إعجازية- يستلزم الاعتقاد بسلطتهم الغيبية.

قلنا: إن الاعتقاد بالسلطة الغيبية على نوعين: أحدهما: توحيد بعينه، والثانى: يستلزم الشرك.

فإن قالوا: إن طلب الكرامات من أولياء الله فى حياتهم جائز، ولكن طلبها من الموتى غير جائز.

قلنا: إن الموت والحياة ليسا ملاكاً للتوحيد والشرك، ولا يغيران حقيقة أحدهما.

فإن قالوا: إن طلب الشفاء للمريض وتسديد الدين- بطريقة غير عادية- هو طلب فعل الله من غير الله.

قلنا: إن شرط الشرك هو أن تعتقد ألوهية من تدعوه أو بكونه مصدراً لأفعال الله بالاستقلال، وأن طلب فعل غير عادى ليس معناه طلب فعل إلهى من غير الله، لأن مقياس أفعال الله ليس هو خروجه عن إطار القوانين الطبيعية، حتى يكون هذا الطلب طلب فعل الله من عبده، كلا.. بل إن مقياس أفعال الله هو أن يكون فاعله مستقلاً فى إنجازه.

أما لو كان فاعله ينجز ذلك الفعل بالاعتماد على قدرة الله تعالى، فإن الطلب منه ليس طلب فعل الله من غير الله. ولا فرق بين أن يكون الفعل عادياً أو غيبياً.

ونفس القول يأتى بالنسبة إلى الاستشفاء من أولياء الله، فإن البعض ينكرون ذلك ويقولون: إن طلب الشفاء خاص بالله سبحانه بدليل قوله تعالى ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ (الشعراء: ٨٠)، فكيف يصح أن يقال: يا رسول الله اشفنى؟! وهكذا الأمر بالنسبة إلى كل عمل خارق للعادة.

والجواب: إن الذين يعتقدون هذا الاعتقاد لم

يميزوا- ومع الأسف- بين الأفعال الإلهية والأفعال البشرية، ولهذا يتصورون بأن أى فعل يخرج عن مجراه المادى الطبيعى فهو من أفعال الله، وأى فعل يأخذ مجراه المادى الطبيعى فهو من أفعال البشر.

إن هؤلاء لم يفهموا- أو تجاهلوا- المقياس المائز لأفعال الله عن غيرها، ولو كان كل فعل يخرج عن مجراه الطبيعى يعتبر من أفعال الله لكانت أفعال المرتاضين- فى الهند- أفعالا إلهية- وكانوا جميعاً آلهة.

وقد ذكرنا أكثر من مرة أن المقياس- فى الأفعال الإلهية- الاستقلال فى الفعل، وعدم الاعتماد على أية قدرة أخرى، والفعل البشرى هو عكس ذلك.

إن الإنسان يعتمد على الله ويستعين بقدرته فى كل عمل- سواء كان مادياً أو خارجاً عن حدود المادة- والكثيرون يحصلون على قدرات اكتسابية ويستغلونها للوصول إلى أهدافهم المنشودة، فهل أن طلب الفعل من هؤلاء شرك بالله؟!.

إن نقطة الانحراف عن التوحيد تكمن فى الاعتقاد

المقرون بالطلب، فإذا كان طلب الحاجة من أحد أولياء الله يعتقد باستقلال ذلك الولى فقد اعتبره مستغنياً بالذات، ومعنى ذلك أنه اعتبره مستغنياً عن الله، وهذا هو الشرك، لأنه لا مستغنى بالذات سوى الله الواحد الأحد سبحانه.

وقد كان كثير من المشركين- فى العهد الجاهلى وعند طلوع الإسلام- يعتقدون هذا الاعتقاد بالنسبة إلى الملائكة والنجوم وأن الله خلقها وفوض إليها إدارة الكون وتدبيره، تفويضاً مستقلاً تماماً أو- على الأقل- أنها تملك الشفاعة والمغفرة، وتتصرف كما تشاء حيث تشاء.

ولذلك عندما سأل عمرو بن لحى أهل الشام عن علة عبادتهم للأصنام؟ قالوا- فى جوابه-: إننا نطلب المطر من هذه الأصنام فتسقينا، ونستعين بها فتعيننا، وبهذا الاعتقاد اصطحب عمرو معه هبل وجاء إلى مكة (راجع سيرة ابن هشام: ج١ ص٧٧).

وفى الختام ابن تيمية يكذب الوهابية:

نقول للوهابية: إذا لم يعجبكم ما ذكرناه من أدلة دامغة فى كتاب الله تعالى على جواز القدرة الغيبية للصالحين بإذن الله، فإننا سوف نقدم لكم الدليل الذى لا يرد عندكم، وهو قول شيخكم ابن تيمية فى كتاب (الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان). والذى أثبت فيه القدرة الغيبية للصالحين بإذن الله تعالى، فقال ما نصه: (وكرامات أولياء الله إنما حصلت ببركة اتباع رسوله ﷺ، فهى فى الحقيقة تدخل فى معجزات الرسول ﷺ).

وبعد أن عدد المعجزات لسيدنا ومولانا محمد ﷺ قال: (ومثل هذا كثير فقد جمعت نحو ألف معجزة، وكرامات الصحابة والتابعين بعدهم، وسائر الصالحين، كثيرة جدا).

ثم أخذ يسرد الكثير من هذه الكرامات التى تثبت القدرة الغيبية للصالحين، نختار من بينها ما يلى:

أولاً: أن خبيب بن عدى كان أسيراً عند المشركين فى مكة، وكان يؤتى بعنب يأكله وليس بمكة عنب.

ثانياً: سفينة مولى رسول الله ﷺ، أخبر الأسد بأنه رسول رسول الله ﷺ، فمشى معه الأسد حتى أوصله مقصده.

ثالثاً: البراء بن مالك، كان إذا أقسم على الله تعالى أبرَّ قسمه، وكان الحرب إذا اشتد على المسلمين في الجهاد يقولون: يا براء.. أقسم على ربك، فيقول: يا رب أقسمت عليك لما منحتنا أكتافهم فيهزم العدو.. فلما كان يوم القادسية قال: أقسمت عليك يا رب لما منحتنا أكتافهم، وجعلتني أول شهيد، فمنحوا أكتافهم وقتل البراء شهيداً.

رابعاً: خالد بن الوليد، حاصر حصناً منيعاً، فقالوا: لا نسلم حتى تشرب السم، فشربه فلم يضره.

خامساً: عمر بن الخطاب، لما أرسل جيشاً أمَّر عليه رجلاً يسمى سارية، فبينما عمر يخطب فجعل يصيح على المنبر: يا سارية.. الجبل، فقدم رسول الجيش فسأله، فقال: يا أمير المؤمنين، لقينا عدونا فهزمونا، فإذا بصائح: يا سارية.. الجبل، يا سارية.. الجبل، فأسندنا ظهورنا بالجبل فهزمهم الله.

D:\كتب\الوهابية\٢٦doc.

وبعد أن عدَّد ابن تيمية من كرامات الصحابة، بدأ في سرد كرامات الأولياء، التي تثبت القدرة الغيبية لهم، نختار من بينها ما يلي:

أولاً: تغيب الحسن البصري عن الحجاج، فدخلوا عليه ست مرات فدعا الله عز وجل فلم يروه، ودعا على أحد الخوارج كان يؤذيهم فخر ميتاً.

ثانياً: صلة بن أشيم مات فرسه وهو في الغزو، فقال: اللهم لا تجعل لمخلوق عليَّ منة، ودعا الله عز وجل فأحيا له فرسه، فلما وصل إلى بيته قال: يا بني خذ سرج الفرس فإنه عارية، وأخذ سرجه فمات الفرس. (والإحياء والإماتة في معتقد الوهابية من أفعال الله تعالى، ولكن شيخهم ابن تيمية يثبت ذلك لصلة بن أشيم، وهم بين أمرين: إما أن يصدقوا شيخهم ويتبرأوا من معتقدهم، وإما أن يتهموه بالجهل وسوء الاعتقاد).

ثالثاً: كان إبراهيم التيمي يقيم الشهر والشهرين لا يأكل شيئاً، وخرج يمتار لأهله طعاماً فلم يقدر عليه، فمر بسهلة حمراء، فأخذ منها، ثم رجع إلى أهله،

ففتحها، فإذا هى حنطة حمراء، فكان إذا زرع منها تخرج السنبلة من أصلها إلى فرعها حباً متراكباً.

رابعاً: كان عبد الواحد بن زيد أصابه الفالج، فسأل ربه أن يطلق له أعضاءه وقت الوضوء، فكان وقت الوضوء تطلق له أعضاؤه ثم تعود بعده.

ثم ختم ابن تيمية كلامه بقوله: (وهذا باب واسع قد بسط الكلام على كرامات الأولياء فى غير هذا الموضع، وأما ما نعرفه نحن عياناً ونعرفه فى هذا الزمان فكثير، ومما ينبغى أن يعرف أن كرامات الأولياء قد تكون بحسب حاجة الرجل، فإذا احتاج إليها الضعيف الإيمان أو المحتاج، أتاه منها ما يقوى إيمانه، ويسد حاجته، ويكون من هو أكمل ولاية لله منه مستغنياً عن ذلك، فلا يأتيه مثل ذلك لعلو درجته وغناه عنها، لا لنقص ولايته، ولهذا كانت هذه الأمور فى التابعين أكثر منها فى الصحابة، بخلاف من يجرى على يديه الخوارق لهدى الخلق، ولحاجتهم فهؤلاء أعظم درجة).

فيا أبواق الوهابية: ها هو شيخكم ابن تيمية، يقر

بالقدرة الغيبية لسيدنا رسول الله ﷺ ولأصحابه، وللأولياء والصالحين رضوان الله عليهم أجمعين، وقد ضرب لذلك الكثير من الأمثلة الصحيحة، فهل يصح لكم بعد هذا القول أن تقولوا بإنكار الكرامة والقدرة الغيبية للصالحين.. أم أن شيخكم ابن تيمية كان كافراً مشركاً ؟!!.

* * *

وبهذا نكون قد انتهينا من الشبهات العشرة التى تتخذها الوهابية ذريعة لاتهام المسلمين بالشرك والوثنية، وتسميهم بالقبوريين.. والحمد لله رب العالمين.